تأليف
د. محمد حمادة

تاريخ الشيعة

(في لبنان وسوريا والجزيرة في القرون الوسطى)



تمت ترجمته ومراجعته بإشراف
الشيخ د. جعفر المهاجر
2013

تاريخ الشيعة

(في لبنان وسوريا والجزيرة في القرون الوسطى)

هــذا الكتاب هو ترجمةٌ أمينة عن الأصل الفرنسيّ لـ:

Recherches historique medievales sur les Shiites du Liban,de Syrie et de la Djazira

البريـد الألكتروني
Dr.jaafarmohajer@gmail.com

المؤلف: الدكتور محمد حمـاده.

المُترجـم: الشيخ محمود الزين، بإشراف الشيخ د. جعفـر المهاجر.
راجعه وعلّق عليه الشيخ د. جعفـر المهاجـر.

الناشر: دار بهاء الدين العاملي للنشر والتوزيع

بعلبك هاتف (٠٠٩٦١٨٣٧٧٧٥٦)

تاريخ الشيعة

(في لبنان وسوريا والجزيرة في القرون الوسطى)

د. محمد حمادة

تـمّـت ترجمتُهُ ومُراجعتُهُ بإشراف الشيخ

د. جعفر المهاجـر

فهرس الموضوعات

هذا الكتاب

جعفر المهاجر

في وقت ما من السنة ١٩٧٤، إن لم تكُن قد خانتني الذّاكِرة، اتّصلَ بي الطّيّبُ الذّكر الأُستاذ الدكتور نقولا زياده ليقولَ لي أنّ لديه كتاباً جديداً بالفرنسيّة هامٌّ جدّاً في الموضوع الأثير لديّ يعني تاريخُ الشيعة. وعند أوّل لقاءٍ به أهداني الكتاب وعليه إهداءُ مؤلفه، مشفوعاً بوصيّةٍ منه هو بضرورة العمل على ترجمته.

كان ذلك بدايةَ علاقة حميمة بيني وبين الكتاب لم تنقطع. ساهمَتْ بتكوين حَدْسيَ الشخصي على لُغز انتشار التشيّع في المنطقة الشّاميّة خلافاً لكل تهيّؤاتها الذاتيّة، وبالتالي بقيادة أبحاثي الكثيرة على الإشكاليّة نفسها. في تلك الأثناء لم تُفارقني فكرةُ العمل على ترجمته. ولَكم يُسعدُني الآن أن أراه بحُلّته الجديدة. وهذه مُناسبةٌ للتنويه بالجُهد الصادق الذي بذله الصديق العزيز فضيلة الشيخ محمود

الزين في ترجمة الكتاب.

إنّ أهميّةَ هذا الكتاب هي في أنّه أوّلُ دراسة عملتْ على تحرير تاريخ الشيعة من الأُسطورة، التي تُقدِّمُ لنا بشكل أبطالٍ وهميين، يُفسّرون حركةَ تاريخ أكبرَ منهم بكثير. ومن هنا فإنّ الكتاب ما يزالُ جديداً بعدَ أربعين سنة من تصنيفه. وهذا أقسى امتحانٍ يخضعُ له أيُّ كتاب.

الفكرةُ الأساسيّةُ التي قادتْ عملَ المؤلف هي إقامةُ الصِّلة بين التركيبة السُّكّانية لمنطقة عمله (لبنان وسوريا والجزيرة) وبين ظُهور التشيّع فيها. وقد نجحَ في ذلك، على الرُّغم من أنّه لم يلتفت إلى نقطة منهجيّة سابقة منطقيّاً، هي بيانُ العلاقةُ بين الحركةِ السُّكانيّةِ وبين التركيبةِ السُّكانيّة التي وصفها وتتبّعَ تاريخها في أشكالِها ومراحلِها. وإن يكُن قد أشار إشارات سريعة إلى العلاقة بين الهجرات الإسلاميّة الكثيفة خصوصاً إلى السواحل الشاميّة، وبين امتلاء الشام سكانياً. لقد كان بيانُ تلك العلاقة المُفترضَة نقطةً ضروريّةً جدّاً، هي التي قادتْ عملنا في كتابنا (التأسيس لتاريخ الشيعة في لبنان وسورية)، وإلا سيكون علينا أن نقبلَ أنّ التشيّع وأنّ تلك الجماعات التي حملت لواءَه أصيلةٌ في المنطقة، ولم

تحمله إليه حركاتٌ سُكّانيّةٌ قادمةٌ إليه من خارجه، وهذه فكرةٌ غير سديدة بالتأكيد.

طبعاً، وكما في أيّ كتاب، فإنّ هناك أفكارٌ تفصيليّةٌ قابلةٌ للنقاش. من ذلك مثلاً تفسيرُ ضَعْف الحضور الشيعي في المكتبة التاريخيّة الإسلاميّة بسلوك الشيعة مسلكَ التقيّة. هذا بمثابة إصبعٍ يُحاولُ أن يُخفي وراءَهُ جبلاً. وكأنّ المؤلف لم يُعانِ الكثير من عقليّة مؤرّخينا السُّلطويين، الذين وجّهوا عيناً عوراء إلى شؤون العِباد، وبذلك غيّبوا كل ما له علاقة بالتاريخ الإنساني. ومنه طبعاً تاريخ الشيعة. هذا إلى جانب أمثلة أُخرى نبّهنا عليها في بعض ما علّقناه على متن الكتاب.

ومع ذلك كلّه، فإنّ هذا الكتاب يبقى مُميّزاً جدّاً، بل فريداً في بابه. وإنني لأرجو أن يجِدَ القُرّاءُ الكِرامُ فيه مثلَ ما وجدتُهُ من فائدةٍ ومُتعة.

المقدمة

إن هذه الأُطروحة «**بحوث تاريخية على الشيعة في لبنان وسوريا والجزيرة في القرون الوسطى**» هي محاولةٌ للاضاءة على تاريخ الشيعة أثناءَ القرون الوسطى. وكنتُ قد بدأتُ منذ عدّة سنوات بحثاً آخَر على تاريخ التعليم الشيعي في جبل عامل (جنوب لبنان) أثناء الحقبة العثمانية. واظنّ أن عملي الحاضر يذهبُ في الاتجاه الأوّل نفسه.

أسبابٌ عديدة دفعتني لاختيار موضوع هذه الاطروحة، منها نصيحة أستاذي كلود كاهِن، الذي لاحظ مثلي غيابَ الدراساتِ التاريخية على المنطقة أثناء القرون الوسطى. وخاصة على موضوع التشيّع في لبنان وفلسطين. غيابٌ يزيد من خطورته أنّ الشيعة كانوا فعّالين، منخرطين دائماً بتاريخ المنطقة، وبالأخصّ في تاريخ لبنان، حتى أيامنا هــذه، بالرغم من محاولات عديدة لإلحاق تاريخهم بأي ثمن بتاريخ العراق وإيران. إضافة إلى ذلك، فانّ للشيعة أهميّةٌ في حياة لبنان الحالية والمستقبلية، لأنهم على الأقلّ

يمثّلون أكثر من خُمسَي مجموع السكّان.

إنّ الموضوع الشيعي، وان تكُن له أبعاد دينيّة، فانّ له كذلك قواعد اجتماعية واقتصادية وسياسية، لذلك فهو يُطرح الآن ضمن إطار الحضور الرسمي داخل السلطة وتحسين الوضع الاقتصادي والاجتماعي داخل البلد، حيث يرتبط هذا الوضع بقوّة بالدين وحتّى بالطائفة. أخيراً، ومنذ عدة سنوات، فان الموضوع يُطرح في سوريا على صعيد النُّصيريين. كل هذا ناتج بدون أدنى شك عن تاريخ الشيعة أثناء القرون الوسطى.

ولكن تحقيق هذا العمل، قد اصطدم بعــدّة صعوبات هــذه البعض منها:

حرائق المكتبات: يجِــدُ المؤرّخ نفسه أمام أربعة قرون ونصف من الظُّلمة وعدم الثّقة، تمتد من الفتح العربي حتّى وصول الصليبيين[١]. يعودُ ذلك بعض الشيء إلى ثلاثة حوادث مهمة في تاريخ الشيعة في منطقتنا أدّت إلى خسارة مكتبات الشيعة: الأُولى هي مكتبة حلب (١٠٠٠٠ كتاب) التي احترقت بعد العام ٤٦٠هـ / ١٠٦٨م ؛ الثانية

---

(١) فيليب حتّي:لبنان / ٢٩٧ ؛ هـ.لامّنس: سوريا I / ٩.

هي مكتبة طرابلس (١٠٠٠٠٠ كتاب) احترقت أيضاً سنة ٥٠٢هـ/١١٠٩م ؛ والثالثة هي مكتبة جبل عامل حيث أحرق أحمد باشا الجزار كل الكتب الشيعية في افران عكّا بعد معركة يارون ١١٩٥ه / ١٧٨٠م [١].هذه الخسائر كانت نتيجتها عدم كفاية التوثيق الضعيف والمبعثر في آن.

نظرية التقيّة: التي من خلالها كل شيعي حقيقي يجِدُ نفسَه ليس فقط مأموراً، بل مضطراً في يقينه لأن يُخفي مشاعره الحميمة. فبين أعداء معتقداته يجب عليه ان يتكلّم ويتصرّف كما لو انه واحدٌ من أتباعهم، هرباً من اضطهادهم الذي كان رائجاً في تلك الحقبة، الذي جعل من التاريخ الشيعي تاريخ الشهداء. إنّ من نتائج هذه النظرية سكوت معظم المؤرّخين المسلمين في القرون الوسطى بالرغم من كون معظمهم شيعة [٢].

تركيز الحياة الثقافية في تلك الحقبة على العلوم الدينية وإهمالها التاريخ.[٣]

---

(١) يمكن ان نذكر على سبيل المثال مكتبة آل خاتون التي كانت تضم ٥٠٠٠ كتاب .
(٢) حتّي: سوريا II / ٤٢.
(٣) صفا: تاريخ جبل عامل / ١٥-١٧.

صغر حدود المنطقة ومع ذلك خصوبتها بالأحداث المعقّدة المتأثّرة بعدّة عوامل.

وجود عيوب في البحث حول الجذور اليمانيّة للتشيّع. ممّا سبب استحالة تحديد هوية كل الشخصيّات الموجودة في كتاب «**البحار**» للمجلسي. كما توجد ثغرة اخرى على صعيد البحث تكمن في عدم كفاية المعايير المعتمدة في التصنيف وفي الزمن.

صعوبة الوصول الى الوثائق التي تقدّمها منذ سنتين مكتبة مدرسة اللغات الشرقية الحيّة، التي تمثّل المستودع الرئيسي والخدمة الرئيسية لإعادة الاعمال الضرورية للفهم الجيّد لحقبتنا هذه.

وللخروج من هذه اللوحة السوداء، يجب التركيز الآن على الطابع الايجابي لعملي والقيام بنظرة إجمالية مختصرة للطريقة التي قادتني.

قسمتُ كتابي إلى جزئيَن أساسيين. يحتوي الأول على ثلاثة محاور/فصول: الأول هو عامٌّ نوعا ما، معالجاً التشيّع: كلمةً، ولادةً، بحثاً قَبَليّاً، بينما يعالج الاثنان الآخران مسألة انتقال سوريا من المسيحية الى السُّنيّة الرّسميّة. ويمكن

اعتبار هذا المحور / الفصل تحضيراً للأرضيّة، أو تحوّل سوريا للمرحلة المستقبليّة، وإن لم يكن الطابع العام شيعيّا أبدا. فقد أردتُ مع ذلك كشف بعد التحضيرات الاكثر تعبيرا خلال عصر الخلافة الرّاشـديّة والأُموية مثلة رحلة أبي ذر الغفاري الى بلاد الشام او تاريخ أسعار... لكن المحور الثالث المتعلّق بسوريا العباسية السُّنيّة هو الاكثر أهمية: فهنا يتضح التحوّل الواضح لسوريا، إن على صعيد الانتفاضات السياسية – القبَلية، أم على صعيد التيارات المضادّة للعباسين، التي كان التشيّع جزءاً منها. فنشاهدُ في هذه الفترة هجرةً شيعية نحو سوريا ومناطق اخرى فيها الإسماعيليون والشيعة الاثنا عشريون. أمّا الفئة الاولى[1] فانها أثبتت عدم القدرة على الحلول مكان السُّنّة. لذلك فان الفترة التالية ستكون فترة الحمدانيين ثم الفاطميين.

أمّا الجـزء الثاني: سوريا الشيعية، فانه يعرض الوصولَ الى التّحوّل السابق. في سوريا الشيعية هذه عالجنا محورين: الحمْدانيّون في الجزيرة وفي سوريا الشمالية حيث تحدثْتُ عن التشيّع الحمداني، الذي لم يستطع البقاء مخبّأً بالرغم من

(١) على الارض السورية.

الاعتدال وتطبيق سياسة غير مُستقرّة. فقد ركّزتُ على تشيّع الحكّام والشعب، مسألةٌ احترمتُها في هذا الجزء الثاني كاملاً. لأن الحكّام اذا حاولوا الحفاظ على أنفسهم من خلال التغييرات التي تلقتّها بغداد، فان الشعب (بالاخصّ الطبقات الشعبية التي لم يكن لديها شيء تخسره) لم يفهموا التشيّع بهذا الشكل. امّا المحور الثاني الذي أعتبرُه أساسيّا، فقد قُسم إلى ثلاثة اجزاء حيث يعالجُ الجزءُ الأولُ والثالثُ التشيّع في سوريا الجنوبية (فلسطين) والوسطى (دمشق ولبنان). هنا عولجت معظم المعلومات حول التشيّع، حول نجاحاته واخفاقاته، في دمشق كما في مختلف المُدُن اللبنانية، وبالأخصّ مُدُن الجنوب. مع دراسة لسياسة بني الجرّاح الطائين لتحديد الى أي مدىً كانت على علاقة مع التشيّع الذي اجتاح سوريا. نفس الدراسة المعتمدة مع بني جرّاح، طُبّقت على بني عمّار الذي كان تشيّعهم لا نقاش فيه كذلك رعاياهم. الجزء الثاني من هذا المحور يعالج التشيّع في سوريا الشمالية والجزيرة حيث عولج تاريخ الامارات الثلاثة: المروانية والعُقيلية والمرداسية، حيث خضع تشيّعهم وتشيّع رعاياها لدراساتٍ على حده.

هكذا نصلُ الى إظهار سوريا شيعية جديدة، اثنا عشرية في معظمها. والتي بالرغم من احتلالها من قبل الفاطميين في الجنوب، السلجوقيين في الشّرق والصليبيين في الشمال، استمرّت بالحفاظ على طابعها المذهبي حتّى التحرّر من الاحتلال الصليبي.

لقد كان بودّي إطالة عملي هـذا ليشمل المراحل التالية: السلجوقية والزنكية والأيوبية والمملوكية والصليبية، فالأبحاثُ على هـذه المراحل قد تمّت، والبطاقات قد استُجمعت وصُنّفت. لكنني آثـرتُ بالاتفاق مع أُستاذي الحفاظ على هـذه الابحاث لعملٍ لاحقٍ أرجو أن يكون أكثر تعـمّـُقاً.

إنّني أتمنّي أن يكون هذا العمل قد حاز بهذا الشكل على الدّقّـة والكثافة المطلوبة.



الجزء الأوّل

التشيّع
في سوريا المسيحية والسُّنيّة



الفصل الأول

التشيّع

١- الكلمة وتاريخ استعمالها:

إن كلمة شيعة [١] تعني المُحازبين لشخصٍ ما، الذين يقبلون آراءَه ومنهجيته ويساهـمون في تحقيقها. يمكن لهذه الكلمة ان تُستعمل بصيغة المذكر والمؤنث، بالمفرد والجمع. يقال هو او هي شيعي، كما يقال هم او هنّ شيعة. وجمعها شِيَع او أشياع.

ضمن هذا المعنى الممتـدّ، أخذتْ الكلمة معنى اكثر تخصيصاً في الاسلام، مع صيرورتها إِسم علم لأنصار آل النبي وبالاخص الامام علي بن ابي طالب والذين اعتـقـدوا إمامته بعد النبي [٢]

---

(١) محمد كرد علي: خطط الشام VI / ٢٥١٠ ؛ طه حسين. الفتنة الكبرى،II / ٧٣، محمد جواد مغنية: مع الشيعة الامامية / ٣٤

(٢) حسين محفوظ: طريق الشيعة / ٨. H.Lammens- la Syrie.I.١٧٩، محمد جواد مغنية: مادة «اهل البيت" في موسوعة البستاني.

إن أقدم تاريخ لاستعمال هذه الكلمة في تاريخ الاسلام هو عصر النبي [١]، فقد كانت مستعملةً بعـدّة أشكال ولم يكن لأيٍّ منها استعمالها التخصيصي:

– لتسمية أربعٍ من الصحابة: سلمان الفارسي، أبو ذر الغفاري، المقدادٌ بن الاسود الكندي وعمار بن ياسر.

– لتمييز المسلمين، فقد سمّاهم النبي شيعتي أي انصاري.

– لتسمية المجموعة التي سوف تُشكّل من قِبَل التميمي ذو الكويسرة بعد يوم حنين.

فضلاً عن ذلك، فإنّ المعنى الآخر للكلمة سوف يظهر أيضا في عصر النبي، فقد استعملت الكلمة لتسمية علي وانصاره. وبالأدقّ فإن الاستعمال الأول في هذا المعنى كانت عبارة للحسن بن علي لدى أبي مخنف [٢].

نلاحظ– إذن– أنّ المؤرخين والكتّاب الشيعة يركّزون على أن استعمال كلمة (شيعة) معاصرٌ للنبي. ليستنتجوا وجودَ التشيّع منذ ذلك الوقت. وليَخلُصوا إلى إرادة النبي في تكوّنه.

---

(١) محمد كرد علي: خطط الشام: ٤ / ١٥٢.
محمد جواد مغنية: الشيعة والتشيّع / ١٤ و ١٠٨
(٢) ابو مخنف: مقتل الامام ابو عبدالله الحسين / ١.

فمن الممكن جداً ان نجِـدَ الكلمة في عصر النبي أو في عصورٍ أكثر قِـدماً. لكن ذلك لا يفسر في أيّ حال استعمالها للاشارة إلى التشيّع أو أنصار عليّ. فللإشارة إلى هؤلاء يجب ان تكونَ كلمة شيعة مُلحقةً باسم عليّ. وهذا مالم يستطع ان يتحقق منه طه حسين من أي مصدر في العصر السابق لاغتيال عثمان [١].

فبعد اغتيال عثمان ومبايعة عليّ من بعـده [٢]، كان لأنصار الخليفة الجديد اسم (شيعة علي). ولقد كان من الطبيعي أن يكون لعلي شيعة. إذ أنه كان مدعـوماً من قِبَل الذين أوصلوه إلى سُـدّة الخلافة. لكن من المؤرّخين مَن انتظروا مناســباتٍ أُخرى لاستعمال الكلمة، فالبعض منهم قال أنّ تسمية شيعةٍ لأنصار علي أُعطيت لهم حين خروج الخليفة ورجاله لمُطاردة ناكثي بيعته طلحة والزبير. هذه المجموعة من المقاتلين لأجل الشرعية سُمّيت الشيعة، وأسماهم علي **«شيعتي»** [٣]. أمّا البعض الآخر من المؤرخين [٤] فقد جعلوا

(١) طه حسين: الفتنة:II / ١٧٤.
(٢) بويع علي من قبل مجموعة من محازبيه.
(٣) حسن الصدر: تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام / ٣٨.
(٤) محمد كرد علي: خطط: VI / ٢٥١ ،ح الامين: لمحات من تاريخ الشيعة ،العرفان ١٩٧٠، مجلد ٥٨ ص ٧٩٩.

من معركة صفيّن وظهور الخوارج تاريخاً للاستعمال الاول للكلمة للإشارة إلى أنصار علي.

قد يبدو أنه من بداية حكم علي حتى موت معاوية، لم يكُن لكلمة شيعة وحدَها الاستعمال الشائع للإشارة على نحو الحصر إلى أنصار علي، فقد كانت مستعملةً مُضافَةً إلى اسمه: شيعةُ علي[١]. وبعد معاوية أخذت كلمة شيعة معناها الخاص في التاريخ الاسلامي وأشارت إلى أنصار علي[٢].

مؤرخون آخرون أنكروا حتى استعمال كلمة شيعة مضافة الى اسم علي في تلك الحقبة [٣]. فهم يتبنّون تسمية انصار الخليفة المقتول (الذين طالبوا بالقصاص من قتَلته) بـ (العُثمانيّة)، وأنصار الخليفة الجديد ب (العلويّة) [٤]. واستمرّ ذلك طوال الفترة الاموية.

لكنّ هذا الحال تغيّر مع قُدوم العباسيين، ففي أيامهم، فيما يبدو، سُميّت العثمانية بالسُّنّة والعلويّة بالشيعة.

---

(١) استعملت الكلمة وحدها بعد صفيّن وقبل موت معاوية:تاريخ الطبري: ٤ / ٦ و ١٤٤ و ١٤٨.

(٢) الأمين: لمحات، العرفان ١٩٧٠، مجلد ٥٨ – ص ٧٩٩.

(٣) بين اغتيال عثمان وموت معاوية.

(٤) الموسوعة الاسلامية الشيعية:٥/ ١٣ ؛ مغنية الشيعة والتشيّع / ١٠٨ – ١٠٩.

أمّا محمد جواد مغنية، فقد وجد حلاّ معتدلاً[١]، فهو لم ينفِ وجود كلمة الشيعة مع العلوية فاصبحت التسمية: الشيعة العلويون. بينما قلّص علي الزين فترة استعمال كلمتي (علوية) و(عثمانيّة) [٢] ووضع مكانهما، بعد الصلح بين معاوية والحسن: السنة والشيعة.

يبقى ان نُـمَعّـنَ كلمة اخرى مهمّـة في تاريخ التشـيّع، وهي كلمة (متوالي) وجمعها (متاولة) [٣] . والكلمة تأتي من فعل تولّى اي اتخذ أحداً فتولّاه. كما يمكن ان تُشتق الكلمة من فعل توالى، التي تحمل معنى التتابع، لتعني بهذا الشكل أنّ هؤلاء الناس تتابعوا لدعم آل النبي.

البعض الآخر ادّعى أن متاوله كانت اشتقاقا من صرختهم الحربية: مُتْ وليّا لعلي. وقد كانت هذه الكلمة مستعملة للاشارة إلى شيعة لبنان (جبل عامل، بعلبك وشمال لبنان) في القرن الثاني عشر للهجـرة. كما يمكن أن نجِـدَ شيعةً يحملون الاسم نفسه خارج الحدود اللبنانية. إنهم المهاجرون اللبنانيون. هذا هو حال الشيعة الدمشقيين في

(١) مغنية: الشيعة والتشيّع / ١٠٨.

(٢) علي الزين: الشيعة في التاريخ / ٣٠.

(٣) الموسوعة الشيعية: ص ١٤ – ١٥ ؛ محمد كرد علي:خطط: ٦ / ٢٥٢-٢٥٣ ؛ شكيب ارسلان: العرفان ١٩١٠ مجلد ٢ ص ٤٤٥ ؛ لورثه: مشاهدات / ١٥٣.

الصالحية الذين قدموا من بعلبك.

هكذا يكون التفسير المعطى لكلمة متاولة قد أُملي علينا لتلافي الالتباس في استعمال كلمتي (الشيعة) و (المتاولة)، ولإظهار أن الثانية لا تدخل ضمن عملنا هذا.

ولادة التشيّع:

ما من تاريخ مُحـــدّدٍ لولادة التشيّع. مع ان الكثير من الكتابات قد عالَجتْ هذه النقطة. لكن كلَّ واحـــدةٍ جعلتْ من حَـدَثٍ ما نقطة انطلاقٍ لهذا المذهب الاسلامي.

من بينٍ هـذه الكتاباتٍ واحدةٌ أرجعت بدايـة التشيّع إلى عهد النبي، حيث بايع كثيرٌ من الصحابة عليّاً ليكون مَن يلي أُمورهم بعـد موت النبي[١]، واجدين فيه الخليفة الأكثر أهليّةً لقيادة الأُمّة. في الخلاصة، يمكن القـول جـزمـاً أنه كان لعلي أنصاره إبّـان حيـاة النبي [٢].

أمّا الكتابات الاخرى. فإنها تضعُ ولادة التشيّع في عصور مختلفة بعـد موت النبي:

١ – يوم السقيفة: حيث ظهرت الأطراف والتيارات الإسلامية والتنافس بينها جليّاً بعـــد موت النبي مُباشـرةً. وهذا هو التاريخ الاقدم لظهور شيعة علي[٣]؛ فقد ظهرت عدّة

(١) من المحتمل انهم بايعوه على حياة النبي.

(٢) نوبختي: فرق / ١٥ ؛ الصدوق: علل/ ١٥٦ – ديلمي: ارشاد:١ / ١٩٣، ٣٠٠ Cahen: Revue Historique.

(٣) ص ٣٦٢–٣٧١ جزء ٤، طبعة ١ R.Strothmann:art. shia.

اطراف من بينها اصحاب علي ومن بينهم ابن الزبير[١] وعدد من المهاجرين والانصار [٢].

٢- اعتبرت مجموعة أُخرى أنّ نهاية عهد عثمان [٣] هو تاريخ ولادة التشيّع نتيجة لفشل السياسة العثمانية، ممّا برّر الانتفاضة ضد الخليفة في ذلك العصر، وكان المصريون المؤيّدون لعلي على رأس هذه الثورة.

بالنسبة للمجموعة الثالثة، فان ولادة التشيّع تقع يوم الجمل، مما يعني ان هذه الحركة وُلدت أثناء حكم علي: كانت تلك ولادة الحركة الشيعية. بينما فكرة أحقيّة قضية عليّ قد بثّت على الارجح قبل حُكم علي، بشهادة أنّه أسمى رجاله عندما كان في الطريق لملاقاة طلحة والزبير **«شيعتي»** [٤].

فرضيّة رابعة تُعيد ولادة التشيّع الى ما بعد صفيّن. لقد تميّزت هذه المعركة بولادة الشيعة المسلمين الذين وضعوا في دائرة الضوء حزب الخوارج. ثم أن الشيعيّ أصبح الجواب الطبيعي للتطرُّف الخارجي. فقد التفّ مؤيّدو علي

(١) الطبري: تاريخ: ٢ / ٤٤٤.

(٢) اليعقوبي: تاريخ: ٢ طبعة النجف ١٣٥٨ / ١٠٣.

(٣) محمد ابو زهرة: مذاهب: ٢ / ٤٧.

(٤) ابن النديم: فهرست / ٢٦٣ طبعة القاهرة.

حوله مستعدّين للدفاع عنه في كل الظروف [١].

مهما يكن، فإن تداخلاً بين التشيّع الرّوحي [٢] والآخَر السياسي[٣] ظهر على الارض وجعل من الصعب تحديد موضوع ولادة التشيّع.

منذ عهد النبي لم يكُن التشيّع الروحي موضعَ نقاش، بالرغم من التفسيرات المتعددة والشّرسَة للأحاديث التي تُشير إلى عليّ كخليفة للنبي على رأس المسلمين. وقد كان هذا التشيّع ثابتا من خلال:

وجود عدد من الصحابة الذين أيّدوا علياً أثناء حياة وحُكم الخلفاء الثلاثة الأُول. فقد نودي بحقّ علي وذرّيته في عدّة مناسبات[٤].

وجود عدد من المسلمين الذين يعتمدون فقه علي حتى قبل فترة حكمه. أن تعتمدَ فقه عليّ يتطلّبُ بالضرورة مساندة إمامته.

لقد بدأ التشيّع السياسي يوم السقيفة لفترة معيّنة، ثم

---

(١) الطبري: تاريخ: ٤ / ٤٦.

(٢) الذي قاعدته الاعتراف بوصية النبي، بامامة علي، وما هذا الاّ تحقيق للارادة الالهية .

(٣) الذي قاعدته الاعتراف بحق علي بالخلافة والعمل على اعادة حقه دون الاعتقاد التام بامامته بالوصية النبوية.

(٤) الحسيني: تطور النقود... ص ١٦– ١٧.

توقف، ثم استعاد نشاطه مع نهاية عهد عثمان، ووصلَ الى ذروته أثناءَ خلافة علي. إن الدليل على الدعم السياسي لعلي يأتي من كونه قد سمّى جماعة من المسلمين **«شيعتي»** في الاجتماعات الضيّقة ؛ بينما كان يقول **«المسلمين»** في مخاطبة أو حين يعني الكُلّ.

إنْ يكُنْ الدكتور طه حسين [١] قد جعل من خلافة الحسن بن علي سنة ٤١ هـ / ٦٦٣ م التاريخَ الأبعَدَ لولادة الفرقة الشّيعيّة، فانه يبدو لنا بكامل الوُضوح أن مأساة كربلا كانت المُحرّكَ الحقيقي لولادتها [٢]. ذلك لأنّ كلمة (فرقة) قد بدأت منذ ذلك الأوان تتّخذُ معنىً دقيقاً في التاريخ والثقافة الإسلاميين، بحيث كانت تشملُ الناس (شيعة) والافكار (تشيّع).

إنّ بذور التشيّع، إن صحّ القول، بدأت تنمو وتكبر بعد شهادة الحسين، وأيضاً بعد السياسة العميقة للأُمويين والزُّبيريين، كذلك بعد فشل الأُمويين في كسْب ودّ القُرّاء والفقهاء، وسياستهم الخاطئة تجاه غالبية سكان الامبرطورية الاسلامية بنحوٍ عام والموالي منهم بنحوٍ خاص.

---

(١) طه حسين: الفتنة ص١٦ – ١٧.

(٢) Encyclopedie de la pleade.جزء ٢ / ١٩١١ (index historique).

الفِـرَقُ الشيعيّة:

لَقد ولّدت الفرقُ الشيعيّةُ بعد فترة زمنية عدداً كبيراً من الفرق الشيعيّة تطرّق اليها النوبختي. لكن هدفنا في هذا المقطع هو تعريفٌ سريعٌ بالفرق الشيعيّة المعتدلة.

يُذكرُ هنـا ثـلاث مجموعات اساسية: الزيديون، الاسماعيليون والاثني عشريون.

أ– الزيدية[١]: من اسم زيد بن علي بن الحسين، أخو الامام الباقــر. ينادي الزيديون بزيــد إماماً بعد جدّه الحسين. وقد استشهد زيد سنة ١٢٢هـ / ٧٤٠م في العراق أثـنـاءَ معركةٍ ضــدّ جيش الخليفة الأُموي هشام بن عبـد الملك. والزيدية هي الـفـرقـة الأكـثـر اعتدالاً بين فِـرَق الشّـيعة، والأكـثـر قُــــربا من السُّـــنّة. ويمكن ان نلخّص وجهات نظر الزيديين على الـنّحــو التالي:

---

(١) ص ١٢٦٤ – ١٢٦٦، مجلد IV ,R. Strothmann,art.al Zaidiyya،E.I
Lammens،Syrie،: ١ / ١٨٢
أمين: فجر / ٢٧٢ – ضحى: ٣ / ٢٧٥ – ٢٧٦
ابوزهرة: مذاهب: ١/ ٥٠-٥٤
P ،Laoust،schismes ١٣٥-١٣٦

– تؤول السلطة لأيّ متحدّر من سلالة فاطمة يستولي عليها بقوة السلاح. وبالتالي لا خلافة بالارث.

- يضعون السرّ الالهي في الإمـام. ويرفضون الفيض الاستثنائي لأيٍّ جزءٍ من النور الإلهي في أيّ شخص بعينه من أبناء علي.
- لا يقبلون أي علم خفيّ للأئمة، فهو يجب أن يكون لديه المعرفة الضرورية.
- لا يؤمنون بوجود الامام الغائب.
- يرفضون فكرة المهدي المنتظر وبإمامٍ سوف يعود [1].
- يرفضون شتم ابي بكر وعمر ويقبلون خلافتهما.
- يمنعون الزواج المتعـــدّد كما انهم لا يبيحون زواج المتعة.
- يقبلون بوجود إمامين بوقت واحد في مكانين مختلفين.

بحسب بعض الشـــيعة، الزيديون مذهـــبٌ على حِـــده، مستقلّ عن السُّنّة والخوارج والشيعة، ولكن في جميع الاحوال لا يُمكننا نكران التشيّع السياسي للزيدية.

مهما يكن، فـان الزيديين لا يفيدون موضوع هذه

(١) ابو زهرة:مذاهب: ٢ / ٥٠٣– ٥٠٤

الاطروحة لأنهم يؤلفون دولاً بعيدة عن الإطار الجغرافي المقصود.

ب- الإسماعيلية: من اسم إسماعيل ابن الامام السادس جعفر الصادق. ومنهم فرقة سُمّيت بالحشاشين لكون رجالها- فيما يُقال- يتعاطون المخدرات في قلاعهم للتكيّف مع تنفيذ المهمّات. يعترف الاسماعيليون بإسماعيل كآخر إمام مرئي، فهو المهدي الذي سوف يعود يوماً لإقامة العدل في هذا العالم. بعد إسماعيل المتوفى سنة ١٤٥هـ، هناك سلسلةٌ لا تنقطع من الأئمة ينقل فيها الأب للابن البكر الجانبَ الالهي ويكملون الدعوة.

يمكن ان نلخص الاحكام الإسماعيلية [١] على النحو التالي:

- ليس لله أي وصف، لا يدركه العقل، غير مفهوم، يمثّل العقل الكلّي من خلال أمره.
- خلْق الكون: لقد خلق العقلُ الكلّي النفسَ الكونية، اي الحياة، التي انتجت بدورها المادة الاوّلية التي كوّنت الارض والكواكب متلقيّة أوامر أشكالها من العقل.

---

(١) هوار: art اسماعيلية.E.I – جزء II / ٥٨٧ – ٥٨٨

حشي: اسماعيليون ص ٤١- ٤٤

كائنان بدائيان وُجدا إذن همــا: المكان والزمان.

- خمسة كائنات ناشِطة تنتج حركات الكواكب والعناصر.

وكان الانسان من باب الضرورة مختبراً من قبل النفس الكونية ليقترب من العقل الكلّي عن طريق اكتساب العلم الكامل. والوُصولُ إلى هــذا الهدف يقودُ إلى إيقاف كلّ حـركة.

ولكن بأي وسيلة يُكتسبُ العلم؟

- نحو اكتساب العلم: هنا يأتي دور الامام. أمّا الانبياء: موسى و عيسى ومحمد، فقد كانوا التجسيـد الارضي للعقل. وانتقلت هذه الميزة للأئمة المُتوالين الذين فسّروا العلم. يساعدهم الحجّة على نشرها، وهو المكلّف باعطاءِ الأثبات لدعـوة الامام والداعية.

- العالَم الآخِر وقَــدَرُ الأنفُــس: الجنة تعني حالَ الأنفُــس التي وصلت إلى العلم الكامل، بينما يعني الجحيم الجهل. لا يُحكم على أي نفس بالجحيم الابـدي، فهي تعود الى الارض من خلال التّـقـمُّص، إلى أن تتعلم من إمام العصر العلوم الضرورية للخروج من الجحيم والمصير إلى الجنة. إنّ تـَمَـثُّــل كل الخلق

بالعقل الكّلي سيجعل الشّـــرّ يختفي.

قبل الانتقال إلى المجموعة الشيعية الثالثة الأساسية، يبدو لي أنّ من الضروري التوقف عند فرقتين من الإسماعيليين: القرامطة و الدروز.

١ - القرامطة[١]: واسمُ هـذه الفرقـة مُشتقّ من اسم زعـيم للحركة، قيل أنّ اسمه حمدان قــرمـط. وقــد وُلدتً هذه الحركة من رحِـم الإسماعيلية. وهي حركة استغلّتْ الشرعـيّةَ العلَويّة لصالح نظام اجتماعي مبني على تفسير «**شيوعيٍّ**» نوعاً ما للمنابع القرآنية.

٢- الدروز[٢]: هو مذهب مشتقٌّ أيضاً من الإسماعيلية في عصر الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (سنة ٣٦٥- ٣٨٦ هـ /٩٧٥ - ٩٩٦ م) وبأمره وتنظيمه.

وللدروز مبادئهم الخاصة. ولكن من الصعب التّطرُّق الى هذا الموضوع بسـبب ســـرّيّة المعتـقَــد وبسـبب اختصاص نخبة معيّنـة بمعرفتـه هـــم (العُـقّـــال). ولكـن يُمكـن القول إجمالاً بصـدق أنّ هـذا المذهـب

(١) للتعرّف الى احكام القرامطة راجع: I.massigon, art.Karmates: E. I

(٢) لمزيد من التفاصيل، راجع M.G.S HODGSON،art Duruz طبعة II،٢١، ص ٦٤٧ B-٦٥٠ A،B.

مَبنيٌّ على الإيمان بالحاكم كآخر تجسيد لله على الارض .
ولا يقبل الدروز أنه مات، بل يقولون أنّـه اختفى و سيعود
يوما ما على طريقة المهدي.

ج- الاثنا عشرية[1]: هو المذهب الشيعي الذي يقول
بتسلسل الائمة الاثني عشر، يبدأون مع علي وينتهون
بمحمد المهدي الذي غاب وسيعود في نهاية الزمان
ليملأ الارض عدلاً كما مُلئتْ ظُلماً.

(١) طبعة II،I ص ٥٩٩A،B ٦٠٠ CL.HUART.art. Ithna ashariyya

شجرة الأئمة الإثنى عـــشر عــند الإثنى عــشريين:



يُسُمّي الاثنا عشريّون أيضاً بالإماميّة، لأنهم يجعلون الإمامةَ أصلاً من أُصول الإسلام (التوحيد، النبوة، الإمامة).

إن الاثني عشريين مسلمون موحّدون، يؤمنون بكل ما بُلّغ من الله على لسان النبيّ. ومن الضروري طبعا التركيز على بعض النقاط في عقيدتهم:

أ- **الإمامة**: هي أصلٌ ضروري للحفاظ على نظام الكون. والامام هو من سُلالة النبي، وهو الافضل في زمانه، موقعه على رأس المؤمنين، ويدير شؤونها الدينية والزمنية.

والإمام على علاقةٍ روحيةٍ مع الله من خلال الملائكة الذين يدخلون بيته يحملون الإرشادات من الملاك جبرائيل [كذا ! ومن الواضح أنّ هذا ليس من عقيدة الشيعة الإماميّة (المهاجر)].

والإمام هو حامل الرسالة ومالك الارض المنتقلة الى آل النبي كإرثٍ من الله [كذا ! وهذا كسابقه (المهاجر)]. بعد موت الامامِ فانه يُغسّل من قبل الامام التالي (عادةً ابنه الذي تكون له نفس الميزات) الذي ينقل إليه رسالته على رأس الطائفة.

ب- عصمة الامـام: لأنه تلقّى النور الالهي لإتمام رسالة النبي، يجب ان يكون الامام معصوماً طوال حياته، والاّ فانه يصبح بحاجة لشخص آخر للحفاظ على الشرعية.

ج - المهدي: هو الموجّه من قِـبَـل الله. فأصبح اللّقب للامام الغائب، الذي سيعود ليحكم شخصياً بالقانون الالهي. هذه الفكرة تُـكوّن جزءاً أساسيا من العقيدة الشيعية. هي نوع من الأمل بالتعلّق بفكرة المحرّر.

د- الرّجعة: هي عودة جسدية لجزءٍ من البشرية مع قدوم المهدي ؛ وسوف تُتبع هذه الرجعة بعقاب كل الذين أساءوا معاملة الأئمة، وسوف يُحكم عليهم بالنوم الابدي حتى نهاية العالم.

هـ- الغَـيْبَة: بما أنّ الارض بحاجة دائما لإمام لإقامة النظام، فان الوصولَ إلى الثاني عشر تقود لفكرة الغيبة ؛ إنّـه غائب في هذه الايام، وإنّها غـيبتة الكبرى. وهو على اطلاع بكل ما يجري على الارض، وسوف يعود.

و- التقيّةً هي قلّة الثقة بشيء ما: [كـذا ! وهو تعريفٌ غير دقيق. كما أنّ التقيّة ليست من شؤون العقيـدة، بل هي حُكمٌ ثانويٌّ في مقام الحَرَج، كما أنّ المتعة أيضاً ليست

من العقيدة (المهاجر)] . إنّها فرع شيعي يعني السماح للشيعة باخفاء آرائهم الخاصة في اوقات الاضطهاد والظلم، ومن هنا صعوبة متابعة التاريخ الشيعي. [بوصف المؤلف مؤرّخاً كان ينبغي أن لايحصر صعوبة تتبُّع التاريخ الشيعي بهذا السبب المَزعوم. هناك قبل هذا بكثير جداً الذهنيّة السُّلطويّة الاحتكاريّة للمعرفة التاريخيّة (المهاجر)].

ز- **المتعة**: إنّ الاماميين يقبلون الزواج التعاقدي لفترةٍ محدّدة لوجود إجماع على المتعة وشك في منعها.

يوجد فرعٌ لهذه المجموعة الثالثة الشيعيّة وهو النصيرية. وهم طائفة شيعية متطرّفة [(١)] وقد اشتقّ اسم النصيريين من محمد بن نصير الفهري، صاحب وباب الامامين العاشر والحادي عشر الشيعيين. أمّا ابن العِبْري، فانّه يدّعي أن النصيريين اتخذوا اسمهم من بلدة تدعى (نصريّه) قرب الكوفة.

تقوم العقيدة النصيرية على المبالغة في إجلال علي وذرّيته. فعليٌّ بحسبهم هو تجسيد لله، وهو خالد من خلال طبيعته الالهية.

(١) لتفاصيل اكثر: ص ١٠٣ A-B.III، طبعة I. نصيري L.Massignon،art.

يقول النصيريّون بثالوثٍ إلهيٍّ(١) مؤلفٍ من عليّ (الجوهر) ومحمد (الاسم) وسلمان (الباب). هكذا لا يفترق التفكُّك: فعلي خلق محمد، والنبي خلق سلمان، الذي بدوره خلق كائنات اخرى خلقت العالم. [كذا ! ولسنا نعرفُ مصدراً لهذا الكلام. إلا أن يكون قد أخذه عن أحد المستشرقين. وربما وردَ في بعض كتبهم الخطيّة. ولكن لا يمكن القول أنه من عقيدتهم. هذه الملاحظة تنسحب على بعض ما سيأتي (المهاجر)]

ويتقبّل النصيريون(٢):

- التقمّص
- الحياة الأرضية الواحدة
- تأويل القرآن
- استعمال الخمر
- شتم الخلفاء الراشدين
- خلاص القمر والشمس

---

(١) H.lammens، I سوريا / ١٨٤، بولس: لبنان / ٢٦٥

(٢) محمد يحيى الهاشمي: النصيرية في سوريا الحاضرة. العرفان.المجلد ٣٨ / ٨٦٨-٨٦٩

ويرفضون:

- الحج
- الجنة
- الصلاة

الأُصول العربيّة للتشيّع

منذ ان اتخذ التشيّع مكانه كمذهبٍ إسلاميٍّ له شخصيـّتُـه، أُخذ عليه انه جوابٌ فارسي في قلب الاسلام، بعد فشلِ كلِّ مقاومة خارجية امام انطلاقة الاسلام الشاب.

ولقد تطرّق عدّة مؤرّخين لهذه المسألة و تشعّبت آراؤهم.

بحسب Goldzeiher، فان التشيّع كان مثل الاسلام، عربي المولد والبيئة [١].

هل يمكن القبول بهذه النظرية؟

رأيُ Goldzeiher مبنيٌّ على الحديث والتاريخ. فقد قال أبو ذرّ: رأيت النبي رابتاً على كتف علي وهو يقول له «**من يحبنا هو العربي ومن يكرهنا هو العلج**» [٢]. كما أنّ الإمام

(١) Goldzeiher: العقيدة والشريعة.ترجمة / ٢٠٥.

(٢) الديلمي: ارشاد II / ٤٧.

الصادق يقول ان الهاشميين والشيعة كانوا عرباً [١].

أمّـا المعطيات التاريخية للأصل العربي للشيعة فهي:

١- معظم أنصار علي الذين ساعـدوه في حروبه كانوا عـــرباً من الحجاز والعراق، ولا وجود لأي شخصية إيرانية كبيرة أو أي قائد إيراني كبير بينهم.

٢-كل الذين كتبوا للحسين لمطالبته بالقدوم الى الكوفة سنة ٦٠ للهجرة بحسب ابو مخنف[٢] كانوا من قادة القبائل العربية القاطنين في الكوفة.

٣- كان أنصار سـليمان بن صُـرَد الخُـــزاعي، قائد التوّابين، عرباً من العراق، عرباً من كل القبائل، والكثيرون منهم من القُــــرّاء، مع غياب تام للموالي [٣].

٤- كانت خراسان حتى بدايةً التوسّع العبّاسي أرضاً للعديد من الناس وأيضـاً أرضـاً للقلوب الخاوية، (يجب ان ننتظر المرسلين لملئها) وكان الإيرانيون إما وثنين وإما سُـنّة. فيما كانت قم المدينة الشيعية االوحيدة بُعيد السنة ٨٣هـ. وقد بناها عرب الكوفة. [بل إنّ وسـط إيران، الذي مركزه

(١) الكليني:الكافي VIII / ١٦٦.

(٢) ابو مخنف:في مقتل الامام / ١٨.

(٣) Wellhausen:الشيعة والخوارج / ١٩٤ M.U.S.J.«les perse du liban»:H.lammens / ٢٣- ٢٩، العناصر الفارسية في لبنان والمشرق / ٦٣٣ - ٦٣٩ و ٧٧٢-٧٧٨ H.Lammens :

مدينة كاشان، كان كلّه شيعياً إماميّاً (المهاجر)].

٥- الأصل العربي لشيعة لبنان ؛ وان كان عدّة مؤرخين قد حاولوا اصطناعَ نسبٍ فارسي لهم، مما يجعلنا نفكر بالفُرس الذين زرعهم معاوية في المُدُن اللبنانية. وبعد نقاش مع الأب lammens، رأى في القبائل العربية في جنوب لبنان (عاملة، لخم، جذام) أجداد متاولة لبنان.

يمكن ان نستنتج من ذلك االولادة العربية للتشيّع [١].

وهذا لا يُبعدُ دخولَ ايرانيين وغرباء آخرين في صفوف الشيعة في السنوات اللّاحقة. فبالنسبة للايرانيين هناك نقاط عديدة تقرّبهم من المذهب الشيّعي ؛ فتعلق الفرس بفكرة الملكية المتوارثة والحق الالهي، وُجِد ما يقابله بالاعتقاد بالامام. من ناحية اخرى، يوجد كُرهٌ من قبل الفرس تجاه عُمَر هادم إمبرطوريتهم؛ كما يوجد قرابة بعض الشيعة من العائلة الملكية الفارسية (زواج الحسين من ابنة يزد جرد الثالث). أضف الى ذلك العلاقات الارستقراطية العربية مع الشعوب الخاضعة لهم، هذه العلاقات أدّت الى انتقال الشعوب المظلومة الى التشيّع.

(١) بحسب c.cahen، التشيّع هو «قضيّة العرب مع عائلة عربية»: Revue historique ص٣٢٠، ١٩٦٣.

كــلُّ هذا لا يكفي. لأننا نريد ان نُحــــدّد هوية الشيعة على الصعيد القبَلي. هل يمكننا ذلك بعد معرفة أُصولهم العربية إن كانوا يمانيين ام قيسيين؟

الشيعة: يمانيون أم قيسييون؟

قبل ختام هذا الفصل، يبدو لي أنّ من الضروري تحديد الهوية القبَليّة للتشيّع. والنتيجة لهذه المحاولة لن تكون إلاّ تقريبيّة، نظراً لعدم الاستقرار السياسي للقبائل تجاه الحُكّام، ونظرا للعديد من الأسباب الشّخصّية التي تجعلُ الكثير من الناس يتركون فريقاً للالتحاق بغيره. يُضاف الى ذلك الصعوبة التي وجدتُها في تحديد هوية حوالي ثلاثين من أصحاب الأئمة.

مهما يكن، فإنّ هذا التحديد سوف يأخذ عـدّة أشكال، ليصِلَ إلى نهايةٍ جزئيةٍ، يمكن أن تقود عملنا الصعب جداً على المستوى المذهبي، الذي نحاول إيضاحه من خلال وضعه على المُستوى القبَلي.

أمّا مراحل تحديد الهوية فهي:

- أنصار الأئمة.
- سياسة القبائل ومواقفها تجاه علي ومعاوية.

الشعراء الشيعة من القرن الرابع للهجرة:

أنصار الأئمة: نبدأ بأنصار الإمام علي[1] الذين آزروه قبل إمامته وبعدها وفي معاركه في الجمل وصفّين:

الرقم	الاسم	يماني	قيسي
١	أبو ذرّ	×	
٢	عمّار بن ياسر	×	
٣	المقدادبن الاسود	×	
٤	حجر بن عدي	×	
٥	مالك الاشتر	×	
٦	سعد بن عباده	×	
٧	قيس بن سعد بن عُباده	×	
٨	سعد بن سعد بن عباده	×	
٩	خالد بن معمّر		×
١٠	معقل بن قيس الرياحي		×
١١	شبث بن ربعي		×
١٢	زيد بن الارقم	×	
١٣	صالح بن حنيف	×	
١٤	البراء بن عازب	×	

(١) ذكرت هذه الاسماء في تاريخ الطبري III، مروج المسعود ي(أ) و (ب) ؛ تاريخ اليعقوبي II، وقد تمّ التحديد من خلال استعمال: الكشي: الرجال، الزركلي: اعلام، كحّاله: قبائل.

الرقم	الاسم	يماني	قيسي
١٥	عبدالله بن بديل	×	
١٦	عثمان بن حنيف	×	
١٧	شريح بن هاني	×	
١٨	عمروبن محسن	×	
١٩	عمرو بن الحمق	×	
٢٠	عدي بن حاتم	×	
٢١	سعيد بن قيس	×	
٢٢	بلال الانصاري	×	
٢٣	سعد بن مسعود		×
٢٤	عبدالله بن عباس		×
٢٥	حكيم بن جبلة		×
٢٦	الوليد بن جابر	×	
٢٧	سعد بن مالك الخدري	×	
٢٨	عقبة بن عمرو بن ثعلبة	×	
٢٩	رفاعة بن رافع	×	
٣٠	يزيد بن هجية التميمي		×
٣١	مالك بن ربيعة	×	
٣٢	جرير بن عبدالله	×	
٣٣	الاحنف بن قيس		×
٣٤	مالك بن التيّهان	×	
٣٥	صعصعة بن صوحان		×
٣٦	أبوأيوب الانصاري	×	
٣٧	خزيمة بن ثابت	×	
٣٨	قيس بن عبيد	×	
		٢٩	٩

بالمقابل اذا قمنا بنفس المحاولة بالنسبة لأنصار معاوية، فإننـا نحصل على الإحصـاء التالي:

الرقم	الاسم	يماني	قيسي
١	حبيب بن مسلمة الفهري		×
٢	أبو الاعور السلمي		×
٣	الوليد بن عقبة		×
٤	ذو الكلاع الحميري	×	
٥	بسر بن ابي أرطأة		×
٦	عبد الرحمان بن خالد بن الوليـد		×
٧	عبيد الله بن عمر بن الخطاب		×
٨	عمرو بن العاص		×
٩	حـمرة بن مالك الهمداني		×
١٠	شرحبيل بن حسنة الكندي	×	
		٢	٨

أمّــا بالنسبة للخوارج:

الرقم	الاسم	يماني	قيسي
١	عبدالله بن وهب الراسبي	×	
٢	الخرّيت بن رشيد السامي		×
٣	اشرس بن عوف		×
٤	هلال بن عنفة		×
٥	الاشهب بن بشر	×	
٦	سعيد بن قفل		×
٧	ابو مريم السعدي		×
٨	مسعر بن فدكة		×
		٢	٦

نستخلصُ من هذه الجداول الثلاثة ما يلي:

بحسب الجدول الاوّل فإن أنصار علي كانوا بغالبيتهم يمانيين. فمن أصل ٣٨ شخصيّة، كان ٢٩ منهم يمانيين و ٩ قيسيين. وبحسب الجدول الثاني، فانه يأتي ليدعم نتيجة الاوّل من حيث أنه يُحـــدّد هوية عشر شخصيات من أنصار معاوية كان من بينهم ٨ قيسيين ويمانيين اثنين فقط.

- يؤكّــدُ الجدولُ الثالث فكرةَ أنّ القيسيين في صفوف علي لم يكونوا على ما يُرام في هذا المحيط. وأنهم كانوا ينتظرون فرصةً للانسحاب والابتعاد عن الهيمنة اليمانية. لقد كانوا منجذبين إلى شخصية الامام الذي نأى عن أي تصنيف قبلي، فتعصّبهم أثناء وبعد التحكيم يمكن ان يُفسَّــر على هذا النحو. لقد كانت صفيّن لحظةَ قاطعةً بامتياز، فالانصار الحقيقيون لعلي (يمانيون بغالبيتهم) بقوا الى جانبه.

- أمّا بالنسبة لأنصار الامام الحسن[1]، فيمكننا الحصول على الجدول التالي:

الرقم	الاسم	يماني	قيسي
١	قيس بن سعد بن عباده	×	
٢	سعد بن مسعود		×
٣	عمرو بن سلمة	×	
٤	محمدبن الاشعث	×	
٥	سليمان بن صرد	×	
		٤	١

أنصار الحسين:

مع مُسلم بن عقيل في الكوفة:

الرقم	الاسم	يماني	قيسي
١	سليمان بن صرد	×	
٢	المسيّب بن نجبة		×
٣	رفاعة بن شدّاد	×	
٤	هاني بن عروة	×	
		٣	١

في البصرة: وهــذه لم تكن مدينة يمانيّة، ومع ذلك فقـد تمكّن الحسين من الحصول على أنصار منها. ولكن من بين القبائل القيسية ذات الميول الخوارجية: تلك حال مالك بن

(١) تاريخ اليعقوبي: II / ٢١٤ – تاريخ الطبري: ٤ / ٢٠١، طه حسين: الفتنة: II / ١٨٢– ١٨٨.

مسمع الشيباني البكري[١].

إن تحديد الهوية القبلية للشيعة تصبح صعبة في هذه الفترة من التاريخ الاسلامي بسبب السياسة البهلوانية التي مارسها المعسكران المتصارعان بهدف الفوز بغالبية القبائل الى جانب قضيته. كان الشيعة الواثقون من اليمانيين يريدون ضمّ القيسيين الى قضيّتهم؛ والعكس صحيح بالنسبة للأُمويين.

وسوف نوضح ذلك من خلال الجدولين التاليين[٢]:

الرقم	توّابون	يماني	قيسي
١	سليمان بن صُرد	×	
٢	المسيّب بن نجبة		×
٣	عبدالله بن وال		×
٤	رفاعة بن شدّاد	×	
٥	عبدالله بن سعد بن نفيل	×	
		٣	٢

الرقم	أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام	يماني	قيسي
١	سعيد بن المسيّب		×
٢	جابر بن عبدالله الأنصاري	×	
٣	عامر بن وائلة (الكناني)		×
٤	سعيد بن جبهان (الكناني)		×
٥	محمد بن جبير بن مطعم		×

(١) معجم كحالّة: II / ٢٢٦.

(٢) يمثل الجدولان الفريقين المتصارعين في اعقاب انتفاضة التوابين.مروج المسعودي: III / ٩٣-٩٤.

الرقم	أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام	يماني	قيسي
٦	القاسم بن عوف		×
٧	حبيب بن ابي ثابت		×
٨	سلمه بن دينار		×
٩	أبان بن تغلب		×
١٠	همام بن غالب		×
١١	سعيد بن جبير		×
١٢	عبدالله بن عطا		×
		١	١١

الرقم	في معسكر ابن زياد	يماني	قيسي
١	الحصين بن نُمير	×	
٢	شرحبيل بن ذي الكلاع	×	
٣	أدهم بن مخارز		×
٤	ربيعة بن مخارق		×
٥	جبلة بن عبد الله	×	
		٣	٢

بالرغم من الصعوبات التي واجهناها في تحديد هُويّة كلّ الشخصيات المُستمالَة، تبقى النتيجة التي حصلنا عليها، وان تكُن تقريبية، على أهميّة كبيرة. ففترة الامام الرابع كانت تمتاز بغالبية قيسية كبيرةٍ جدّاً في أصحابه، ويمكن ان نفسّر هذا الحدث من خلال الصراع القبلي في ذلك العصر، حيث كان الأُمويّون السوريّون يستندون بشكل عام على اليمانيين السوريين لتقوية موقعهم.

أصحاب الامام الخامس محمد الباقر:

الرقم	الاسم	يماني	قيسي
١	محمد بن مسلم الثقفي		×
٢	الكميت بن زيد الاسدي		×
٣	سلمة بن كهيل	×	
٤	الحكم بن عتيبة	×	
٥	حمران بن اعين	×	
٦	جابر بن يرد الجوفي	×	
٧	حجر بن زائدة	×	
٨	عبدالله بن شريك		×
٩	بريد بن معاوية العجلي	×	
١٠	زرارة بن اعين	×	
١١	ليث بن البختري المرادي	×	
١٢	السيد الحميري	×	
		٩	٣

أصحاب الإمام السادس جعفر الصادق [١].

لرقم	الاسم	يماني	قيسي
١	بريدة العجلي	×	
٢	زرارة بن اعين	×	
٣	محمد بن مسلم الثقفي		×
٤	محمد بن علي الاحول	×	
٥	المفضال الجوفي	×	
٦	نصر بن قابوس	×	
٧	حمران بن اعين	×	

(١) المجلسي: البحار – جزء ٤٧ ص ٣١٠- ٣٥٠

لرقم	الاسم	يماني	قيسي
٨	سليمان بن خالد النخعي	×	
٩	ثابت بن دينار الازدي	×	
١٠	ثعلبة بن ميمون	×	
١١	ابو بكر الحضرمي	×	
١٢	الاشجع السلمي		×
١٣	السيد الحميري	×	
		١١	٢

أصحاب الامام الكاظم (١)

الرقم	الاسم	يماني	قيسي
١	علي بن يقطين		×
٢	محمد بن عمير الازدي	×	
٣	محمد بن عيسى	×	
		٢	١

أصحاب الامام علي الرضا (٢)

الرقم	الاسم	يمني	قيسي
١	محمد بن الفضل	×	
٢	عبدالله بن جندب البجلي	×	
٣	اسماعيل بن سعد الاحوص	×	
٤	احمد بن محمد الاشعري	×	
٥	علي بن الحكم الانباري		×
٦	حمّاد بن عثمان الناب		×
٧	خلف البصري	×	

(١) بحار المجلسي جزء ٤٨ –ص ١٧٨ – ١٨٨
(٢) نفسه جزء ٤٩– ص ٢٦٢

الرقم	الاسم	يمني	قيسي
٨	بكر بن محمد الازدي	×	
٩	ابراهيم بن محمد الهمداني	×	
١٠	صفوان بن يحي	×	
		٨	٢

إنّ مُهـمّـة تحديد هوية أنصار مذهب الأئمة الاثنى عشريين بدأت مستحيلة. فالشخصيات المصنفة في كتاب بحار الأنوار[1]، وكُـتُـب السِّيَر المستعملة، لم تستطع الاجابة على السؤال. أما بالنسبة للائمة الثلاثة (الجواد والهادي والعسكري) فقد أمكن تحديد هوية خمس شخصيات وكانت كلّها يمانيّـة.

الرقم	الاسم	يمني	قيسي
١	أيوب بن نوح بن درّاج	×	
٢	أبو القاسم إدريس القمّي	×	
٣	صالح بن محمد الهمداني	×	
٤	ناصر بن محمد الهمداني	×	
٥	عبدالله بن جعفر الحميري	×	
		٥	

(١) بحار المجلسي جزء ٥٠ –ص ١٠٦، ١٩٤، ٢١٦، ٣١٠

نستخلص من هذا كلّه أنه من بين أنصار الائمة المائة واثنى عشر شخصية، ثمانيةٌ وسبعون منهم كانوا يمانيين، وأربعةٌ وثلاثون قيسيين، ما يعني لنا بالنتيجة أنّ سبعين بالمائة من المحيطين بالائمة كانوا يمانيين.

٢- السياسة القبَلية: لقد طُرحتُ المشكلة على مستوى الشخصيات ذوي النهايات المشكوك بها، لأن التزام الشخص مختلف عن التزام الجماعة. والشخصيات المحيطة بعلي ومعاوية قد أثّرت بكلّ الناس، فمن المعقول ان عدّة شخصيات قد اتخذت مواقف مختلفة عن مواقف قبائلها. سنحاول الآن ان نتفحّص المسألة من زاوية مختلفة، مرتكزين على تصرُّف القبائل حيال القضية الشيعيّة.

من الصعب رسم خط بياني للقبائل في علاقتها بالتشيّع، لأن مواقفها المتأثرة بعدّة دوافع كانت غير مستقرة.

فالبحث سيكون محصوراً بفترة بداية التشيّع: بداية الصراع بين علي ومعاوية. يمكن للرسم البياني ان يمتدَّ إذا اخذنا هذا الاستنتاج كنقطة ارتكاز بنحوٍ تراكميٍّ في الأقسام الاخرى.

سيكون عــملُــنا التالي تحليلَ الموقف القبَلي تجاه التشيّع، ومناقشة ذلك إذا لزم الأمـر، ابتغـاءَ الوصول الى بداية ما يمكن تسميته خطاً بيانياً للعلاقة القبّـليّة – الشـيعيّة.

أ– حول اليمانيين المؤيدين لعلي:

لقد ركّز معظم المؤرخين الذين عالجوا هذه المسألة على الطابع اليماني للتشيّع. كانت تلك حال حتّي وزيدان. وكان يبدو أنّ اليمانيين كانوا اكثر تهيئةً لتلقّي هذا التيار لسببين أساسيين فيما يـدو، همــا:

- الأول: لقد كانوا قبل الاسلام من النصارى القائلين بالطبيعة الواحدة للمسيح، فجذبهم التشيّع من حيث أن مفهوم الامام كان قريباً من مفهوم المسيح عند القائلين بطبيعته الواحدة.
- الثانــــي: أنّهــم أتـوا من أماكــن تعـرّفت على الطابع السياسي والروحي للملكـــيّة. فمن هنا بدتْ لهم فكرة الإمامة مقبولة.

ويمكن للاقامة الشيعيّة في الكوفة [١] أن تساعدنا على هــــذا الصعيد. فالقبائل التي كانت تسكنها كانت يمانيّة في

(١) كان الكوفيون كثرا مع علي في صفيّن: مروج المسعودي (II (A، ص ٣٦٧.

غالبيّتها [١]؛ كما يمكن أن نصلَ إلى الاستنتاج نفسه في حمص، التي كان يسكنها اليمانيون، والتّي كان سُـكّانها في صفوف علي في صفّين. [كـذا !، وهذا خطأٌ فادحٌ جدّاً بالتأكيد. فلقد كانت حِمْيَر يمانيّة بالفعل، ولكنّها كانت عماد عسكر معاوية، وليس عليّ، في صفين. وهذا ينفي الاستنتاج التالي (المُهاجر)].

لقد كانت غالبية اليمانيين إلى جانب علي في صفيّن [٢]. وقد أعلن معاوية عن نيّته الانتقام من أشرافهم أمام عدي بن حاتم [٣].

لقد توصلنا بشكل عام الى تحديد مواقف وتصرُّفات القبائل تجاه التشيّع على النحو التالي:

أ- **الأنصار**: منذ بداية الصّراع، أي يوم السقفية، حاول عربُ الجنوب اليمانيّون (الانصار= الأوس والخزرج) الفوز بسلطة ما من خلال الترشّح للخلافة. ولكنّ غيابُ علي لانشعاله بتجهيز النبيّ، وتضامُن الشخصيات الشمالية (القيسيّة) الحاضرة، قادت أبو بكر إلى الخلافة.

---

(١) البلاذري:فتوح / ٢٧٦ (طبعة القاهرة ١٩٣٢)، Wellhausen:الشيعة / ١٦٠.

(٢) تاريخ اليعقوبي: II / ١٨٩، زيدان:تمدّن IV / ٦٦-٦٧.

(٣) مروج المسعودي III (A) / ١٣.

ويُحتمل أن يُفسّر تحالف عرب الجنوب مع علي على أنه دعمٌ للشخص الاقرب للنبي، والذي يستطيع أن يُطالب بحقوقهم أمام المجموعة القرشية.

كان الانصار من حزب علي جاهزين للقتال دعماً لقضيّته. وكان يوجد اثنان من الانصار فقط في صفوف معاوية هما النعمان بن بشير ومسلمة بن مخلّد. [ولكنّ هذه الإحصائيّة لا تعني أبداً أنهم كانوا «**جاهزين للقتال «مع الإمام** عليه السلام . **بل إنّما هم كانوا يُعبّرون بموقفهم عن رفضهم لِما يخصّهم من نتيجة يوم السقيفة التي حرمتهم من أدنى حصّة في السُلطة (المهاجر)**].

لقد فتك الانصار[1] بالجيش السوري في صفيّن. ولقد قادت ضغينة الانصار المستمرّة تجاه العائلة الحاكمة الأُموية الشاعر التغلبي الاخطل الى هجائهم في قصائده.

ب- الطائيون: كانت هذه القبيلة مع الامام، من خلال الموقف الذي اتخذه زعيمُها عدي بن حاتم. وقد قاتلت بغالبيتها مع علي في معركتي الجمل وصفيّن[2]؛ وسوف يفسّر تشيّعُها تحالفَها فيما بعد مع الحمدانيين.

---

(١) Lammens : حكم معاوية / ٤٠٠ – ٤٠١

(٢) مروج المسعودي (II (A / ٣٦٧، كحالة: معجم القبائل II / ٦٩١

ج- **كندة**:كانت كندة مع علي، وكان قائدها الاشعث بن قيس. ولا يمكن الحكم على موقفهم بشكل مغاير بالرغم من علامات الاستفهام حول تصرفها حيال التحكيم [١].وقد قاتلت كندة ضد عبيد الله بن زياد.

د- **غسّان**:انتقلت الى صفوف انصار علي منذ الخلاف بين جبلة بن الايهم وعمر.ويدّعي طويل [٢] أنّ الغسّاسنة هم أجـداد العلويين.

هـ- **بجيلة**:كانت مع علي سنة ٣٧ هـ/٦٥٧ م وقاتلت مع المختار سنة ٦٧ هـ/ ٦٥٧ م [٣].

و- **خزاعة**: قاتلت مع علي سنة ٣٧ هـ [٤].

ز- **مذحج**: كانت في صفيّن مع علي تحت قيادة الاشتر[٥]. وناصرت مسلم بن عقيل في الكوفة [٦]، وكذلك المختار.

ح-**هـمْـدان**: ناصرت عليا في صـفـيّـن[٧]، وبحسب

---

(١) Willhausen : الشيعة... ٥ – ٧.

(٢) كحالة: القبائل I / ٦٥.

(٣) طويل: العلويون / ٥٣-٥٤و٢٥٣.

(٤) كحالة:قبائل / ٣٣٩ .

(٥) Willhausen : الشيعة... /١٠٥ ؛ lammens: معاوية / ١١٨، كحالة:قبائل III / ١٠٦٢.

(٦) طه حسين: فتنة II / ٢٣٨.

(٧) Willhausen : الشيعة... / ١٠٥.

Massignon، فقد كانت هذه القبيلة المهمة شيعية بالكامل [١] . وقد جهد عليٌّ على ضمّها.

ط- تنّوخ: بميولها الشيعيّة، بحسب طويل، فقد كانت شديدة التعصّب لعلي بحيث أصبحت فيما بعدعلوية[٢].

ي- نخع: كانت في صفيّن مع علي [٣].

ك- همْدان بن مالك: لقد كان كل هؤلاء التابعين تقريبا متحمّسين لعلي واولاده. وكان منهم في صفين اثنا عشر ألفا في صفوفه [٤]. [كذا ! ولكنّ هؤلاء هم أنفسهم الهمدانيّون الذين سبق ذكرهم قبل قليل (المهاجر)].

٦- القيسيون المؤيدون لمعاوية:

على العكس، فقد كان القيسيون في المعسكر الآخر. مع معاوية القائد القيسي القرشي بامتياز وممثل السلطة المكيّة.

قريش: كانت بغالبيتها مع معاوية. وكانت مخزوم تحمل راية الجيش الشامي في صفيّن[٥].

---

(١) Massignon: خطط / ١٦.

(٢) طويل: العلويون / ٢٧٤ – ٢٧٥.

(٣) كحالة: القبائل III / ١١٧٦.

(٤) J.Schleifer – W. M ontgomery watt، art Hamdan E. I–٢، p III. ١٢٥ – ١٢٦ .

(٥) Lammens: معاوية / ٤–٥.

سكيم: تحالفت مع الامويين[١].

ثقيف: كانت مناصرة للامويين[٢]، واعطت للخليفة السوري واحدا من رجالها الاكثر شُهـرة: الحجّاج.

ظبة بن عود: متعصّب ضد علي في يوم الجمل [٣]

كما يمكننا ان نذكر أسد بن خزيمة بين آخرين.

لقد كانت المسألةُ موضوعَ نقاشٍ حادٍّ على صعيد القبائل. فمن جهة نجـدُ قيسيين مع عليٍ، ومن جهة اخرى نجـدُ يمانيين مع معاوية. فكيف يمكن ان نفسّر هذه المواقف المناقضة لِما سبق وبرهنّاه؟

ان التناقضات القبَـليّة، بالإضافة إلى الشخصيات التي كانت مع علي ومع معاوية، كذلك مواقع القبائل، قد لعبت دوراً كبيراً في تعقيد الصورة. فقيـــس عـيلان كانوا مع علي، لا لشـئ إلا لأنّ بني كلب كانوا مع معاوية [٤] ؛ أمّـا تغلب (الجزيرة) وبكـر (الجزيرة والعراق) فقـد تبّنتا موقفاً مؤيدا لعلي [٥] أيضاً لا لشئ إلا لأنّها كانت قريبة من مركزه في (الكوفة).

---

(١) Willhausen: الشيعة / ٧٥.

(٢) Lammens: معاوية / ٥٠، Brukelmann: Peaples / ١١٩..

(٣) مسعودي: مروج (II (A / ٣٧٥ ؛ الامين: فجر ص ٢٦٧ ؛ كحالة: القبائل III ص ٦٦٢.

(٤) A.Fischer art قيس عيلان طبعة ١، II / ٦٩٢ – ٦٩٨.

(٥) Lammens: معاوية /١١٨.

بالمقابل فان القيسيين المؤيدين لعلي، فقد حاولوا الانسحاب من صفوفه، فأخذوا موقفا قاسيا من قضيّة التحكيم، وبذلك عقّدوا مهامّ الامام بتحوّلهم إلى خوارج، وبترْكِ مكانِهم للغالبية اليمنية المُساندة للإمام علي. لقد كان ذلك نوعاً من التّرْك المنطقي من قِبَلهم لعلي. فأصبحوا ضدَّ اليمانيين وضدَّ الشيعة وضدَّ الامويين في حالٍ معاً؛ تلك كانت حال تميم [١] وشيبان وبكر بن وائل.

وكان التغلبيون القيسيون النصارى مع الأُمويين عندما كان هؤلاء يمارسون سياسة متسامحة مع النصارى، ثم صاروا ضد الامويين بعد إلغاء معاوية عهده في هذا المجال.

إنّ الانجاز السياسي الكبير لمعاوية، على صعيد شبكة علاقاته السوريّة، كان في سياسته العاملَة على التحالف مع السوريين اليمانيين ذوي السلطة الكبيرة في القطاع الشرقي لسوريا. وقد توصّل الى ذلك بزواجه من امرأةٍ كلبيّة ، وبالتزامه سياسة التسامح مع النصارى العرب وإدخالهم في شوؤن وقنوات الدولة.

فقبائل كلب ولخم [٢] قاتلت معه ضد علي والعراقيين.

(١) Willhausen : الشيعة... / ٧٥ ؛ Brukelmann: Peaples / ١١٩.

(٢) كحالة: القبائل III ص ١٠١٢

مهما يكن، فممّا قُلناه نستطيع استخلاص أنّ غالبية اليمانيين كانوا مع علي، بينما غالبية القيسيين ساندوا معاوية. اما التحفّظات على هذا الاستنتاج فقد أتت ممّا أتيتُ على ذكره من تعقيدات، ومن السياسة الذكية لمعاوية مع اليمانيين، كذلك من مكانة علي بالنسبة للمؤمنين القيسيين.

الشعراء الشيعة [1] حتّى القرن الثالث للهجرة:

الرقم	الاسم	يمني	قيسي
١	أبو الاسود الدؤلي		×
٢	ابن مفرغ الحميري	×	
٣	عامر بن واثلة		×
٤	سديف بن ميمون	×	
٥	مالك الاشتر النخعي	×	
٦	ابو الهيثم بن التيهان	×	
٧	عمربن حارثة الانصاري	×	
٨	عبدالله بن ابي سفيان		×
٩	سعد بن قيس الهمداني	×	
١٠	زياد بن لبيد الانصاري	×	
١١	حجر بن عدي	×	
١٢	خزيمة بن ثابت الانصاري	×	
١٣	ابن بديل	×	

(١) العرفان: الشعراء الشيعة ١٩٢٢ – مجلد ٧ – ص ٩١- ٩٦ و ١٦٣ – ١٦٦

فمن بين اثنين وعشرين شاعرٍ شيعي في القرون الثلاثة الأُولى للهجرة، سبعة عشر منهم كانوا يمانيين وخمسةٌ فقط قيسيين.

نستخلصُ بعد هذا البحث المُختصَر، على الشخصيّات والقبائل والشعراء، أنّ اليمانيين كانوا بالإجمال مُنجذبين نحو التيّار الشيعي الذي كان قريباً حضاريّاً منهم.

الفصل الثّاني

التشيّع في سوريا الرّاشدية
وفي سوريا الأموية

من المستحيل البحث في تاريخ سوريا أو تاريخ التشيّع في سوريا في القرون الوسطى بدون دراسة موقع القبائل العربية في سوريا وعلاقاتها مع التشيّع. وذلك لإستخلاص شيء ما: لقد كانت سوريا في القرون الوسطى كياناً في طور التشّكل، فمن الضروري فهم تشكّلها للوصول الى التحوّل الذي سيطرأ عليها فيما بعد.

لذلك ومن طبيعة علاقة التشيّع مع اليمانيين، سوف نحاول رسم صورة لسوريا العربية قبل وبعد الفتح الإسلامي.

ا- سوريا العربية قبل الفتح:

لقد كانت الجزيرة العربية الخزّان البشري الذي يُغـذّي على الـدوام الهلال الخصيب. وكانت سوريا المنتجع الإجباري، كما حصل بعد انهيار سـدّ مأرب، أو الطبيعي

الذي تُمليه حاجةُ البحث عن مراعي جديدة. وسوف يقود هذا وذاك إلى امتدادٍ عِـرقيٍّ نحو شمال الصحراء العربية منذ العصور القديمة.

لقد سُجّل حضورٌ عـربيٌّ بين فلسطين ومصر في العهد الأشوري (القرن الثالث عشر قبل الميلاد). كما أن العرب عاشوا في جبل عامل بين جويا وتبنين[١] في عصر الإسكندر الكبير. وكان قطاع غـــزّة في فلسطين عربياً وكان العرب يحتلون لبنان[٢]. وفي أواخر عهد السيلوسيين كانت حمص ودمشق محكومتيَن من قبل أُمراء عرب[٣]... وفي العصر الروماني، نذكر دولة الأيطوريين التي احتلت في ذلك الوقت منطقة جنوب وشرق دمشق. وكانت حرمون منطقةً مُهمّـةً من البقاع بما في ذلك بعلبك وعنجر.

مهما يكن من أمر، فإن وجود العرب في سوريا قبل الفتح، هو حقيقة دامغة ومقبولة من قبل كل المؤرّخين. وسوف يتجذّر وجودهم في تاريخ هذه المنطقة لدرجة صارت فيها التفرقة راسخةً بين المجموعتين العربيتين:

(١) بحسب المؤرّخ اليوناني أريانوس: ح. الأمين، جبل عامل حتى الإحتلال الصليبي.العرفان، ١٩٦٨، ص٣٤٨

(٢) كرد علي: خطا. ا ص ٦٣

(٣) أ.إسماعيل: لبنان ص ٤٣

مجموعة شبه الجزيرة ومجموعة سوريا. وكان عرب سوريا مُتعالين، ويعاملون عربَ الجزيرة على أنهم بدو رحّل تفوح منهم رائحة تذكّر برائحة التيوس، وتعزل العطر المتأتّي من المسك وسائر العطور الأخرى المركزة والزّكيّة. [١]

يدّعي المؤرخون أن العرب السوريين كانوا يمانيين بغالبيّتهم[٢]، هذا رأي Demombynes وأسود وحتّي وآخرين. وسوف يُعتمد هذا الرأي في هذه الأطروحة قبل وبعد الفتح.

ولقد كرّس محمد كُرد علي في كتابه «**خطط الشام**» بحثاً خاصاً بسكان الشام، حيث تحدّث عن قبائل عربية وموقعها في هذا البلد[٣]. ومن بين ٢٣ قبيلة مذكورة، كانت ٧ فقط قيسية و١٦ يمانية:

(١) الأصفهاني: الأغاني VIII ص ١٣٨

(٢) Demombynes : سوريا ص ١٤ / أسود: ذخائر ص ١٣٦ / حتّي: سوريا II ص ١٥٠

(٣) كرد علي: خطط I ص ٦١ – ٦٧

الرقم	القبيلة	يمانية	قيسية
١	غسان	×	
٢	تنّوخ	×	
٣	لخم	×	
٤	جهينة	×	
٥	ذبيان		×
٦	جذام	×	
٧	عاملة	×	
٨	كلب	×	
٩	كنانة		×
١٠	بهرا	×	
١١	طيء	×	
١٢	كندة	×	
١٣	حمير	×	
١٤	همدان	×	
١٥	إياد		×
١٦	عُذرى	×	
١٧	زُبيد	×	
١٨	صُليح	×	
١٩	يعسوب	×	
٢٠	قيس		×
٢١	مرّة		×
٢٢	ظبّه		×
٢٣	ربيعة		×
		١٦	٧

لقد كان التسـرّب القيسي إلى سوريا ضعيفاً، بالقياس إلى الواقع اليمني القويّ، الذي كان راسخاً قبل الفتح. وقد استقرّ القيسيون في مناطق سوريةٍ قريبةٍ من الجزيرة العربية، من مثل فلسطين: (قيس وكنانة)، والجولان: (مُرّة)، بين تيماء وحوران: (ذبيان). وحتى في هذه المناطق نلاحظ أن القيسيين كانوا مبثوثين بين اليمانيين، ولم يُشكّلوا قطاعاً قيسيّاً خالصاً خاصّاً بهم. بل على العكس، كانوا أقليّاتٍ في عالَم يمانيّ كبير. ففي دمشق وغوطتها كان اليمانيّون حاضرين على مقربة من القيسيين. ويمكن أن نلاحظ الشيءَ نفسَه في المنطقة الممتدّة من الرملة إلى نابلس، حيث كانت قبيلة لخم مع قبيلة كنعان. وبين تيماء وحوران كانت قبيلة ذبيان القيسيّة مُتساكنةً مع قبيلة طيء اليمانية.

نستنتج من ذلك أن سوريا ما قبل الفتح كانت يمانية بمجملها.

ولكن يجب أن نذكر هجرةً قيسيةً مُهمةً استقرت في منطقة الجزيرة، وأعطت أسماء القبائل المُكوّنة لهذه الجماعات للمنطقة التي قسّمت الى ثلاثة ديار: ديار بكر،

ديار ربيعة، ديار مُضَر. وقد أفلتَ عربُ الجزيرة من أي تصنيف دين – سياسي [١] لأنّ أراضيهم قد اجتيحت من قبل مختلف التيارات الإسلامية بمظاهرها السياسية الأكثر نشاطاً منذ العصر الأموي.

٢- الطابع القبَلي لسوريا أثناءَ وبعدَ الفتح:

فتح سوريا: لقد شجّع الإسلامُ الهجرةَ إلى سوريا. ولكي يكون هذا التشجيع قيّماً فقد أوصى به الرسول [٢]، الذي قيلَ أنّه عدّد أربعة جبال في الجنة اثنان منها سوريان: لبنان وقاسيون. [كلُّ ذلك وغيره وردَ بالفعل في نصوصٍ مُحرّرةٌ معروفة. ولكنّ هذه الرّواية وأمثالها هي من باب أحاديث فضائل البلدان، التي لا ترقى من حيث الوثاقة إلى الدّرجة التي يُبنى عليها نتيجةٌ كبيرة، من الحجم الذي وصل إليه د. حماده هنا (المهاجر)].

ويبدو أن الحكومة المركزية في المدينة قد أرسلت جيوشاً وامداداتٍ يمانية لغزو سوريا. والظاهر أنّ السببَ في هذه السياسةٍ راجعٌ إلى غالبية العرب في سوريا كانت

---

(١) سيثبت هذا الإستنتاج منذ العصر الحمداني.

(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق ا ص ٤٧ – ٨٩ – ١٢٠ – ١٢٢.

يمانية، ولمنع أي صراع بين القيسيين واليمنيين من جهة، ولإلحاق اليمانيين السوريين بإخوتهم اليمانيين.

ويمكن ملاحظة هذا السلوك نفسه عند خالد بن الوليد مع زعيم غسّان جبلة ابن الأيهم ورجاله الستين ألفاً، عندما أرسل له خالد مجموعةً من اليمانيين المسلمين: قيس بن سعد، عبُادة بن الصامت، جابر بن عبد الله الأنصاري، وخالد بن يزيد، ابتغاءَ التأثير على اليمانيين النصارى وإلحاقهم بإخوانهم المسلمين[١]. كذلك كان حالُ جواسيس الجيش العربي – البيزنطي، فقد كانوا جميعاً يمانيين، وحاولوا استخراج معلومات من إخوانهم اليمانيين الذين كانوا في المحور المُقابل.[٢]

(١) الواقدي: فتوح I ص ١٥٤.
(٢) الواقدي: الفتوح II ص ١٧.

جداول الشخصيات الذين كانت ذات أهميّة في الفتح :

اليمانيون:

- سالم بن ذؤيب الأسلمي
- ورقة بن مهلهل التنوخي
- جابر بن عبد الله
- كنانة بن مبارك
- قيس بن حُبيرة المرادي
- قيس بن سعد
- هلال بن بدر الطائي
- عدي بن حاتم الطائي
- مالك الأشتر
- معاذ بن جبل
- السّمط بن الأسود الكندي
- شرحبيل الكندي
- رافع بن عميرة الطائي
- عبادة بن الصامت
- مصعب بن محارب اليشكري
- هلال بن مرة اليشكري

- عمرو بن معد يكرب الزبيدي
- ذو الكلاع الحميري
- أوس بن عامر الحازمي
- أبو حامد بن سراقه الحميري
- رفاعة بن زهير
- عمار بن ياسر
- المقداد بن الأسود
- جابر بن حول الربيعي
- عامر بن وهب اليشكري [١]

القيسيّون:

- إياد بن غنم
- عبد الله بن حذافة الشامي
- عامر بن الطفيل
- حبيرة بن مسروق العبسي
- ميسرة بن مسروق العبسي
- مسلمة بن سيف اليربوعي
- المسيّب بن نجبه الفزاري

(١) أخذت هذه الشخصيات من فتوح الواقدي.

- سهل بن عساف
- سعيد بن عامر الجمحي
- سهيل بن صباح العبسي
- الوليد بن عقبة
- الفارغ بن المسيّب التميمي
- فزارة بن مراد العوفي
- القعقاع بن عمرو التميمي
- صفوان بن المعطل السلامي
- ضرار بن الأزور
- حبيب بن مسلمة

نستنتج من ذلك أنه كان هناك نوع من التوازن المقصود في اختيار تلك الشخصيات، بحيث لا تتم خسارة لاهذه ولا تلك من المجموعة العربية.

ففي قرية اعزاز مثلا، وهي في شمال سوريا، تمّ اختيار مائة فارس من القبائل (عشرة فرسان من كل قبيلة). واللاّفت للمُدقّق هو التوازن القائم في العهود وفي اختيار أبناء القبائل[١]. فنذكر خمس قبائل يمانية: (طيء، خزاعة،

(١) الواقدي: فتوح ا ص ٢٥٨ – ٢٥٩.

الحضارمة، حمير، مُراد) وأربع قيسيّة: (فهر، نمير، بهلة، تميم).

إنّ هذا الاختيار يُفسّر سياسة الفتح، بأنّ عرب الشمال كانوا على رأس الحكومة المركزيّة.

ولكن إذا نحن قرأنا الواقدي بطريقةٍ أُخرى مُختلفة، وإذا تابعنا عنده جيش الفتح وتركيبته القبَلية، سوف نصِلُ إلى إيجاد واكتشاف آثار السياسة المركزيّة بنحوٍ أفضل.

إن مساهمة عرب الجنوب بالفتح كانت حماسيّةً. فمنذ عهد أبي بكر، أظهرت القبائل اليمانية اهتماماً بأن تكون في خدمة الإسلام وفي الجهاد. تلك كانت حال حمير ومذحج وطيء وأزد وعبس[١]، بينما كانت القيادة قيسية. مثالٌ آخَر: جيش خالد الذي توجّه نحو العراق ثم انعطف إلى سوريا، فقد كان مؤلفاً من قبيلتي لخم وجذام[٢]. وكان الجيش الذي أرسله خالد إلى ما بعد حمص مؤلفاً من قبائل لخم وجذام وطيء وكهلان[٣]. أمّا جيش أبو عبيدة فقد كان يمانياً بغالبيته[٤]. حتى تعزيزات هذا الجيش كانت

(١) الواقدي: الفتوح ا ص ٨

(٢) المصدر نفسه ا ص ١٦.

(٣) المصدر نفسه ص ١٠٠.

(٤) المصدر نفسه اص ٢٢٨.

يمانية (أنصار)[١]. وجيش فلسطين كان أيضا يمانياً [٢].

لقد ساهم اليمانيون برفْـــد الجيش المُسلم في كل مـــرةٍ وجـــدَ المسلمون أنفسهم بخطرٍ وشيك. تلك كانت حال الطائيين الذين توجّهوا إلى الشام وعلى رأسهم هلال بن بدر الطائي، وذلك في أعقاب الأحداث بين طائيّي منطقة حلب والبيزنطيين [٣]. فعند وُصول كتاب أبي عبيدة إلى عمر طالبا الدّعـــم، توجه ستة آلاف يماني إلى الشام مع جواب الخليفة، وكانوا من حضرموت وهمْـــدان وسبأ ومأرب[٤].

لقد كانت المساهمةُ كثيفةً وفعّالةً في معركة اليرموك على عدة صُعُـــد: تركيبة الجيش، دور النّبّالة، مراقبة الخطوط الخلفية وبدء الحرب. ولعبت هذه العوامل دوراً مُهمّاً في السيطرة على دمشق [٥] كذلك على الجزيرة وحمص. لقد قدّم اليمانيون الكثير من التضحيات لمجد الإسلام. فالبعض منهم، متحمّسين ومتعصّبين، دفعوا حياتهم في عـــدة مواقف، في اليرموك كان الضحايا العشر الأوائل من

---

(١) طويل علويون ص ٩٧.

(٢) الوافدي: الفتوح ص ٢١٣ – ٢٤١ – ٢٤٤ – ١٦٤ – ٢٤٥.

(٣) الواقدي: الفتوح ص ٢١٣ – ٢٤١ – ٢٤٤ – ١٦٤ – ٢٤٥.

(٤) الواقدي: الفتوح ص ٢١٣– ٢٤١ – ٢٤٤ – ١٦٤ – ٢٤٥.

(٥) الواقدي: الفتوحا ص ٩٧.

اليمانيين: اثنان من حضرموت، واحدٌ من الأنصار، ثلاثة من بجيلة، واحد من مراد، وثلاثة من عسفان.

كذلك في موضوع حمص، فقد قدّموا مائتين وخمس شهداء من حمير وهمْـــدان، بينما لا نحصي سوى ثلاثين شهيدا مكّيّـا (١). كما أُسر عـدة يمانيين ; ولا ننسى دور المرأة اليمانية التي حاولت أن تكون إلى جانب زوجها في واجبه: ففي معركة دمشق، قتلت النساء اليمنيات ما يقارب ثلاثين فارساً بيزنطياً (٢). وكثيرات منهن وقعن أسيرات لدي البيزنطيين. نذكر عـــــدةَ أسـيرات قرب دمشق، وكانت الغالبية من حمير ومن تُـــبّع، منهنّ عفراء بنت غفار (٣).

لقد أفتتح فتحُ دمشق عهداً من الهجرة جاءت أثنــاءَه قبائل عربية بأعداد متنامية للاستقرار على الساحل السوري – اللبناني وفي الداخل ممتزجة بالسكان الأصليين. فاليمانيون الذين خرجوا من شبه الجزيرة ابتغـاءَ الغــزو، قــد انضمّوا إلى أخوانهم السوريين بُغية تشكيل مجتمع كبير في سوريا ذي غالبية يمانية.

---

(١) نفس المصدر ص ١٤٤.

(٢) نفس المصدر ص ٤٨.

(٣) الواقدي: فتوح ا ص ٤٧.

لكن هــذا المجتمع الجـديـد ظلّ مُشاكساً بعض الشيء، ذلك لوجود بعض الحواجز بين الأخوة، فالبعض منهم كانوا نصارى، في حين كان البعض الآخر منهم مسلمين. هذا الواقع أنشـأ ضرورةَ أسلمة الأخوة الضائعين، لصَهْـــرهم فيما بعـــد في بوتقةٍ جامعةٍ ضمن الهدف المشترك.

بالقياس على السوريين النصارى، فقد ظلّ اليمانيون الجُـــدُد أقليّةً أثنـاءَ العصرين الراشدي و الأُموي. أمّـا في نهاية العصر الأموي وأثنــاءَ العصر العباسي، فقد أدّى اتحاد اليمانيين على الصعيد الديني تحت رايــة الإسلام، إلى اتحادٍ اتخذ توجُّها سياسيا دينيا.

هل يمكننا أن نجد شيعة في هذه الأرض المناسبة للتجـــذُّر من الناحية القبَلية؟

٣- الشيعة في سوريا في العصر الراشدي.

أ- المدينة الآمنة / الهادئــة: بعد وفاة النبي، كانت في المدينة مجموعة من الصحابة، على رأسهم العباس، والهاشميون عناصرها الأساسيون[١]. كانوا جميعا

(١) م. الأمين: خطط: ص ٦٦: ظل الحجاز المكان المفضّل للعلويين. كما هي: وجهات نظر حول الثورة العباسية: المجلة التاريخية ١٩٦٣ ص ٣٠٢.

موالين لعلي، كذلك الـزُّبـيـر. وإن تكُـن هـذه المجموعة قد ضمّـتْ أيضاً حوالي [كـذا ! ولم نفهم معنى لهذا التشكيك. فقد كانوا أربعةً دون أدنى ريب (المهاجر)] أربعةً من أنصار علي: سلمان الفارسي، أبو ذر الغفاري، المقداد بن الأسود الكندي وعمّار بن ياسر. وقد نَمَت هذه المجموعة خلال عهدي الخليفتين أبي بكر وعُمَـر. وناهز عـددُ أفرادها الألف شيعي مع بداية عهد عثمان [١].

هذا التعلّق بشخص علي[٢] كان مرتكزاً على الأحاديث النبويّـة، التي كان منها في المقام الأول حديث بيعة «**غدير خم**» وحديث «**أنامدينة العلم**»، وعلى فضائل الأمام علي الكثيرة وتضحياته الجمّـة في سبيل الإسلام.

وبالرغم من حصول التشيع على منطقة نفوذ في المدينة، إلاّ أن أنصار علي ظلوا هادئين، بالرغم من رفض علي لبيعة أبي بكر لسنة كاملة. ويفسر هذا الموقف بنقطتين:
الأُولى– لم يكن حُكـم الخليفتين أبي بكر وعمر إلاّ استمراراً

(١) نذكر من شيعة تلك الحقبة: حجر بن عدي، ميثم التمار، كميل بن زياد، عمرو بي الحمق، رُشيد الهجري، سليمان بن صرد الخزاعي.
(٢) محمد جواد مغنية: الشيعة والتشيع ص ١٠٤.

لخط النبي[١]. فقد سارا على خُطاه على درب الإسلام نظرياً وعملياً، مما قطع الطريق أمام أي تذمُّــر، على الأقل ظاهرياً، في صفوف أنصار علي. أضِــفْ إلى ذلك أن مشورة علي للخليفتين عنـد الضرورة كانت محترمة.

الثانية- ارتكــزت حكومة أبي بكر [٢] وعمر [٣] على إرسـال بني عبد مُناف الأكثـر حراكاً إلى ســوريا (معاوية ويزيد ابني أبي سفيان) لتلافي أي تحالُف بين أبناء عبد مناف، وعلى مراقبة الهاشميين في المدينة مع اقصائهم عن السلطة.

ولكن مع مجيء عثمان، اتخذ أنصارُ علي موقفاً آخَـر بررته الاتهامات بشأن سياسة عثمان، وبالأخص محاباته للأقارب وإدراة الشؤون المالية، كذلك موقفـه مــن الإمام علي.

وهكذا فإن سياسة عثمان [٤] قد شجعت إعلان الآراء للإعتراف بإمامة علي. تلك كانت حال الحجاز. بينما كانت سوريا اليمانية بين يدي معاوية المخلص لحاكمه.

---

(١) م. كاشف الغطاء: أصل الشيعة ص ٩١: كاهن R.H ص ٢٩٩.

(٢) H. lammens: دراسات حول حكم معاوية ص ١٥٨-١٦٠.

(٣) تخالف أُسرتَي تيم وعدي.

(٤) محمد جواد مغنية:الشيعة والتشيع ص ١٠٨.

لكن ذلك لا ينفي وجود التشيّع السوري[١] في عهد عثمان وعلي بشكل غير مؤكد وغير مُحَــدّد.

لقد كان حكم علي العصرَ الذهبي للشيعة [٢]، وبالأخص بعد انتصارَي الجمل وصفين [كـذا ! وغريبٌ حقّاً أن يرى مؤرّخٌ في نتيجة صفين انتصاراً للإمام (المهاجر)]. وإن كانت الثانية قد انتهت إلى تصدُّعات خطيرة في الإسلام بشكل عام وبين الشيعة بشكل خاص وبدا العراق مركزاً شيعياً بامتياز.

ب - أسباب غياب الشيعة (أنصار علي) عن سوريا في عهدي أبي بكر وعُمر: إن المعطيات التي حالت دون إعلان الإمام التشيّعَ في الحجاز في ذلك الأوان، ظلّت عائقا أمام التشيع في سوريا. يُضافُ إلى ذلك الوجودُ الأُمـوي في هذا البلد. وكانت المنافسة بين الأمويين والهاشميين تعود إلى الحقبة الجاهلية. إنّــه الصراع التقليدي بين آل عبد شمس والهاشميين، عند شعب لم يستطيع أن يُفَـرّق بنحـوٍ موضوعيٍّ بين المسألة القبَلية والمسألة الدينية.

(١) كانت كلمة شيعي في الازمنة الاولى تعني فقط مؤيد علي.

(٢) محمد جواد مغنية: الشيعة والتشيع ص١٠٨.

كما يجب أن نُشير إلى غياب أي تواصل بين شيعة ذلك العصر وبين اليمانيين السوريين، الذين كانوا ما يزالون نصارى حين ذاك. لذلك يجب أن ننتظر حتى تتمّ أسلمة سوريا.

ومن بين الأسباب الأخرى لغياب هذا التواصُل، يمكن أن نذكر سياسةَ الحُكّام الأمويين تجاهَ القبائل العربيّة السوريّة. فقد فهموا ضرورة الاستناد على القبائل السورية، التي كانت الأكثر تقدُّما على الصعيد السياسي، بالقياس إلى بدو شبه الجزيرة. وبالمقابل فإنّ القبائل السوريّة تبنّوا سياسة حُكّامهم، وذلك حِفاظاً على مصالحهم. وبذلك نشأ وضعٌ مُتماسكٌ غير قابلٍ للاختراق.

ج- الشيعة على عهد عثمان: أولُ اتصالٍ مؤيدٍ لعلي مع السوريين.

بقدر ماكان ظلمُ الحُكّام واحداً من أسباب رجحان كفّة التشيع[1]، وكان تصرُّف الخليفة عثمان مع أبي ذر الغفاري[2]، الرجل المستقيم والصادق، قد افقده دعْمَ جزءٍ من

(١) محمد جواد مغنية: حاكمون ص ٢٣.

(٢) الطبري: تاريخ III ص ٥٦٧ Houstma,E.I,I, P 85 A et B.Robson,E.I,2,I P 118 A...

السوريين. فأبو ذر المنفي في بلاد الشام [١]، حثّ الأغنياء على مساعدة الفقراء، وبفضل سُمعته في نشْــر الأفكار التشيعيّة والاجتماعية لدعم الإمام علي وأهل البيت. تلك كانت حال شخصيات أخرى [٢] نفاها عثمان إلى بلاد الشام.

وما أن وصل أبو ذر إلى دمشق، حتى انفجر صراع بينه وبين معاوية. فأرسله هذا الأخير بعيداً عن عاصمته حيث استمر بالدعوة للتشيع، ووصل إلى منطقة جبل عامل المسكونة بقبائل عربية يمانية: لخم، جذام، السكاسك.....

توجــدُ هـــذه المنطقة (جبل عامل) بجنوب لبنان السياسي حاليا. وقد وصفها عــدّة كُتّاب [٣]. التعريف الأحدث والمكتمل هو تعريف حسن الأمين [٤].

بإمكاننا حصر جبل عامل بخطٍّ يبدأ من الشمال عند مصب نهــر الأولي قُرب مدينــة صيــدا، حيث يُشكّل الحدَّ الفاصل بيــن الجبل، أي جبل عامل، وبين منطقة الشُّوف. ثم يمتدُّ حتى تومات نيحا ليمُرّ بقرية روم ثم

(١) اختار أبو ذر الشام منذ عهد عمر: تاريخ الطبري III ص ٥٦٧.

(٢) أتى سلمان الفارسي في زيارة إلى دمشق ثم مرّ ببيروت بحثا عن صديقه أبو الدرداء.

(٣) نجد عدة تعريفات: محمد كاظم مكي: ص ١٠-١٢، زين:تاريخ عامل ص ٣٦، الأمين خطاط ص ٤٧.

(٤) ح. الأمين: مادة «جبل عامل». دائرة المعارف الإسلاميّة الشيعية.

جزين. وينحدر نحو مشغره ليعود ويلاقي الليطاني شمال قرية سُحمُر. ويستمر حتى نبع الحاصباني ويسير مع مجرى النهر حتى حوض حولا ويعود للمجرى الغربي للحاصباني. يتجه نحو الغرب إلى مقام النبي يوشع (مقام أثري وديني). وينتهي عند مصب نهر القرن الشمال قرية طرشيحا (فلسطين).

تبدو هذه الحدود واضحة وظاهرة في الشمال والغرب، ومُعقّدةً في الجنوب والشرق، حيث يُفضِّل البعض حذْفَ المنطقة المظلّلة على الخريطة عن منطقة جبل عامل.

أن الحدث التاريخي المتمثل بقدوم أبي ذر إلى جبل عامل لم يذكره مؤرخو القرون الوسطى، فلم يُذكر وجودٌ للشيعة في جبل عامل قبل رحلة ناصر خسرو إلى سوريا. [كذا! ولكنّ ناصر خسرو لم يذكر إطلاقاً جبل عامل. نعم ذكر مدينة صور وقال أنّ أهلَها كانوا شيعة. ولبنان سنة ٤٣٧هـ في العهد الفاطمي. ممّا يضع عدة علامات استفهام حول مسألة أبي ذر، ويدفعنا إلى الدخول بنقاش صغير.

إن الفرضيات التي تدعم وصوله إلى الجبل هي التالية:

- وجود مسجدين يحملان اسمه في منطقتين من جبل

عـامـل[١]: ميس الجبل والصرفند. إن موقعي هذين المسجدين كانا في الأصل مكاني اجتماع هذا الصحابي مع سكان هاتين القريتين.

- لقد أغفل المؤرخون المسلمون في القرون الوسطى ذكرَ انتشار التشيع في جبل عامل بواسطة أبي ذر لسببين[٢]، همـا:

– الأول: أنهم جهلوا هذا الحدث التاريخي إمّا لنقصٍ في الوثائق، وإما لعدم كفاية الأبحاث التاريخية.

– الثاني: أنهم خافوا من الاضطهاد المتلاحق عند ذكر التشيع في عصر كان فيه عدوُّه هو المسيطر.

- كان أبو ذر منفيّا في بلاد الشام[٣]. ولم يذكر أي مؤرخ اسم دمشق تحديدا[٤].

كانت الشام تضمُّ منطقة كبيرة بينها جبل عامل. وقد يبدو أن أبا ذر اضطرّ لترك مدينة دمشق، أو أنه استفاد من وجوده في المنطقة لزيارة أضرحة بعض الانبياء مثل يوشع وشمعون،

(١) زين: تاريخ جبل عامل ص ٥٦، محمد جواد مغنية: العرفان ١٩٣٨ V ٢٨ ص ١٤٤. م كردعلي: خطط VI: / ٢٥٢، lortet : مشاهدات ص ١٥٣.

(٢) م. الأمين: خطط ص ٦٦.

(٣) محمد جواد مغنية: أبو ذر والأشتراكية: العرفان ١٩٣٨ V ٢٨ ص ١٤٤.

(٤) تاريخ الطبري IV ص ٢٣٨، اثير: الكامل III (A) ص ٥٧: الاثنان حدّدا الشام.

وليحتكّ مع العامليين. الأمر الذي دفع حبيب بن مسلمة الفهري ليقول لمعاوية: «**لقد أفسد لك أبو ذر بلاد الشام**».

- كان التشيع السّرّي[١] موجوداً في الشام منذ بداية الفتح الإسلامي. وهذا ما يُفسِّرُ وُجودَ مذاهب شيعية في المنطقة كالنصيرية والإسماعيلية والدروز. وكان الشيعة سابقين لهذه المذاهب التي وُلدت من المذهب الأُم.
- إن طلب معاوية من عثمان أن يُعيد أبا ذر إلى الحجاز حيث وُضع تحت المراقبة في الربذة، يُظهر أن أبا ذر قد أثار استياءَ معاوية، وأن أفكاره قد أثرّت على الأقلّ في مجموعة من السوريين. وهذا مايبدو واضحاً من خلال بعض المصادر [٢].

لا تبدو أيٌّ من هذه الفرضيات جازمة. ممّا يترك الباب مفتوحا للشك والتساؤل. فلا وجود المسجدين في منطقتين من الجبل، ولا لأعذار المُقدَّمَة لمؤرخي القرون الوسطى لعدم ذكر الحدث، ولا التفسير الذي جعل من بلاد الشام منفى أبي ذر، ولا ظهور الاسماعيليين والدروز في المنطقة،

(١) زين: تاريخ جبل عامل ص ٥٧ – ٥٨.

(٢) يشير تاريخ الطبري VI ص ٢٨٣ إلى عدة أمور أجبرت معاوية على الطلب من عثمان بأرجاع ابي ذر إلى المدينة. ويؤكد الطبري بإنه لا يجب ذكر غالبية الأسباب.

يعطي إجابةً مباشرةً لزيارة أبي ذر ولبداية انتشار التشيع في جبل عامل على يــده. لكن الفرضية الخامسة تُظهر نوعا من الاستياء الذي ولّده ابو ذر ضد معاوية وعثمان في بلاد الشام حيث أُتيح له المرور والاحتكاك مع الناس. [ولكنّ هذا **«الاستياء»** كان على أُمورٍ أُخـرى لا علاقة لها بنشـر التشيّع (المهاجر)].

إذا اعتمدنا نظرية المؤرخين الشيعة، فإن الجبل هو المركز الشـــيعي الثاني بعـــــد المدينة المنـوّرة في منتصف القــرن الهجري الأول (اثنا عشرة سنة بعد وفاة النبي). والعامليّون هم من أقدم الشيعة بعد بعض المدنيين (سكان المدينة المنورة) وهم الأكثر عدداً بلا منازع.

مهما يكن من أمر، فإن أبا ذر قد بذر نوعا من الاستياء ضد حكم عثمان وحكومة معاوية. أمّا عـدم وجـود سـوريين بين الثوّار ضــد عـثمان، فإنه لا يعني أن كل السوريين كانوا مع الخليفة. لقد كانت الغالبية مع الشّــرعيّة الحاكمة، وكانت متأثرةً بحاكــم سياســيٍّ وديبلوماسي موهـوب، يمتلك فن كَسْب ودّ الناسِ. لقد كانت هذه الغالبية نشطة، بينما كانت الأقلية خامـدة غيـر راضية ومُسيطَرٌ عليها من الحاكم

نفسه. هذا التحليل سوف يأخذ فيما بعد شكل التشيّع.

د- الشيعة في سوريا على عهد علي: إن وصولَ عليّ إلى سُـدّة الخلافة كان لصالح أنصاره. فقد تجـذّر مركزهم في العـراق (الكوفة)، حيث كان الإمام ينوي تسيير شؤونه وشـؤون الدولة بعد طَـرْد معاوية من الشام. لقد كان هذا الصراع عراقيّـاً سورياً بمعنىً من المعاني. و المتحلّـقين حول الإمام منذ عثمان ظلوا غير مَعنيّين. فيما كان اغتيـال عثمان يشكل عند السوريين وحاكمهم حافـزاً مُتطرّفا لقتال الخليفة الجديد تحت شعار أنّـه أحد قاتلي عثمان.

لقد أدّعت سلسلةٌ من المبلّغين[1]، شكّلَ عمار بن ياسر وزيد بن أرقم[2] حلقاتِها الأولى، بأنه كانت توجد في زمن الخليفة علي، منطقةٌ شـيعيّةٌ في الشـام قرب جبل حَـرمون، وكانـت تسـمّى أسـعـار[3]. فمن المحتمل أن تكون المناطق التي اجتازها جيش الإمام علي قبل معركة

(١) محمد كرد علي: خطط VI ص ٢٥٢.

(٢) توفي سنة ٦٨ هـ/ ٦٨٧ م. صحابي خزرجي، حفظ ٧٠ حديثا، كان مع النبي في ١٧ معركة، كما قاتل مع علي في صفين.

(٣) لم يبقَ منها اليوم إلا بعض الآثار بين بلدتي مجدل شمس وجباثا الزيت حيث يوجد نهر أسمه أسعار.

صفين قد حملت عوناً لهذا الجيش. فقد تلقّى علي في الجزيرة مَـدَداً من تغلب ومن نمر بن قاسـط [١]. أمّـا الموقف السّـلبي الوحيد في شـمال سـوريا، فقـد كان في الرِّقّـة، على خلفية بناء جسر على نهر الفرات[٢].

٤ - الشيعة في سوريا في العصر الأموي.

لقد ولّد التشيع المتنامي خطراً كبيراً للحكومة الأموية. فبالرغـم من الانتصارات التي حصّلها معاوية على علي والعراقيين اليمنيين بشكل عام، فقد بـدا له من الضروري للمحافظة على سوريا أن يقود سياسة قبَلية مزدوجة واحدة سورية وأخرى خارج سوريا.

أ- السفيانية:

١- السفيانية السورية: الاعتماد، ضمن هـذا السياق، على صَهْـر اليمانين المسلمين والنصارى في اتجاهٍ سياسيٍّ واحـد، وذلـك بجمْعهم لأجل صالح سوريا ومن أجل قضية وطنية [٣] بعيدة عن الصراعات القبلية. لقد أراد

(١) اليعقوبي: تاريخ II ص ١٨٧.
(٢) الطبري: تاريخ IV ص ٥٦٥.
(٣) يترجم هذا الشعور الوطني السوري برغبة العرب السوريين بإبقاء مركز الامبراطورية الأسلامية في بلادهم.

معاوية إنشاء مؤسسة جديرة برجال الدولة العظام، مؤسسة مكونة بهدف حكم سورية بشكل أفضل. وهو يشرح في وصيته لإبنه يزيد بطريقة أو بأُخرى كيفية الحفاظ على سورية «**راعِ السوريين ، فليُشكّلوا حاشيتك، وليكونوا موضع أسـرارك. تجاه تهديدات أعدائـك، يمكنك الاعتماد على إخلاصهم. ولكن بعد النصر، أعِـدهم إلى منازلهم. خارج بيوتهم، قد تعرّضهم لفقد ميزاتهم**».(١)

لقد أراد معاويةُ الإحتفاظَ بمِلك سـوريا بأي ثمن. يسكنهُ هاجسٌ أساسي يـدورُ على فشل مشروعه بتوحيد المسيحيين والمسلمين اليمانيين السوريين. ولذلك فقد جهُـد للتخلُّص من لعبةٍ إضافيةٍ من خلال القيام بدور في تحديد هوية قبيلة خزاعة. لقد دفع وابنُه يزيد، قادةَ هذه القبيلة لتنسيبهم فـي قبيلة مُعـاذ (٢). واستطاع بذلك الاستفادة من سلطتهم في حال قيام سياسةٍ يمانيّةٍ مُعاديةٍ للحكومة الأموية.

لقد ظهرتْ هذه السياسة السفيانية من خلال خطواتٍ و نتائج عِـدّةٍ طبعت نجاحَها.

---

(١) H. lammens : سورية I ص ٧١.

(٢) جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام IV ص ٤١٩.

- معركة صفين وضعت الجيش العراقي بمواجهة الجيش السوري.
- كانت الفرق العسكريّة الرئيسية المعسكرة في دمشق[١] مؤلفة من سوريين، كذلك الأُسطول العربي يومَ استُحدِث.
- زواج معاوية من كلبيّة (ميسون)، كذلك العطاءات المُقدّمَة لهذه القبيلة، تؤكّد هذه السياسة[٢]. وكان معاويةُ يعتمد على رعاياه السوريين في الأمور الشخصية والإدارية. فإبن أُثال صار طبيبه ثم عامله على حمص، والأخطل، الشاعر التغلبي، صار شاعر البلاط.

إن نجاح السفيانية يمكن أن يُلخَّص بالمواقف التي اتخذها السوريون أثناء اجتياح المردة، الذين، وإن كانوا نصارى، فإنّهم لم يستطيعوا أن يضمّوا النصارى السوريين إلى قضيتهم.

٢- السفيانية خارج سورية: كان اليمانيون خارج سوريا ضد الأمويين، فوُصول هؤلاء إلى السلطة كان يعني لليمانيين

(١) فيليب حتّي: سوريا II ص ٨٩.
(٢) H. lammens : حكم معاوية ص ٢٨٨.

انتصاراً لأعدائها القدامى الوثنيين ولمُضريّي مكة [١].

وبناءً على ما تقدّم، فقد كانوا بغالبيتهم في صفوف مؤيّدي آل النبي. وكان موقف السفيانيين تجاه هؤلاء اليمانيين مُغايراً لموقفهم تجاه يمانيي سورية. كانت السفيانيةُ قَمْعيّةً، مبتدئة بالمراقبة النشطة ثم التهديد، ومنتهيةً بالاغتيال.

أبرز مُنفّذي تلك السياسة كان حاكم العراق زياد بن ابيه [٢] وابنه عبيد الله، كذلك الحجاج. ويمكن أن نسجل بعض الانتفاضات التي قمعت مثل كربلاء، ثورة التوابين والمختار......

وتستحق نتائج الحُكم السفياني أن تذكر:

- في الجزيرة وشمال سوريا، حيث توجد قبائل قيسيّة مُهمّة مثل بكر وتغلب [٣]. هاتان القبيلتان الكبيرتان والقويتان أصبحتا عدوّتيَن شرستيَن للأُمويين، وذلك بسبب خصومتهما مع بني كلب، الحلفاء المخلصون

---

(١) Vanvloten : بحوث.... ص ٣٤.

(٢) لقد نفى ٥٠٠٠٠ من الكوفين الشيعة والبدو إلى خرسان (Brukelmenn: تاريخ الشعوب.... ص ١٢٣)، واضطهد الآلاف من شيعة الكوفة والبصرة (أمين: ضحى III ص ٢٧٩) وأجبر ٧٠ شيعيا على لعن علي تحت طائلة الإعدام (اليعقوبي: تاريخ II ص ٢٣٥).

(٣) إن تغلبيي مابين النهرين الذين كانوا مع علي في صفين انضموا إلى تغلبيي سوريا المتحلحلين ونقلوا إليهم دعمهم لآل النبي.

للبيت الأُمـوي. وكانوا جاهــزين للتحالف مع كل عــدوٍ للدولـة مؤيد لليمانيين. وسوف يجِـدُ الشيعة والخوارج المضطهدين أرضا صالحة لديهم.

- أيُّ تغييــرٍ بنيوي في هذه السياسة المدروسة ســوف يؤدّي بالتأكيد إلى تـغـيُّـرٍ خـطِــرٍ في هـــذه السياسة السفيانية.

ب – المروانية ونهاية الأمويين:

لقد استمرّت السفيانية خلال عهد الخلفاء الامويين الخمس الأوائل: عهد تأسيس الدولة. لكن معركـة مرج راهط أضاعت توازن الوضع من خلال مقاربة قاعدةٍ مهمة جدّاً في عمل معاوية: القضية الوطنية السورية. لقَد اتىً الصّراعُ القـبَلي ليُعـقـّـد مُهمة الخلفاء الأمويين القادميـن.

ولتهدئة الوضع، قاربَ مروان الأول، ابن الحَكَم، قاعدةً جديدةً، ألا وهي جمع اليمانيين من حول دولته بالرابطة المروانية الجديدة[١]، بديلاً عن الرابطة السفيانيّة. وذلك للمحافظة على نوع من التوازن بين اليمنيين والقيسيين. لقد كان ذلك تراجُعاً للتأثير اليماني وسيكونُ فشلاً للمروانية.

(١) H. lammens: سوريا I ص ٨٠.

لقد ميّز هـذا التأرجُح فترةَ نهاية الحكم الأموي سنة ١٠١هـ /٧٤٥ م. فأثناءَ ستٍّ وعشرين سنة انتقل الحكم الفعلي للدولة من مجموعة من القبائل إلى أُخرى [١]. وقد أحسّ اليمانيون أنفسهم للمرة الاولى أنّهم باتوا خارجَ اللُّعبَة. ووضع الحمصيّون اليمانيون أمامَ أعينهم أغتيال ابن أُثال، فشاركوا بمعظم الثورات في تلك الفترة[٢]. فاختل التوازن لصالح القيسيين الذين سوف يُدعمون من قِبَل آخِر الحكام الأمويين. تلك كانت حال سليمان بن عبد الملك [٣]، يزيد الثاني (خلال حكمه حرّضَ يزيدُ بن المُهلّب اليمانيين على الجهاد ضد الأمويين)[٤] هشام بن عبد الملك والوليد الثاني[٥] الذي اغتاله اليمانيّون في جنوب تدمر[٦] ، وكان آخرُ حُكّام بني أُميّة، مروان الثاني، مدعوماً من القيسيين[٧]. لقد جاء انهيار الدولة الأموية كنتيجة منطقية لهذه السياسة الخاطئة. والانتفاضة العباسية

(١) A. fischer: art قيس عيلان E.I II ص ٦٩٢ – ٦٩٨.

(٢) H. lammens: حكم معاوية ص ١٣.

(٣) تاريخ اليعقوبي II ص ٢٩٥.

(٤) K.Brukelmann: تاريخ الشعوب الاسلامية ص ١٥١.

(٥) H. Lammens : سوريا I ص ٩٣ و ٩٦.

(٦) فيليب حتّي: تاريخ سوريا II ص ١٥٠.

(٧) K. Bruklmann ص ١٦٣ – H. lammens: سوريا I ص ٩٩.

كانت مدعومة من قبل اليمانين: طيء وتنوخ وقنّسرين[١] والحمصيين اليمانيين والكلبيين في دمشق.

هكذا فإنّه في نهاية العهد الأُموي بَدَتْ سوريا نصرانيةً ويمانيةً بمُجملها. وكان فيها إلى جانب هؤلاء مستعمراتٌ فارسيّةٌ، قادمةٌ أساساً من العراق، في المُدُن الساحلية. كذلك كان فيها حضور خوارجي في الجزيرة. ما هي حصة الشيعة في سوريا هذه؟

ج- الشيعة؟

لقد ثبّتَت السفيانيةُ الشيعةَ في العراق، مقرّ علي، لفترةٍ من الزمن، ومقاطعةُ حُكّام المناطق الأمويين الأكثر قسوة، ومكان التلاقي لعدّة حضارات. فالكوفة كانت مدينة الشيعة الفضلى، ومركز التشيع المُلتزم[٢]. ولكن مع تشتّت الحكام الشيعة تحت حكم علي، وهروب العلويين أمام قمع الحكام الأمويين، كذلك التململ المتصاعد بسبب ضعف الأسرة الأموية وسياستها القبَلية الفاشلة ، أمتدّ التشيع على مساحة مُعتبرة من الأراضي الإسلامية.

إن انتشار التشيع في الجزيرة قد سمح للتوّابين أن يضعوا

---

(١) ابن العديم: حلب: ١ / ٥٣.

(٢) Recherches: van vloten ص ٤٧.

حاكماً من قِبَلهم على قرقيزيا: ظفر بن الحارث الذي لم يعتنق التشيع ولكنه أصبح خصما للأمويين منذ مرج راهط. لقد كانت الجزيرة المأوى الطبيعي للشيعة والخوارج بعد الاضطهاد الأموي في العراق. ولأنهم ملاحقين فقد استقرّوا في سوريا ولبنان[١] يسمح مثال ساطع بفهم أهمية الجزيرة بالنسبة للشيعة، لقد اختارت مجموعة من الشيعة النشطين (مالك الأشتر، صعصعة بن صوحان....) الجزيرةَ للاستقرار فيها بعد أن أرسلهم سعيد بن العاص إلى معاوية حاكم سورية الذي عاد وأطلق سراحهم [٢]. ويبدو أن الأمويين قد وعوا الوضع في شمال سوريا، فزرعوا مؤيدين لهم في حلب وسكنوا في الشمال[٣]. يذكر محمد كرد علي وجود شيعة في دمشق في القرن الأول للهجرة [٤] وحدّد نقطة انطلاقهم في منطقة جبل عامل وشمال لبنان. ويمكن لذلك أن يجلعنا نفكّر بالتشيع في لبنان الجنوبي خلال العصر الأموي. فقد كان وجودهم بديهياً في جبل

(١) هذه كانت حال اليعقوبيين المضطهدين في القرن الثاني عشر في منطقتي ماردين وديار بكر. فاتجهوا نحو سوريا ولبنان (حتّي: سوريا II ص ١٣٩).

(٢) تاريخ الطبري IV ص ٣١٩ – ٣٢٥، اثير: الكامل أ-III ص ٧١.

(٣) إبن العديم: حلب I ص ٤١- ٥٠.

(٤) محمد كرد علي: خطط VI ص ٢٣٥.

عامل. في نفس الوقت الذي كانوا فيه في قمّ ونيسابور[١] زمن لم تكن خراسان ولا سجستان ولا إصفهان شيعية. وفي حديث عن الإمام الصادق تأكيد على هذه الفرضية وقد جعل من منطقة شقيف أرنون [٢] منطقة شيعية بعمق[٣]. [هذا (الحديث) موضوعٌ ولا ريب، بدليل اسم المكان الفرنسيّ الأصل أي أنّه مثل أسماء بلدان كثيرة في المنطقة من عهد الاحتلال الصليبي (المهاجر)].

يجب أن ننتظر أسلمة سوريا، التي بدت في نهاية العصر الأموي جاهزةً لتقبّل الأفكار الشيعية. وسيكون ذلك عمل الفاطميين بشكل عام.

وقبل إنهاء هذا القسم، سوف نلاحظ تسرُّبا عربياً من فلسطين نحو الجليل ولبنان [٤] أيام الخليفة عبد الملك. هل كانت هذه قبائل معارضة للحكم الأموي؟ هل جاءوا لنشر أفكارهم في مناطق مستعدة لاعتناق التشيع؟

---

(١) أ. زين: الشيعة في التاريخ ص ١٥٢.

(٢) منطقة بجبل عاملة.

(٣) محمد كرد علي: خطط: ٦ / ٢٥٢.

(٤) H. Lammens : سوريا I ص ١١٩.

الفصل الثالث



سوريا العباسية السُّنيّة

ا- سوريا العباسية: السياسة القبَلية:

كانت منطقة خراسان منذ العصر الأموي مسرحاً للقبائل العربية المتلملة[1] وللصراعات القبَلية. وحاولت الحكومة المركزية تعديل سياستها من خلال الاعتماد على القيسيين[2]. ولكن هذه المقاطعة القصيّة استمرّت بإظهار ميولها المُعادية للأمويين متأثّرةً بالدعوة العباسية الناشطة.

وكانت خراسان المقاطعة الأوسع والأكثر ملاءمةً لعمل المبلّغين لإحياء فكرة الإنتقام لآل النبي، محاولين تعويد الناس على التفكير جماعياً بآل النبي، من دون تحديد إمام مُعيّن من آل النبي [3].

زمن العرب، كانت الدعوة العبّاسيّةُ شأن اليمانيين بشكل

(١) شابان: الثورة العباسية ص ٣٦.

(٢) نفسه ص ٣٧، ٣٩-٤٠.

(٣) ك. كاهن: المجلة التاريخية ١٩٦٣ ص ٣٠٤، ٣٢١.

عام. وإن تكُـنْ الدعاية العباسية قد توصّلتْ إلى تحالف غير موثوق وواسع، ليشمل كل المتململين من الحكم الأموي، والذين كانوا يطالبون بالعدالة كحال الذي كانوا يعملون لآل النبي(١). وكان الشيعة يؤلفون المجموعة الأكثر عددا والأكثر احتراما، وأيضاً المؤهّلة لإعطاء الدعوة التقديرَ والدعمَ من أكبر جزءٍ من المجموع.

ولقد نُصح أبو مسلم بالاعتماد على القبائل اليمانية من بين العرب (٢). نُفّـذتْ هذه النصيحة وتألّف جيش ابي مسلم من اليمانيين والفلاحين الفرس (٣). لقد كانت خُزاعة في المقدمة، وكانت منازلُها السبّاقة برفع الرايات السوداء(٤).

معظم الدُّعاة لهذه الحركة الجديدة كانوا يمانيين (٥): صباح بن معمّر، مالك بن الهيثم، محمد بن الاشعث، قحطبة ابن شبيب وسليمان الخلّال. وحده لاحِظ بن قُريط كان قيسياً على ما يذكر اليعقوبي.

وكان القادة الذين حاولوا وقف الجيش العباسي

---

(١) شابان: الثورة العباسية ص ١٥٦.

(٢) H. Laoust : schismes (تصدعات) ص ٥٦.

(٣) Brukelmann: شعوب ص ١٦٧ / ف.حتّي: سوريا II ص ١٥٣ / شابان: الثورة العباسية ص ١٥٥ – ٥٦.

(٤) ك. كاهن: وجهات نظر، المجلة التاريخية ١٩٦٣ ص ٣٢٠، ٣٢٧ / شبان ص ١٥٧-١٥٩.

(٥) تاريخ اليعقوبي II ص ٣٤٢-٣٤٣.

قيسيين[1]: عامر بن ضرار (ت: ١٣١ هـ / ٧٤٩ م)، أدهم بن محرز (ت: ١٠٠ هـ / ٧١٨ م) ونبتة بن منزله ويزيد بن هبيرة.

وبالرغم من محاولات الأمويين الحثيثة لإبعاد العباسيين عن بلاد الشام[2]. إلّا أن الحُميمة، جنوب البحر الميت، كانت قاعدة عباسية. ومنها انفجرت وتوسّعت الثورةُ اليمانيّةُ التي اجتاحت حمص لتؤدّي إلى نهاية الأمويين.

وظلّ القيسيون السوريون مناوئين للعباسيين. وانتفض كلابيّو الرّقّة بقيادة منصور بن جاعـونه الكلابي، لكن الخليفة مروان سحق تلك الثورة [3]. ولتغيير هذا التوازن في سوريا، كان يجب انتظار الخليفة العباسي المهدي (١٥٨ هـ/٧٧٥ م – ١٦٩ هـ/ ٧٨٥ م).

فمروره بسوريا سنة ١٦١هـ/٧٧٨ م كان ذا مغزى. ذلك أنه تصرّف بشكل سيئ مع السوريين اليمانيين، واجبر التنوخيين النصارى على اعتناق الإسلام، ونهب كنائسهم.

(١) تاريخ اليعقوبي II ص ٣٤٣/ شبان ص ١٦١.
(٢) اليعقوبي II ص ٢٩٧.
(٣) المصدر نفسه ص ٣٧٠.

واضطهد الزنادقة بحسب بعض المصادر[١]. وكانوا على الأرجح يمانيين، لكن جواب اليمانيين على المهدي كان ثورة بقيادة المقنّع[٢]. أكمل الهادي سياسة أخيه المهدي في سوريا.

مع تولّي هارون الرشيد للسلطة، ازداد الوضع القبلي في سوريا خطورة فتواجه اليمنيون والقيسيون في منطقة دمشق سنة ١٧٦ هـ[٣]. كان ذلك نتيجة عدم التوازن الذي ولّده خلفاء بني العباس. حاول هارون أقامة توازن جديدة لصالح اليمانيين السوريين فأرسل برمكيّاً: موسى بن يحي بن خالد، لتهدئة الطرفين وتجريد السكان من السلاح[٤]. إن اهتمام هارون باستيطان لبنان وتقوية مدنه الساحلية ودعم التنوخيين الذين حلّوا فيه في عهد المنصور[٥]، يفسّر محاولة هذا الحاكم المحافظة على سوريا.

عاد العباسيون مُجدّداً إلى سياستهم السورية الخاطئة، فدعموا القيسيين أيام حكم الأمين، ممّا ولّد انشقاقا

(١) ابن العديم: حلب I ص ٦١ / دبس: سوريا ٧ ص ٢٣٥ / بحسب تاريخ اليعقوبي II ص ٣٩٩ قتل المهدي مرتدا من تنوخ.

(٢) دبس: سوريا V ص ٢٣٥.

(٣) تاريخ اليعقوبي II ص ٤٠٩ / الاثير: الكامل V ص ٩١.

(٤) H. Lammens : سوريا I ص ١٣٣.

(٥) الشدياق: اعيان II ص ٤٩٧.

في الجيش العباسي في الرقة سنة ٨١١ - ٨١٢ هـ أثناء الصراع بين الأمين والمأمون [١]. ويُفسّر هذا نوعاً ما الدعم اليمني للمأمون بسبب سياسته المقرِّبة من الشيعة. انتفض اليمانيون السوريون بحمص سنة ١٩٤ هـ/٨٠٩ م، فنُهبت المدينة وأُعدم سكانها، وكذلك في دمشق التي كان قائد انتفاضتها مستشاراً أُموياً: أبي بن عبدالله السفياني، مدعوماً من بني كلب واليمنيين. وتمكّن القيسيون على رأسهم ابن بيهس٩وبمساعدة العباسيين من خنق هذه «**البيضاء**»[٢] التي نجحت بالوصول لفترةٍ ما إلى صيدا والبقاع وبعلبك وحمص.

البارز في حركة الخط البياني القبَلي في عهد الخليفة المأمون، المعروف في بداية عهده بتعاطفه بقوّةٍ مع الشيعة، هو الانتفاضة القيسيّة الكبيرة في سوريا، التي قادها نصر بن شَبَث العُقيلي في قيسوم شمال حلب. والذي توصّلَ إلى امتلاك سُميساط، وإلى التأثير على الجزيرة[٣]. وسياستُه تجاه الشيعة الذين فاوضوه يفسّر موقفه من القيسيين، وأيضاً

(١) حتي: سوريا II ص ١٦٥.
(٢) نفس المصدر V ص ١٤٧.
(٣) محمد كرد علي: خطط I ص ١٨٧، اثير: كامل (A) ص ١٧٦.

علاقة هـذا الموقف مع توجّهات الخليفة في بغـداد.

على عهد المعتصم (٢١٨هـ / ٨٣٣ م –٢٢٧هـ/ ٨٤٣م) انتفض خمسون ألف يماني من لخم وجذام وعاملة في فلسطين[١] في وجـه الحُكم العبّاسـي. وكان قائدهم المهدي الأموي أبو حرب تميم السفياني، المعروف باسم الرجل المبرقع وذلك سنة ٨٤٠ – ٨٤١ م / ٢٢٧هـ. ولم تتخذ سوريا الشمالية ولا القيسيون أي موقف من هذه الحركة[٢].

خنق الخليفةُ الواثقُ الانتفاضةَ القيسية بقيادة ابن بيهس الكلابي في دمشق[٣]. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ هذه الانتفاضة تزامنت مع سياسةٍ مؤيّـدةٍ للشيعة من قِبَل الحاكم الجديد. فهل فسّـر القيسيون السوريون هذه السياسة على أنها تقرّب من اليمانيين؟!... لقد أثارت سياسةُ الواثق القيسيين[٤] في كل مكان: سُليم في الحجاز، ونمير وتميم في اليمامة... كما يمكن أن نتساءل إن كان ذلك

(١) دبس: سوريا V ص ٣١١، محمد كرد علي: خطط I ص ١٩٢.

(٢) يفسر هذا رفض القيسيين المشاركة بحركة يمنية، ومن جهة أخرى الوجود العسكر العباسي المفروض من البيزنيطن في شمال سوريا والذي منع الأنتفاضة في هذه المنطقة.

(٣) الاثير: الكامل V (A) ص ٢٦٧، مرة اخرى معارضة كلابية

(٤) تاريخ اليعقوبي II ص ٤٨٠.

مُجـرّدَ ردّ فعل سُـنّيٍّ ضد الخليفة المعتزلي.

قاد المتوكلُ سياسةً قمعيّةً في سوريا تجاه النصارى والمسلمين معاً (١). كذلك رفعت دمشق الرايةَ المناوئةَ للعباسيين سنة ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م.

استمر التمُلمُلُ اليماني. هذه المرة انتفض يمنيو لخم في الأُردن أيام المستعين، كذلك كلب في حمص، وتنوخ في المعرة وقنّسرين. كما سُجلت انتفاضةٌ قيسيةٌ في ديار مضر، لكنها كانت لصالح عباسي آخر: المعتزّ (٢).

تنبّه الخليفةُ المعتزُّ لخطورة الوضع في سوريا، بسبب التوازن المُختلّ في العلاقات مع القبائل، وبالأخص مع اليمانيين الذين يُشكّلون الغالبية في هذا البلد. فبدأ سـياسـةً متوازنة ابـتـغـاءَ كسْب ودّ المجموعتين. وكان مكان التنفيذ في فلسطين حيث حاول عامله كسب ربيعة وكلب في آن معا.

ما يمكن أن نذكره في نهاية هذا المقطع المختص بسياسة الخلفاء العباسيين القبَلية في سوريا خلال فترة اكتمال او لنقل تأسيس التشيع بالتحديد، هو أن اليمانيين السوريين نصارى ومسلمين، كانوا بشكل عام ضد العباسيين، وبانتظار عودة

(١) الطبري: تاريخ: ٧ / ٣٧٤، اليعقوبي: تاريخ: ٢ / ٤٩٠، أثير: الكامل: ٥ / ٢٩٤ ٥.
(٢) تاريخ اليعقوبي II ص ٤٩٥ – ٥٠١ / محمد كر علي: خطط I ص ١٩٤.

الأُمويين إلى السلطة مع السفياني الموعود. وعند وقوعهم في اليأس والتناقض، خلقوا سفيانيا خاصا متحدّرا من سلالة قحطان اسموه القحطاني [١].

إن عدم الاستقرار اليماني، إن على الصعيد الديني أم على الصعيد السياسي، سوف يقود تاريخ سوريا في المرحلة التالية.

تلك كانت السياسة القبَلية للخلفاء العباسيين في هذه الفترة الانقلابيّة.

فما كانت سياستهم تجاه الشيعة؟

أ – العباسيون والشيعة:

من أصل خمسة عشر خليفة عباسي في هذه الفترة، عشرةٌ منهم كانوا ضد الشيعة: المنصور، المهدي، الهادي، الرشيد، الأمين، المعتصم، المتوكل، المستعين، المعتز والمهتدي. في حين حاول الآخَرون سياسةَ تهدئة، مع التقرّب من أخصام الشيعة في الوقت نفسه.

تجاه هذه السياسة العباسية، انتقل الشيعة الواثقون من قضيّتهم إلى مواجهة مفتوحة مع العباسيين:

(١) H. Lammens دراسات حول حكم الأمويين / ٣٩٩.

عهد الحاكم	أماكن الثورات
المنصور١٣٦–١٥٨هـ/٧٥٤–٧٧٥م	المدينة – البصرة
المهدي ١٥٨–١٦٩هـ/٧٧٥–٧٨٥ م	مرو
الهادي ١٦٩–١٧٠هـ/٧٨٥–٧٨٦م	المدينة – مكة
الرشيد ١٧٠–١٩٤هـ/٧٨٦–٨٠٨م	الديلم – العراق – المدينة
المأمون ١٩٨–٢١٨هـ/٨١٣–٨٣٢م	الكوفة–البصرة–المدينة–اليمن
المعتصم ٢١٨–٢٢٧هـ/٨٣٣–٨٤٢م	الكوفة – خرسان
المستعين ٢٤٨–٢٥٢هـ/٨٦٢–٨٦٦م	الكوفة طبرستان
المعتمد٢٥٦–٢٧٩هـ/٨٧٠–٨٩٢م	البصرة

يبدو إذن أن العباسيين كانوا أكثر قسوةً من الأمويين تجاه الشيعة. وكما قال الشاعر أبو العطاء السندي:

فليت جور بني مروان دام لنا وليت عدل بني العباس في النار هذه السياسة الظالمة أجبرت الشيعة على إخفاء ميولهم الشيعية، بحيث أن التقيّة أخذت مكانها كإجازة في صُلب الأحكام الشيعية.[كذا ! ولكنّ الثابت أنّ التقية سابقةٌ تشريعاً وسلوكاً على العباسيين (المهاجر)].

لقد كانت حصيلة الظلم قاسيةً على الشيعة بشكل عام وعلى أئمتهم بشكل خاص: فمن أصل تسعة أئمة عاصروا تلك الفترة، أربعة دُسّ لهم السمّ: جعفر الصادق (١٤٨هـ / ٧٦٥ م) في المدينة، موسى الكاظم (١٨٣ه / ٧٩٩م) في بغداد، علي الرضا (٢٠٣هـ/ ٨١٨ م) في طوس، ومحمد

الجواد (٢٢٠هـ /٨٣٥ م) في بغـداد. أمّا الباقون فقد قضوا إما خلال ثورات [كـذا ! من المعلوم جيّداً أن ما من أحدٍ من الأئمة الباقين قضى خلال ثورة. ولعلَ المؤلف يعني هنا علويين من غير الأئمة (المهاجر)] وإما في السجن.

هذه السياسة المناوئة للشيعة شجّعها ودعمها بروزُ أئمة السُنّة الأربعة [١]، الذين حاجّـوا العقيدة الشيعية المتكوّنة منذ عهد الإمام الصادق، والتي كان مريدوها موجودين في كل مكان، حتى وسط البلاط العباسي [٢].

ب – سوريا في حال تحوّل:

إن الأحداثَ التي جرتْ في سوريا ومحيطها أظهرت بلا شك تحوُّلَها: بدايةً نجحت سياسة الأسلمة التي بدأت مع الأمويين (عبد الملك وعُمر الثاني) [يبدو أنه يعني ابنَ عبد العزيز(المهاجر)]، في سوريا أيام العباسيين (هـوذا انتصار السُّنّيّة في هذا البلد). وقد أجبر المهديُّ خمسة آلاف من تنوخ على اعتناق الإسلام دفعةً واحدة [٣]، وتحالفت كل

---

(١) ابوحنيفة (٨٠-١٥٠هـ/٦٩٩-٧٦٧م): مالك بن أنس (٩٣-١٧٩ هـ/٧١٢-٧٩٥م) الشافعي (١٥٠-٢٠٤هـ/٧٦٧-٨٢٠ م) ،ابن حنبل (١٦٤-٢٤١ هـ / ٧٨٠ – ٨٥٥ م)

(٢) من الوزراء الشيعة في العصر العباسي: ابوسلمة أيام السفاح، يعقوب بن داود أيام المهدي، محمد بن الأشعث وعلي بن يقطين أيام الرشيد، الفضل بن سهل وطاهربن الحسين أيام المأمون، وجعفر بن محمود الأسكافي أيام المعتز والمهتدي.

(٣) حتي: سوريا II ص ١٧٠.

القبائل السورية العربية (كلب، جذام وعاملة) [١].

بعد المتوكل، اقتربت أسلمةُ سوريا من نهايتها ولكن لم تكن هكذا الحال في لبنان.

شجعّت السياسةُ القبَليّةُ التي مارسها العباسيون في سوريا هذا التحوُّل. وكان المسرح في سوريا في ذلك العصر مهيّئا لقبول كل ما هو إسلامي وضد العباسيين.

١- **الخوارج**: انتفض الخوارج في منطقتهم المفضّلة: الجزيرة. أيامَ حُكم المهدي. كان دورُ اليشكريّ الذي قُتل في قنّسرين. ومع قدوم الرشيد انتفض الحروري (١٧٩هـ/٧٩٥م) [٢] وحاصر الرّقّة لكنه هُزم. وبعد ثلاثين عاما انتفض الشيباني في ديار ربيعة [٣] وقُتل في سنجار. كذلك يُذكر شيباني آخر في ديار ربيعة في أيام المعتز واحتل الموصل لكنه قُتل أيضا [٤]. يمكن أن نقول أن الجزيرة كانت حصن المعارضة للمركزية، وقد ظلت معاديةً للعباسيين، هذه القبائل الربيعية اليمنية أو حتى غير عربية (الكردية) دعمت الانتفاضات

(١) H.lammens: سوريا I ص ١١٨.

(٢) اليعقوبي: تاريخ II ص ٤١٠.

(٣) تاريخ اليعقوبي II ص ٤٨٣.

(٤) نفس المصدر II ص ٥٠٢.

التي كان الخوارج يشكلون مظهرها الأكثر شهرة في الموصل أو غيرها [١].

٢- **النصارى**: خائفين على وضعهم، ثار النصارى اللبنانيون أيام المنصور سنة ١٤٢هـ/٧٦٠م وتوصّلوا إلى قلب واقع كسروان [الحقيقةُ أننا لم نفهم ماذا يقصدالمؤلف بهذا. ولعلّه مُتأثّرٌ ببعض الأوهام التي أشاعها بعضُ المؤرخين المُتعصّبين عن وُجودٍ مسيحي في هذا التاريخ المُبكّر في كسروان، ممّا بُني عليه أن انتشارهم فيما بعد فيه كان بمعنى العودة (المهاجر)] والبقاع. خُنقت الثورة، لكن النصارى استمرّوا بإزعاج العباسيين الذين وجدوا حلولاً جديدة إلا وهي توطين يمانيين في سوريا (التنوخيين).

٣ - **الشيعة**: أدّت السياسةُ العباسيةُ القمعيّةُ، وخنْقُ الثورات الشيعية في محيط سوريا، وكذلك المسرح السوري الملائم، إلى هجرة المُضطهَدين إلى المناطق المتاخمة[٢]. فاستقروا في «**العواصم**» وفي سوريا

(١) I Histoire de la Dyn. M. Canard تاريخ السلالة الحمدانية .

(٢) فيليب حتّي: لبنان ص ٣٠٧، ٣١٤: كان المهاجرون من الشيعة والاسماعليين والفرس، كما يمكن أن نتحدث عن هجرة مارونية إلى قبرص ايام الرشيد والمتوكل بحسب الطويل: العلويون / ٢٧٦.

الشمالية والغربية[١]. وللزّيادة في الدقّة يمكن أن نُضيف جبل عامل، المعروف بلبنان الجنوبي اليوم، وسهل البقاع [٢]. وبعد اضطهاد البرامكة في بغداد والشام، هاجر الشيعةُ للاستقرار بعيداً عن الحكومة المركزية في المغرب وتونس وقبرص وجبل النصيرية قُرب اللاذقية[٣].

وبحسب نوّسّ[٤] تفرّق الشيعة في خراسان والهند والسلميّة في سوريا [٥].

في هذه الحقبة نجح الإسماعيليون بالدخول إلى سوريا. فقد دخل، فيما يُقال، محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق (ت:١٩٦ هـ / ٧٨٥ م)، المُلاحَق من قِبَل الرشيد العباسي، إلى سابور ثم فرغانة ثم إلى عسكر مكرم[٦]. وبحسب المرتضى [٧]، سكن محمد تدمر، حيث

---

(١) المصدر نفسه / ١٨٦.

(٢) ف. حتي: لبنان ص ٣١٤. H.lammens : سوريا II ص ٨.

(٣) الطويل: العلويون ص ١٧٠-١٧١.

(٤) إ، نوسّ: بحث / ٣٧٨.

(٥) لايُشير ماسينيون إلى تاريخ التحوُّل الشيعي في سوريا الشماليّة وطبريا وجبل عامل وكسروان. انظر مادة «كسروان» في دائرة المعارف الإسلاميّة.

(٦) حسين: الإسماعيلية / ١٦.

(٧) مرتضى: ثمار / ١٥.

جعل من هذه الواحة مركزاً للانتشار الإسماعيلي. ويتساءل المجلسي[١]، الذي لم يكن متأكّـداً من اسم العلوي الذي يسكن تدمر أيام الرشيد، والذي ترك على جدران منزله أشـعارا تمدح كرامات أهل البيت، عمّـا إذا كان الكاظم، بعد موت محمد بن اسماعيل، خلفه ابنه عبدالله.

في اليد ثلاثة نصوص عن قدوم الإسماعيليين إلى السّلميّة:

- وصل محمد بن إسماعيل من نيسابور إلى تدمر، ومات سنة ١٩٣هـ/٨٠٨ م. غادر ابنه عبدالله تدمر إلى السلمية ثم إلى معرّة النعمان. ومات في السلميّة ٢١٢هـ/٨٢٧م
- وصل عبدالله بن محمد أيام ظلم المأمون، من الديلم إلى معرّة النعمان ثم إلى السلمية ومصياف [٢].
- توجه عبدالله من تدمر إلى مصياف ثم إلى السلمية [٣].

مهما يكن من أمر، فإن النصوص الثلاثة تتقارب. المُهمُّ أن الإسماعيليين دخلوا إلى سوريا متنكرين بشكل تُجّار في القرن الثالث من الهجرة، واستقروا في مصياف والسلمية. ودفنوا أمواتهم في جبل مشهد. بعد عبد الله المتوفى سنة

---

(١) المجلسي: بحار مجلد ٤٨ ص ١٨١-١٨٢.
(٢) حسين: الإسماعيلية ص ١٧.
(٣) المرتضى: ثمار / ١٥.

٢١٢ هـ/٨٢٧ م، خلفه ابنه أحمد وتنقّل في بلاد الشام حيث خلّف إسماعيلين في دمشق وحلب وجوارها وفي أجزاء آخرى من سوريا[١]. تلك كانت المرحلة السّرّية من الانتشار الإسماعيلي. لكن اليأس من النجاح في سوريا في مواجهة الانتشار الاثنى عشري أو الخارجي دفعهم إلى ترك سوريا نحو افريقيا الشمالية في أواخر هذا العصر.

يجب ان نذكر المساهمة الاسماعيلية في التحوّل الثقافي في سوريا [٢] في فترة الخلاف بين الأمين والمأمون.

بالإضافة إلى الإسماعليين، يُسجّل في منطقة حلب في تلك الفترة (ايام المهدي) وجود الزنادقة الذين اضطُّهِدوا من العباسيين [٣]. هؤلاء بالتأكيد لم يكونوا نصارى. ويمكن أن نتساءل إن كانوا فُرسا غير مسلمين. يهتم البرامكة أيام الرشيد بالسعي لقلب الخليفة السُّنّي لإحلال الزنادقة مكانه. لكن وجود الزنادقة في سوريا سيكون مَعبَرا للحركة الشيعية الناشئة في هذا البلد.

يمكن أن نلاحظ أيام المأمون وتحديدا أيام انتفاضة

(١) المرتضى: ثمار/ ١٥ / حسين: الإسماعيلية / ١٧.
(٢) رسائل اخوان الصفا.
(٣) إبن العديم: حلب I ص ٦١، دبس: سوريا V ص ٢٣٥.

نصر بن شبث العُقيلي في شمال حلب، وجود مجموعة من الطالبيين، جاءت للطلب من الثائر أن يكون مؤيّداً لآل النبي. وعندما رفض، طلبوا منه أن تكون ثورته بيضاء فرفض ايضا. مُفضّلا ثورةً عربيّةً ضد تسلّط الغرباء (العجم) [١].

يبدو لي ذلك مُعبّرا جـداً. لأنه من جهة كان الشيعة في ذلك العصر أقليّةً لا تستطيع أن تفرض نفسها على من كانت تريد أن تعمل معه، ومن جهة أخرى، وبالرغم من الوجود الشيعي الواقعي خلف الثورات البيضاء السورية في ذلك العصر، فالمهم هو الإنتفاضة ضد العباسيين المُخادعين. كان يوجد شيعةٌ في حمص، مدينة الشاعر الشيعي ديك الجن (١٦١-٢٣٦هـ/ ٧٧٧- ٩٤٩م) المتحدّر من السّلميّة، والذي لم يترك حمص، في عصرٍ كانت فيه مراسم عاشوراء معروفةً جيّداً [٢]. كذلك كان هناك شاعر شيعي إمامي أخر في سوريا: ابو تمّام (١٨٩-٢٣٦هـ/٨٠٤-٨٥٠م) المُتحدّر من حوران، وكان مشهورا في تلك الفترة. لكن أسفاره إلى مصر وفارس والعراق، كذلك إقامته في بغداد أخلّت بأصل تشيّعه، الذي ربما حصل عليه من خارج

---

(١) اثير: الكامل V ص ١٧٦، محمد كرد علي: خطط I ص ١٨٧، زر كلي: أعلام VIII ص ٤٢ A،B.

(٢) دبس: سوريا V ص ٢٤٣ / كرد علي: VI ص ٢٥٦ / حتي: سوريا II ص ١٨٢-١٨٣.

سوريا؟ يدّعي المؤرخ صفا أنّه سكن في جبل عامل خلال سنة صعبة[١]. وأنه اكتسب التشيع من العامليين. ويتابع أن أبا تمّامٍ سكن في المالكيّة وذكر هذه المنطقة وبرعشيت وعيناتا وحدّاثا في اشعاره [٢].

يُضاف إلى ذلك. الطابع الإجتماعي الذي اتخذه التشيع في ذلك العصر [٣]، ويبدو واضحا أنّ انتفاضة الرجل المبرقع في فلسطين والزنج في البصرة، لكي تكون متجانسة مع العصر، اتخذت شكلاً شيعياً، لقد كان ذلك نوعاً من التمويه بهدف الحصول على وجهة شرعية تكون بمتناول المؤمنين. إن سوريا، البلد الزراعي، المليء بالفلاحين، بالمُضطَّهَدين وبالغرباء، ها هي تؤمّن أرضيّةً مُهمّةً للتشيُّع المُشبَع بالمظاهر الاجتماعية.

إن الخليفة المتوكل، الذي كان مسكوناً بهاجس التحوُّل الخطير العالق أبداً في سوريا، غادر العراق مُتجهاً إلى سوريا، وأقام في قصر مروان بين ضاحية داريّا ودمشق. ورفض حتى الإقامة في دمشق بسبب مناخها.

---

(١) تنقل الحوارنيين والعامليين خلال السنوات الصعبة هو حدث واقعي، فقد أخبرني جدّي العاملي من الكوثرية أنه توجّه إلى حوران مع عائلته خلال الحرب العالمية الأولى هرباً من الجماعة.

(٢) صفا: تاريخ جبل عامل / ٢٨١-٢٨٢.

(٣) ك. كاهن: المجلة التاريخية ١٩٦٣ / ٢٩٨.

لكنه لم يتأخّر عن الدخول إلى سامراء [١]. لقد كان بودّ هذا الحاكم العباسي مراقبة هذه المقاطعة عن كثب، لكن بعد فوات الأوان.

أنها سوريا التي ستخرج من أيدي العباسين للدخول في أيدي الطولونيين والاخشيدين، قبل أن تجِدَ توازنَها بعد سلسلةٍ طويلةٍ من التحوُّلات.

أئمة الإسماعيليين في هذه الحقبة:

- إسماعيل (توفي سنة ١٤٥ هـ/ ٧٦٢م).
- محمد (توفي سنة ١٩٣ هـ / ٨٠٨م في تدمر).
- عبدالله (توفي سنة ٢١٢هـ / ٨٢٧ م في السلمية).
- أحمد (توفي سنة ٢٦٥ هـ / ٨٧٨م في السلمية).
- الحسين (توفي سنة ٢٦٥ هـ / ٨٧٨ م في السليمة).
- محمد المهدي (هاجر إلى شمال أفريقية).

٢- سوريا الطولونية (٢٦٤-٢٩٢هـ/ ٨٧٧-٩٠٤م):

جاءت الضربة القاضية لسوريا العباسية المقسّمة من مصر، على يدِ أُسرةٍ تركيّةِ الجذور، كان العباسيون قد أحضروها إلى هنا (مصر). لقد كان من المنطقي أن

(١) H.lammens : سوريا I ص ١٣٥.

يستولي الطولونيون بأنفسهم على سوريا، بدلَ تركها للقوى الجديدة التي جزّأتها سياسيا وثقافيا [١].

سنة ٢٦٤هـ / ٨٧٧م،ترك أحمد بن طولون مصر وأخذ طريقَه إلى سوريا، بعد وفاة حاكمها أكجور. احتلّ دمشق وحمص وحلب بدون مقاومة. رفض الخليفةُ تصرُّف عامله على مصر. لكن ابن طولون أكمل طريقه واحتلّ انطاكية والمنطقة المُمتدة من قنّسرين حتى الرقّة [٢].

أثناءَ عدة اشهر واصل ابنُ طولون أعمالَه العسكريّة والسياسية في سوريا ابتغاءَ توسعة رقعة دولته الجديدة، على حساب ضعف عبّاسيٍّ لاعلاج له. حاول العباسيون انقاذَ وضعهم بالتآمر مع لؤلؤ حاكم سوريا الشمالية، المُعيّن فيها قبلَ دخول ابن طولون، بيدَ أنّ هذه المحاولة فشلت[٣]. لكن يُمكن تسجيل عودةٍ للعلاقات الطبيعية بين العباسيين والطولونيين. أثناءهذه الفترة، حصلت تحالفات/ مصاهرات بين الأُسرتين[٤]واقتسمت العائلتان سوريا على

(١) كان العباسيون منشغلين بانتفاضة الزنج في منطقة البصرة.

(٢) ابن العبري: دول ص ١٤٩.

(٣) ابن العديم: حلب I ص ٧٨-٨٠.

(٤) محمد كرد علي: خطط I ص ٢٠٣-٢٠٢ / اثير: الكامل VII (B) ص ٤٧٣ .

زمن قمرويه[١] (٢٧٠-٢٨٢هـ/٨٨٣-٨٩٥ م).

اتّبعَ الطولونيون السُّنّة السياسة العباسية نفسها، مما ترك سوريا في نفس الحال[٢]. فقد اضطهدوا الشيعة في مصر (٢٥٨هـ / ٨٧١م) ومدّوا نفوذهم إلى «**المدينة**»، وساهموا بسحق انتفاضة الزنج بين عامي ٢٦٨-٢٧٠ هـ/ ٨٨١- ٨٨٣ م.

جاء الدعم القبَليُّ للطولونيين في سوريا من القبائل القيسية، ممّا ساهم في تظهير سياستهم القبَلية بين القيسيين واليمانيين. وكانت كلاب الأكثر خطورة عليهم. وكان قادتها حكام حلب[٣]. وقد فرض الحضور الكلابي نفسه على الطولونيين، فقد كان من مصلحتهم الاعتماد على هذه القبيلة، وإن يكُن وفاء هؤلاء للتسنُّن محلَّ استفهامٍ واضح .

تأرجحت الجزيرة في هذه الفترة بين العباسيين والطولونين[٤]. كان ذلك عمل الحمدانيين والقائدين التركيين اسحق بن كنداج ومحمد بن أبي الساج [٥]. أما القبائل القيسية في الجزيرة المناوئة للعباسيين او لنقل

(١) إبن العديم: حلب I ص ٨٢.
(٢) ف. حتي: سوريا II ص ١٨٦ / كان أحمد بن طولون شافعيا: اثير: الكامل VII ص ٤٠٩.
(٣) مسعودي: مروج IV ص ٣٠٧، يعقوبي: تاريخ II ص ٥٠٦-٥١٠.
(٤) كان الحاكم محمد بن العباس، إبن العديم: حلب I ص ٨٠.
(٥) أثير: الكامل (A)VI /٦١-٦٣، نفسه / ٨٠-٨٤.

المناوئة للسُّنّة، فقد اقلقت العدوين الكبيرين: تلك كانت حال بني شيبان (١) وبني تميم.

في هذه الفترة، سيطر الحمدانيون على المنطقة الممتدة من ماردين إلى أردُمُشت بما فيها برقعيد في الجزيرة. ما من شيءٍ يُثبتُ تشيّعَ الحمدانين في هذه المرحلة من تطوّرهم السياسي. وكان الخوارجُ قطبَ الجَذْبِ لكلِّ الحركات. وكان الحمدانيون يتأرجحون بين الحكومة المركزية طالما كانوا يشعرون بقوتها، وطالما كانت هذه الحكومة تحبّذهم في المنطقة (٢)، وبين الخوارج(٣). كل سياسة هذه القبيلة التغلبية أملتها عليها علاقات القوة. وحاولت من خلالها التأرجح لكي تحافظ على نفسها (٤). وقد سيطرت سُلطة الخليفة على الجزيرة، فوجد الحمدانيون أنفسهم عن غير قصد وقد استوعبتهم بغداد، فقاتلوا ضد الخوارج والقرامطة (٥).

يساعدنا اليعقوبي (المتوفى سنة ٢٨٤ هـ/ ٨٩٧ م) [كذا ! لكنّ الثابت أنه عاش حتى السنة ٢٩٣ على الأقل] في

---

(١) المسعودي: مروج IV / ٢٤٤.
(٢) كانت عينهم على حكومة الموصل من خلال تغلبي.
(٣) اثير: الكامل(B)VII ص ٤١٩، ٤٥٣
(٤) نفسه ص ٤٦٩ـ٧٠.
(٥) م. كانار: تاريخ السُلالة....: ١ / ٣١٥ ١٧.

كتابه «**البلدان**» على توضيح التموضع القبلي في سوريا، مع تحديد موقع الفُرس [(١)].

مع تثبيت المعطيات على الخريطة، يتيح لنا اليعقوبي الاستنتاج بأن سورية الشمالية ماخلا السّاحل، كذلك لبنان ماخلا المنطقة الجبلية وسهل البقاع، كان يسكنها اليمانيّون، كذلك غالبية فلسطين. كما نلاحظ وجود متحدّرين من أُصول فارسية وطّنهم معاوية وسُلالته على طول الساحل اللبناني من طرابلس إلى صور كما في بعلبك. وفي هذه المناطق عينها سوف نُلاقي لاحقاً كلّ المنشقين عن الاسلام بحسب «**بورون**»[(٢)] في جبال سوريا (جبال الأعلى)، على سُفوح لبنان، وفي حوران، وسوف تكون الطائفة الشيعية الأكثر قوة. [كذا ! هذه العلاقة الافتراضيّة، بين نشأة التشيّع في الشام، أو نشأة بعضه، وبين جوالي صغيرة فارسية، قد درج عليها عددٌ من معارف المستشرقين. وقد ثبت فيما بعد قطعاً أنها تفسير ساذج وإسقاطي من الحاضر إلى الماضي. بحيث أنّ بعضهم أعلن رجوعه عنه، بعد أن نشر رأيه في مجلّة علمية معروفة. وعلى

(١) يعقوبي: البلدان / ١٦٩-١٨٢.

(٢) بورون: الدروز / ٩٥.

كل حال فإن انتشار التشيّع في المنطقة هو ظاهرة أكبر بكثير من أن تُفسّر بجالية محدودة العدد].

أ – القرامطة

بعد الفشل التامّ للتمـدُّد الإسماعيلي في سوريا، بدأ مَظهرٌ آخَرٌ لهذه العقيدة: إسماعيلية متطرّفة هذه المرّة. أُولئك هم الذين سيُعرفون بعد قليل بالقرامطة. ويبدو لنا أن السوريين كانوا جاهزين لتقبُّل هذه العقيدة المُتشيّعة المُتطرّفة والمناهضة للعباسيين [١]. كما أنّ كلَّ شيء يدلُّ على أنّ الدُّعاةَ الإسماعيليين قد حضّروا الأرضيةَ تحضيراً جيّداً للقرامطة. واستطاع قائدُهُم عبدالله بن ميمون أن يضمَّ إلى الدعوة الإسماعيلية حمدانَ قرمط الذي كان يسكن في منطقة الكوفة. فبدأ هذا الأخير بالدعاية. وحاول سنة ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م شراء الأسلحة [٢]. جامعاً حوله العناصر الغاضبة في المنطقة [٣] من فلاحين وبدو.

لقد كانت الانتفاضة «**شيوعيّةً**» في مضمونها الاجتماعي والاقتصادي[٤]. وحمل قائدٌ قرمطيٌّ: اسمه زكرويه بن

(١) ف. حتي: سوريا II ص ١٨٩ – ١٩٠.
(٢) ح. حسن: الدولة الفاطمية ص ٣٨٥.
(٣) Met3:civil:اسلام ص ٦٨.
(٤) ح. حسن: الدولة الفاطمية ص ٣٨٧.

مهرويه، إلى سوريا الفكـرَ والنشاطَ القـرمطي. وما عتّـمً أن أصبح قائـدَ القرامطة في الشمال.

إن نشاط هذا القائد يهمّنا، من حيث أنه زرع فكـرَ القرامطة في المنطقة التي نعملُ عليها في هـذا البحـث: الجزيرة والشام. وبالرغم من أن المؤرخين قد جعلوا هذه الحركة تستهدف سوريا، فإنه يبدو لي أنّ فكر القرامطة العراقي المصدر قد استفاد من الانتشار الاسماعيلي الذي كان مركزه في السّلميّة. ونُضيف الآن أنه اكتسب دعايته الخاصة التي عارضها العباسيون، لدرجة أن زعيمهم كان مضطرا للاختباء وتـرْك العمل لأبنائه ومندوبيه.

من جديد سيدعم العربُ حركةَ الظُّهور الشيعي الجديدة[١]. لقد كانوا يمانيين، ولايجب أن ننسى بأن بني كلب في محيط الـرّقّـة قـد انضمّوا إلى القرامطة [٢]. لقد ترك أهلُ السّلميّة المكان للقرامطة، ونقلوا مسـاكنهم إلى إفريقية الشمالية.

وبعد تحضير المسرح، هـيّأَ موتُ الخليفة المعتضىد[٣]

(١) اثير: الكامل A VI ص ٩٩.

(٢) ح.حسن الدولة الفاطمية ص ٣٨٨.

(٣) استعمل القرامطة القوة دائما. في حوران سنة ٢٨٢هـ/ ٨٩٥ م لاقوا مقاومة شهابية، شدياق: أيام I ص ٣٧/ اسود: ذخائر ص ٢٤٤.

لموجة عنف واسعة من الموجات التي برعوا في تنظيمها. ففي السنة ٢٨٩هـ/٩٠١م، استولى القرامطة على المُدُن السورية أيام هارون بن خمارويه[١]، واضعين نصْبَ أعينهم كأنموذج نجاحَهم في شرق شبه الجزيرة العربية.

حاول ابن زكرويه السيطرة على دمشق، التي كان يحكمها طولوني. لكن القرامطة هُزموا في **«وادي السعادين والأفاعي»** في منطقة دمشق، حيث مات قائدهم، فخلفه شقيقه حسين (صاحب الشّامة) وتصالح مع الدمشقيين علــى أن يدفعوا له فدية[٢]. في ذلك الأوان كانت منطقة الغوطة، كذلك مناطق اخرى كجبل الأعلى وجبال لبنان القديم، قرمطية [٣].

بعد دمشق[٤] جاء دور مناطق اخرى أكثر سهولة للغزو بفعل الثقل اليمني الموجود فيها. فسقطت حمص ورُفعت الخطبة فيها باسم القرمطي. قاومت حماه لانها كان يسكنها قيسيون كانوا على خلاف تقليدي مع الحمصيين. كان سكان حماة مضطهدين، مطرودين ومُعرّضين للقتل. كما

(١) ابن العبري: دول ص ١٥١.
(٢) اثير: الكامل VII (b) ص ٥٢٣ – ٥٢٤.
(٣) كرد علي: خطط I ص ١٠٧ / Bouron: الدروز ص ٩٦.
(٤) اثير: الكامل VI (A) ص ١٠٤ / كرد علي: خطط I ٢٠٧ / ف. حتى: سوريا II ص ١٨٩–١٩٠ / قازان: لبنان ص ١٢٧.

احتُلتْ المعرّة والسّلميّة حيث كان الحمصيون مقموعين. في بعلبك جُزّرَ بجزءٍ من السكان. ويمكن أن نتساءل ماإذا كان التشيع قد اجتُثّ في هذه الفترة من المُدُن التي قاومت وتلقّتْ ضربات القرامطة الأكثر قسوة.

متوجساً من الامتداد القرمطي في سوريا الشمالية وشبه الجزيرة العربية، أرسل الخليفة العباسي المكتفي سنة ٩٠٢/٢٩٠م حملة عسكرية بقيادة أبو الأغرّ. لكنّ هذه الحملة هُزمت في وادي البستان على طريق حلب، والتجأ قائدها في هذه المدينة، فحاصر القرامطةُ حلب دون التمكن من دخولها (١). انتقل الخليفة سنة ٢٩١هـ / ٩٠٣ م نحو الرّقّة حيث يمكنه حكم مجمل الصحراء السورية مع المحافظة على السيطرة على العراق. أرسل مفارز عسكرية بهدف إيقاف القرامطة مستعينا بالقيسيين من تميم وكلاب لهذا الهدف (٢). كان حال القرامطة صعبا لأنهم وقعوا بين الطولونيين من جهة والعباسيين من جهة اخرى. ما أن يتنفسوا الصعداء على جبهة حتى يقعوا في المشاكل مع الأخرى. كان القائد العباسي في تلك الفترة محمد بن

(١) اثير: الكامل VI (A) ص ١٠٥ / إبن العديم: حلب:I ص ٨٨-٨٩ / طباخ: حلب I ص ٢٣١-٢٣٢.
(٢) إ بن العديم: حلب I ص ٩٠.

سلمان، فتوجه إلى حلب بنيّة طرد القرامطة والطولونيين من سوريا، فهزم القرامطة قرب حماة وأحرق قادتهم في بغداد[١].

أحدُ الحمْدانيين، واسمه حسين بن حمدان، الذي كان في خدمة الخليفة نظّم مقتلةً بالقرامطة في الصحراء السورية بمساعـدة الشيبانيين[٢]. ويمكن لـنـا أن نتساءل ما إذا كان القيسيون في الجزيرة والخوارج بالإضافة إلى الشيعة الذين استمروا على خط الأئمة كانوا مُضطهَـدين من القرامطة لكي يشهدوا الخسارة الدموية التي فرضت أخيراً على هؤلاء؟

تمكّنَ العباسيّون من هزيمة القرامطة [٣] وإعادة السيطرة على سوريا كما على مصر سنة ٢٩٢ هـ/٩٠٤م. وبذلك وضعوا الحـدّ النهائي للحكومة الطولونية [٤].

السـؤالُ الآن: هل استولدت القرمطيةُ تغيّراً أساسياً في سوريا لصالح التشيع؟

هناك عـــدة اعتبارات أنجحت الطابع الشيعي النّشِـط للقرامطة في ذلك العصر. نُلخّصها بما يلي:

---

(١) اثير: كامل VI (A) ص ١٠٨.

(٢) نفسه ص ١٠٨.

(٣) اكمل القرامطة حركتهم في البحرين واليمن ومكة: ح. حسن: الدولة الفاطمية ص ٣٨٩.

(٤) اثير: كامل VI (A) ص ١١٠.

١ – بالنسبة للقرمطيّة المتفرّعة من الإسماعيلية، لا زال محمد بن إسماعيل بالنسبة لهم هو المهدي المُنتظَر. الأمر الذي كان موضع استياء الإسماعيليين الذين يعتقدون أنّ المهدي هو من سلالة محمد بن إسماعيل.

٢ – انتقد القرامطة الرافضة [١] والاثنى عشريّة الذي ينتظرون إمامهم ويمدّون بعمره [٢].

٣ –إن الطابع الإجتماعي للقرامطة يُبعده عن المنحى العلوي الذي اتخذه، فالمضمون كان اجتماعياً بلا نقاش، أمّا التخفّي فكان علويّاً دينياً.

٤ – أدخل الطابع العنفي للحركة (نهب، مجازر، اجتياحات، انتهازيون يسعون إلى السرقة) [٣].

حتى ذلك العصر، ظهر التشيع في سوريا بشكلين: الاسماعيلية والقرمطية، كان على الاثنى عشريين انتظار نهاية تلك الفترة لتتحقق غيبة إمامهم الثاني عشر، ولتكمل قاعدة

(١) الرافضة: اسم أُعطي للشيعة ايام الصادق لأنهم رفضوا إمامة أبو بكر وعمر. رأي آخر يقول بأن الأسم اعطاه المغيرة بن سعيد المتوفي سنة ١١٩هـ/٧٣٧م للذين كانوا مع إمامة جعفر الصادق. وبحسب الشهرستاني فإن التسيمة أعطيت للشيعة الكوفيين حيث انهم رفضوا رأي زيد بن علي في مساندة أبي بكر وعمر. رأي آخر يقول بأن التسمية أعطاها الإمام الصادق لأن الشيعة رفضوا أن يكونوا مع فرعون ليكونوا مع محمد وآله. مهما يكن فإن الأسم استعمل أيام الرشيد لوصف الشيعة مثل الشاعر السيد الحميري.

(٢) اثير كامل VI (A) ص ١٨٨.

(٣) م كرد علي: خطاط I ص ٢١١.

عقيدتهم، فعلى حساب كل هذه الحركات الشيعية، سرّب الاثنا عشريون أفكارهم وكسبوا جزءا كبيرا من سوريا.

ب- محاولةٌ عباسيّةٌ أخيرة (٢٩٢-٣٢٣هـ/٩٠٤-٩٣٤م):

احتلّ العباسيّون سوريا بعد أن أنزلوا الهزيمة القرامطة، الذين كانوا القوة الوحيدة القادرة على مقاومة الخليفة، وأيضاً بعد وضْع حدٍّ عمليٍّ للوجود الطولوني منذ العام ٢٩٠هـ /٩٠٢م. لكن هذه القوة كانت تحمل في طيّاتها بذور خسارتها أو على الأقل عدم قدرتها على حكم سوريا.

ج- القرامطة أيضاً:

كان الحاكمُ العبّاسيُّ ابن كيغلغ. وسنة ٢٩٣هـ / ٩٠٥ م جرّب القرامطةُ حظّهم مُجدّداً في منطقة دمشق، مستغلّين سفرَ حاكمها إلى مصر. فقد هدّدوا واجتاحوا عدّة بلدان: بُصرى وأذرعات ودمشق، حيث ساعدهم بعض القرامطة المحليين من سكانها[١]. بينما دُمّرت حوران ومنطقةُ طبريا. المُهمُّ هنا أنّ بعض الكلبيين كانوا في صفوف القرامطة.

بينما كان إبن كيغلغ يحكم سوريا باسم العباسيين،

(١) اثير: كامل VI (A) ص ١١٢-١١٣ / ابو الفداء: مختصر II ص ٦٠ / كرد علي: خطاط I ص ٢١٠.

حافظت بغداد على موقفها المضادّ للشيعة [١]، إنْ من خلال وجود وزراء معروفين بعدائهم للبيت العلوي من آل بيت النبي: القاسم بن عبيد الله (٢٩٠-٢٩٢هـ/٩٠٢-٩٠٤م)، الحامد بن العباس (٣٠٦-٣١١هـ/٩١٨-٩٢٣م)، أو من خلال إبعاد البهلوانيين مثل علي بن عيسى أو الشيعة مثل علي بن الفرات. هذا الموقف لبغداد بدا واضحا من خلال خنق مغامرة مؤنس المخصي والحاجب بن يلبق سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م، كذلك في هَـدْم مسجد بُراثا الشيعي في بغداد. لكن نهاية هذه الفترة أظهرت نوعا من الثقل الشيعي في العراق، فقُضي على الحنبلية أمام الضغوط الشيعيّة والقرمطيّة، وأعيدتْ عمارة مسجد بُراثا وحراسته[٢].

بعد نوع من الرّاحة على الجبهة السورية، بدأ القرامطة في بداية القرن الرابع الهجري هجوماً [٣] يستهدف البصرة سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م و ٣١٢هـ/٩٢٤ م، زراعين النهب والحرائق. وقطع أبو طاهر، قائدُ القرامطة، طريق الحج أمام القافلة العراقية، وسَجنَ أبا الهيجاء الحمْداني.

(١) Laoust: schisms (تصدعات) ص ١٥٢-١٥٤.

(٢) نفسه / ١٥٥.

(٣) اثير: كاملVI (A) ص ١٩١، ١٨٨، ١٨٦، ١٨٠، ١٧٧، ١٩٤، Laoust: التشيع / ١٤٢.

سنة ٣١٦ هـ/ ٩٢٨م بدأ احتلال سوريا، فسقطت دالية والرّحبة وجُـزّر بسكانها. القــدَرُ نفسه كان بإنتظار سكان ضواحي الرقة وقرقيزيا ورأس عين وكفرسوسة وسنجار فطلبت الأمان وحصلت عليه.

إن غزوات القرامطة في سوريا تفسَّـر بعدم قدرتهم على تأسيس دولة ومقاومة بعض المقاطعات السورية وطلب الأمان للبعض الآخر. مظهران من الموقف السوري يمكن أن نفسّرها كما يلي:

رفض المقاطعات السُّنيّة فتح أبوابها للقرامطة النّهّابين.

خوف بعض المقاطعات من مصير مُشابه للمقاطعات المقاومة.

وجود في بعض المناطق لجزء من السكان المقترمطين أو المستائين وغير القادرين على الانتفاض، مستعملين التقية أو اللامبالاة (الإسماعيليون، الإثنا عشريون).

إن وجود سكان متقرمطين داخل الإمبرطورية العباسية، أكّده أبن الاثير[١]. فمنطقة الكوفة كانت تضمّ قرامطة يستخدمون التقية. فمن المقبول أن نجد قرامطة في المناطق

(١) اثير: كامل VI (A) ص ١٩٤

الأكثر بُعداً عن الحكومة المركزية (سوريا مثلا).

ظلّ القرامطة أثناء هذه الفترة من الوجود العباسي يمثلون الخطرَ الوحيد الحقيقي، وكانوا يُعبّئون مسرح عملياتهم بحسب الظروف، ولكن مهما يكن فإن قوتهم الأساسية ظلت في شبه الجزيرة العربية، حيث تمكّنوا أثناء العام ٣١٧هـ / ٩٢٩م من اجتياح مكّة وأخْذ الحجر الأسود إلى البحرين[١]. ونراهم بنهاية هذه الفترة (٣٢٣هـ/٩٣٤م) يقطعون طريق الحج مرة أخرى أمام القافلة العراقية. ولعب الشيعة دوراً كبيراً لدى القرامطة ابتغاء تسهيل مرور الحجاج فتراجع القرامطة ووصلَ الحُجّاجُ إلى بغداد[٢].

مع المحافظة على شخصيتهم الخاصة ضمن المجموعات الشيعية، ظلّ القرامطةُ على علاقة طيّبة مع الشيعة الآخَرين. هو ذا ما نراه، من جهة، من خلال دور العلويين لدى أبي طاهر لتحرير القافلة العراقية. ومن جهة أخرى، من خلال تدخُّل المهدي الفاطمي الاسماعيلي مع أبي محمد عبيد الله العلوي. بعد انتزاع الحجر الأسود من مكة خضع ابو

(١) اثير: الكامل VI ص ٢٠٣-٢٠٤ / ابو الفدا: مختصر II ص ٧٤ / قازان:لبنان I ص ١٢٨

(٢) اثير: الكامل VI (A) ص ٢٤٩.

طاهر لطلب الخليفة الفاطمي وأرجع الحجر إلى مكانه(١).

على الصعيد القبَلي، حصل القرامطة على مساندة اليمانيين العرب بشكل عام. كانت رايتهم بيضاء(٢). لكن ذلك لم يكن تطابقاً مع اليمانيين الذين كانت رايتهم من اللون عينه(٣). على عكس ذلك فإن اليمانيين (التنوخيين وبني القيس) كانوا مُضطَهَدين من قبل الحكام العباسيين في تلك الفترة، فوالي حلب هو من اضطهدهم في قلاع اللاذقية(٤).

د- الاثنا عشريون:

في مايخص الاثنا عشريين، فقد كانت الفترة الممتدة بين الطولونيين والفاطميين مفيدةً لهم، لأنّها كانت فترة هجرة وانتقال للبحتريين والطائيين(٥) من شمال سوريا نحو لبنان وفلسطين. لقد أحضروا معهم معتقداتهم لإكمال التحوّل في سوريا المتغيّرة.

في نهاية القرن الثالث للهجرة، غدتْ طبريا ومحيطها شيعية(٦). ونرى حاكم طبريا الإخشيد، وبمساعدة والده

---

(١) نفسه VI ص ٢٠٤.

(٢) اثير: كامل VI ص ١٩٤.

(٣) الحزبان العربيان المتواجهان كانت راياتهما بيضاء لليمنيين وسوداء للقيسيين.

(٤) ابن العديم: حلب I ص.٩٧

(٥) اتى الطائيون من منطقة حمص: منطقة يمنية شيعية خالصة.

(٦) هذا ماسيذكره المقدسي وناصر خسرو

طغج الذي كان يعمل في دمشق لصالح الطولونيين، مُتوجساً من حضور أبي الطيّب العلوي، الشخصية الشيعية والشريف المحترم جدا من الناس[١]، فكان منه أنْ اغتاله. هذا يُفسّـرُ نوعا ما التأثيرَ الكبيرَ لهذا العلوي على سكان المدينة، لدرجة أن الحاكم اعترف بعدم قدرته على إيقافه، وطلب من والده الحل. لقد كان اغتيالاً سرّيّاً حتى لا يولد انتفاضة شعبيّة.

لكنّ علويّاً آخَر أثار منطقة دمشق [٢]، وهو ابن الرضا المحسّن ابن جعفر: حسيني رفع الراية العلوية ضد ابن كيغلغ ايام الخليفة المقتدر. فقد حاول تأسيس دولة علوية مستغلاًّ الوضع. لكن الحاكم العباسي نجح في هزيمته سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م، وحمل رأسه إلى بغداد وعُرض على الناس. مرّة أخرى، يُضاف شهيدٌ جديدٌ على لائحة الشهداء العلويين. لقد كان العلويون في غالب الوقت ضمن ظروف صعبة في الشام وخاصة دمشق. اضطهدهم الحُكّام كما الحال مع النسائي (٢١٥-٣٠٣هـ/٨٣٠-٩١٥م) الذي دخل دمشق وبدأ بنشر التشيع، فضُرب وذهب إلى الرملة

---

(١) م. كرد علي: خطط I ص ٢١٣ / Metz: الحضارة الإسلامية I ص ٢٨٩.

(٢) مسعودي: مروج K 308 L: IV كرد علي: خطط L I ٢١٢، زركلي: اعلام VI / ١٧٣.

حيث توفي (Metz:الحضارة الإسلامية: I / ١٢١) .

كان الشيعة المحليّون غير قادرين وحدهم على تأسيس دولةٍ شيعية ضمن جوّ من المنافسة المذهبية والصراعات الاجتماعية، فبحسب طويل[١]، حصلت محاولة لتوحيد الاثني عشريين مع الاسماعيليين في عانة في بداية القرن الرابع للهجرة. وقد ضمّ هـذا التجمع علماء من بغداد وعانة وحلب واللاذقية وجبل النصيريّة، لكنه لم ينجح.

وبهاجس إضعاف الشيعة، ثبّتَ العباسيون حكاماً قُساة وأعـداء للشيعة في منطقة حلب حيث عرف التشيّع نوعا من النجاح. تلك كانت حالُ أبي قابوس الخراساني (٣٠٢-٣١٢هـ/٩١٤-٩٢٤م) الذي كان **«معادياً لآل النبي»**[٢]. وبمجرّد أن يذكر ابن العديم هذا المظهر من سياسة الحاكم، يمكننا أن نفكر بأن جزءاً من سكان حلب وضواحيها كانوا شيعة، وبأن ذلك كان السبب وراء سياسة ابي قابوس، وبدونها لن يكون لكلمة ابن العديم بالنسبة لآل النبي أيَّ معنى.

وكان لسوريا الجنوبية النوع نفسه من الحُكام.

(١) طويل: العلويون / ٢٠٥.

(٢) ابن العديم: حلب I ص ٩٥.

فالإخشيدي حكم عمّان وجبل الشُّراة والرملة ودمشق. وفي السنة ٣١٩ هـ/٩٣١م أُرسلت حملاتٍ من حلب ضد التنوخيين داخل قلاع اللاذقية [١]. هل كانت هذه حملات ضد الشيعة بجبل النصيريّة؟ مهما يكن فأنهم قاوموا، تساعدهم الامكانيّاتُ التي تُوفّرُها لهم مواقعُهم الحصينة. ولكنّهم في النهاية طلبوا الأمان. استفاد الاخشيديون من الوضع في سوريا، فقد حكموا أولاً باسم الطولونيين، ثم باسم العباسيين، ثم قرّروا أن يعملوا لحسابهم الخاص. أما التشيّع الذي تمكّن من كسْب جزءٍ من السُّكّان السوريين، فقد استطاع إظهار حضوره السياسي من خلال تأسيس إمارتين حمدانيتين.

٣- سوريا الاخشيدية (٣٢٣-٣٥٧هـ/٩٣٤-٩٦٧م):

عرفت سوريا في هذه الفترة ثلاثة أنواع من الحكومات: الإخشيدية، الرائقيّة والحمدانية. أما الأولى والثانية، فيمكن تصنيفها ضمن سوريا السنية بينما سنعالج موضوع الثالثة في القسم الثاني.

أ- الاخشيديون: تبدو تجربةُ هؤلاء السياسيّة شبيهةً

(١) ابن العديم: حلب ا ص ٩٥ / طبّاخ: حلب ا ص ٢٣٨

بتجربة الطولونيين: أُسرةٌ تركية بسطتْ سُلطتَها على الحكم في سوريا ومصر مستفيدة من ضعف العباسيين. فمحمد بن طغج (الذي اصبح لاحقاً الإخشيد) صار حاكماً لهاتين المنطقتين منذ السنة ٣٢٣هـ/٩٣٤م من قِبَل الخليفة الرضي. ثم أنّه أعلن الانفصالَ الإداري عن السُلطة المركزيّة في بغداد بعد بعض التحضيرات.

لم تختلف السياسة الاخشيدية تجاه الشيعة عن السياسة العباسية او الطولونية. فالتحالف مع العباسيين والأتراك، الذين كانوا يؤلفون في ذلك الوقت الفِرَق الأكثر إخلاصا للعباسيين، قادت الإخشيديين لأن يكَونوا سُنّة، كما كلُّ إخوتهم، وأن يمارسوا ضمن إطارهم سياسةً ضد الشيعة [١].

لكن الوضع المحلّي في القرن الرابع للهجرة، أملى عليهم الإعتراف بالشيعة كممثلين وحيدين لآل النبي، واحترام السادة (الأشراف)[٢].

إذا نحن قبلنا روايةَ المؤرخ المسعودي، القائلة أنّ دُعاةً إسماعيليين تركوا الضواحي الجنوبية لبحر قزوين للاستقرار في سوريا تحت حماية إخشيديي مصر، هرباً

(١) طويل: العلويون / ٢١٧.

(٢) A.metz: الحضارة الإسلامية: I / ٢٨٨-٢٨٩.

من البويهيين الإمامية، فـإنّـنـا نرى كيف تكيّف الاخشيديون ابتغاءَ التقـرّب من غالبية رعاياهـم من الشيعة، الذين بـاتـوا الآن أكثر عـدداً من السنّة.

مـاذا عن السياسـة القبَليّة للإخشيديين؟

نعـرفُ القليل عن السياسة القبَليّة للإخشيديين. من الثابت أنّ محمد بن طغج توجّب عليه الاعتمادُ على كلابيي حلب، قبل إعلان انفصاله عن الحكومة المركزية، ليكونوا سـندَه في حِراكِـه السياسيّ. فأعلن أحمد بن سعيد بن عباس الكلابي قائد الكلابيين والياً عليها. ماولّـدَ سيلاً بشـريّـاً قادماً من نجـد من هذه القبيلة [١] نحو سوريا الشمالية (المعـرّة وغيرها). ولكنّه في الوقت الذي كان يتقرّب من الكلابيين[٢]، فإنّـه فَقَـدَ يمانيي سوريا الجنوبية، بينما كان والياً عـبّاسيّاً عـلى عمّان وجبل الشراة [٣].

أين كان الحضور الشيعي في سوريا آنـذاك؟

يمكن أن نُجيب ولكن من زاويتين.

- لا يمكن مطلقا أن نُـدقّـقَ في الجزيرة من زاوية التاريخ

---

(١) إ بن العديم: حلب:ا / ٩٨-٩٩، sguvaget: art حلب ٢: E.I. III ١٩٦٥ / ٨٧-٩٢.

(٢) كان ذلك جزءا من السياسة الاخشيدية أن يعتمدوا على قبيلة كبيرة وإن كان اخلاصها للتسنُن موضع نقاش: طبّاخ: حلب ١: / ٢٤٩.

(٣) محمد كرد علي: خطط L ا ٢١٣..

الإخشيدي في الوقت الذي ظلّت فيه سوريا الشمالية إخشيدية حتى السنة ٣٢٨هـ/٣٢٩م، تاريخ احتلال ابن رائق لهذه المنطقة. وبعد موته كانت سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م حاسمة، فقد أكمل الحمدانيون الغزوَ وأسّسوا إمارتهم الثانية في حلب بعد الموصل.

هكذا بدأت الجزيرة كما سوريا الشمالية تأخذُ موقعَها في التاريخ الحمداني: الأولى بعد ٣٢٤ هـ، والثانية بعد ٣٣٣هـ.

٢- انتقل القسم الباقي من سوريا الذي كان إخشيديّاً خالصاً، أكثر من مرّة إلى يدي ابن رائق ثم سيف الدولة الحمداني.

كان الحضور الشيعي في تلك الفترة مُهمَلاً. فلم يذكره الاصطخري (المتوفى سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م)[1] مع أنه كرخي (شيعي؟)[2]. ومع أنّه تحدّث عن حوالي ستين منطقة في سوريا والجزيرة، وذكر نصارى في نصيبين وقَدَس وتكريت، هاشميين وأُمويين وعرباً في بعض المُدن. ما خلا ذلك، فقد تحدث عن المياه الجارية والمُدن الكبيرة

(١) اصطخري: مسالك: ص ٤٣-٥٥.

(٢) نسبة للكرخ الحي الشيعي في بغداد.

والكنائس والمساجد والأشجار والبحيرات وأشجار النخيل والقلاع.

كان الشيعة موجودين في ذلك العصر، خصوصاً في مواطن انتشارهم الرئيسيّة في مُدُن الساحل الغربي على المُتوسّط. فقد ذكرهم الأمين في صيدا وصور وطرابلس(١). فسوريا في ذلك العصر كانت قد تحوّلت، وسكانها شكّلوا مروحةً من المذاهب الشيعيّة: الإسماعيلية والقرمطية والعقيدة الاثنى عشريّة. ولكنهم استمرّوا بالتنكُّر عملاً بالتقيّة، بانتظار الوقت المناسب الذي يكونون فيه من القوة بما يكفي لرمي أقنعتهم ويُظهروا وجوهَهم الحقيقيّة. وهذا ما فعلوه تماماً مع وصول أشقائهم الحمدانيين(٢)، وبالأدقّ الفاطميين. لأنّ الشيعة في المناطق الخاضعة للحكومات السُّنيّة (سوريا الجنوبية والوسطى) أبدوا في تلك الفترة رضىً أكثر من الآخرين.

حصر القرامطةُ عملَهم في شبه الجزيرة العربية

---

(١) م.الأمين: أعيان I جزء II ص ٢٥٨.

(٢) لم يكن هكذا حال معظم الدمشقيين، فالحمدانيون كان لهم مؤيدون في المدينة، لكن الغالبية كانت سنية ومعادية للحمدانيين ما منع سيف الدولة من السيطرة على المدينة "نزولاً عند رغبة سكانها" واستعاد حلب مرّتين سنة ٣٣٣ هـ ٣٣٥ هـ: ابن العديم: حلب I / ١١٤ و١١٧ ،ابو الفدا: مختصر II / ٩٥ / canard: تاريخ السلالة: I / ٥٨٢ / اثير: الكامل VI (A) / ٣١٢.

والعراق[١]. كما حاولوا سنة ٣٢٥هـ/ ٩٣٦م أخـذَ الكوفة، فسيطروا على الأنبار، وهدّدوا العاصمة بغـــداد. وعملوا بالتزامن والتنسيق مع الفاطميين[٢]، ابتغاءَ ترْك العباسيين بوضعهم الضعيف، والهجوم على الأخشيدين، وأيضاً تسهيلاً على الفاطميين احتلالَ مناطقهم. ولم يبدأ الهجومُ الكبيرُ على سوريا إلاّ في نهاية تلك الفترة، وقد انتهى بتحقيق المُخطّط السياسي الفاطمي بتمامه[٣]. بعد تحقيق هذا الدّور أخذ القرامطةُ منحىً آخـرَ داخـل منطقةٍ شاسعةٍ لم تكن ملائمةً لهم: (الفاطميون، البويهيون، الحمدانيون).

في السنة ٣٥٧ هـ / ٩٦٧ م أحتلّ الفاطميون مناطق الاخشيدين، وبذلـك وضعوا حـدّا لتأرجح سوريا بين العقيدة الشيعية والحضور السياسي السُّنّي.

ب- حقبة ابن رائق[٤] (٣٢٨-٣٣٠هـ/٩٣٩-٩٤١م):

سنة ٣٢٨هـ/٩٣٩م، استغلّ محمد بن رائق، وهو ضابطٌ غير عربي، ظُلْمَ بعض عناصر المجتمع، وكان الشيعةُ على

(١) اثير: الكامل VI (A) / ١٨٦ – ١٨٧.

(٢) اعاد القرامطة الحجر الأسود بعد تدخل الخليفة الفاطمي المنصور.

(٣) م. كرد علي: خطط: I / ٢٢٤.

(٤) اثير: الكامل VI :(a) / ٢٧٣-٢٨٠،٢٧٤- ٢٨٤،٢٨١، إبن العديم: حلب I: / ١١٠- ١٠٢، طبّاخ: حلب: I / ٢٤٣، حتي: سوريا:II / ١٩١-١٩٢، زركلي: اعلام:VI / ٣٨٥.

رأسهم، ليتخذَ أمين سرٍّ له هو الحسين بن علي النوبختي. ونجح في أن يُسمّي نفسه أميراً مطلقاً. ثم أرسل حاكماً عباسياً على الجزيرة. مُتوجّسًا من تغيّرَ الخليفة الراضي نحوه، وواثقاً من رعيته المعادين للعباسيين والمعاديين للسُّنّة. حاول مدّ سيطرته على سوريا ابتغاء تأسيس دولة خاصة به.

احتلّ ابنُ رائق حمص وحلب ودمشق والرملة ووصل إلى عريش مصر. وفشل الإخشيد في محاولته إيقافه، فتصالح معه تاركاً له كل منطقة سوريا فوق الرملة.

بحسب الشّيعة والعلويين منهم بالأخص، صار ابن رائق حاكماً، فانتهج سياسةً مُقرّبة من الشيعة، ومن ذلك أنّه عيّن بدر بن عمّار حاكماً على طرابلس . لقد كان حكمُ ابن رائق الخطوةَ الأُولى في سوريا على طريق الحريّة المذهبيّة. وكانت طرابلس مركزاً شيعياً مهمّاً في ذلك الأوان[1]. هكذا، فإنّه بغياب السلطة المركزية القاهرة، ومع الثقة التامّة بحاجة الحكام الانفصاليين المغامرين لدعمهم الذي لا غنى لهم عنه، بدأ الشيعةُ في سوريا

(١) الطويل: علويون / ٢٧٣.

بالإعلان عن أنفسهم دون خوفٍ من الاضطهاد.

تحاشى الخليفة نتائج سياسة ابن رائق وتقرّب منه. لكن قوةً أخرى ناشئة عزلته ليبقى الداعم الوحيد لبغداد. فقد قتل الحمْدانيون ابن رائق لعدم الثقة به، وتحضّروا للمبارزة مع الاخشيدين حول سوريا. احتل سيفُ الدولة حلب وحمص ودمشق ولكن لعدم قدرته على المحافظة على دمشق اكتفى بسوريا الشمالية.

هكذا كانت الأجواء التي تشكّلت فيها أولُ حالة سياسيّةٍ شيعيةٍ في سوريا. إنّها بداية الانتصار السياسي للإيديولوجيا الشيعية في قلب الإسلام. كان هذا العصر عصر التفوق للتشيع: فسوريا، كما عدّة مناطق اخرى اجتاحها هذا المذهب ومجموعاته. كان الاخشيديون مطوّقين من القرامطة حتى الشرق، والفاطميين من الغرب، والحمدانيين من الشمال. حتى بغداد كانت تحت تأثير العائلة الحمدانية بعد اغتيال ابن رائق. ثم جاء البويهيون سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م.

ها إن تاريخ سوريا الشيعية سياسياً قد بدأ، ولدراسته سوف نبدأ بسوريا الشمالية والجزيرة الحمدانية التي تمّت السيطرة عليها قبل عشرين سنة من بقية البلاد، ثم نتابع مع الفاطميين.

الجزء الثاني



سوريّا الشيعيّة



الفصل الأول

الحمْدانيون

١ - التغلبيون:

كوّن التغلبيون مع بكر وتنّوخ القبائلَ العربيّةَ النصرانيّةَ التي سكنت بلاد ما بين النهرين قبل الفتح العربي [١]. بعد الفتح، تبنّت الحكومةُ المركزيّةُ تجاههم سياسة أسلمةٍ عدوانية، وإسكان عرب آخرين قيسيين في مناطقهم في الجزيرة.

حاول التغلبيون عدة مرات رفْض الخضوع لهذه السياسة، إنْ عَبرَ الدخول إلى بلاد الروم، أو عبر الإعلان عن سياسة مناهضة للإسلام [٢]. على عهد عمر، حصلتْ مُصالحة. وعاد التغلبيون إلى ديارهم بدون أن يلعبوا دوراً كبيراً أثناءَ الحكم الراشدي ثم الأُموي حتى نهاية مجيء الإمام الحادي عشر عند الاثنى عشريين.

(١) الطبري:اخبار III / ٤٢٩/ H.lammens : حكم معاوية / ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٣٥.

(٢) وإن يكن مسلما، ظل زعيم التغلبيين في الكوفة يشرب الخمر: lammens : معاوية / ٣٩٧.

منذ النصف الثاني للقرن الثالث للهجرة، بدأ تغلبيو الجزيرة، وعلى رأسهم بنو حمدان، بإظهار حضورهم دون تبنّي خط واضح في سياستهم.

كانت الجزيرة حتى هذا الوقت عباسيّة، وإن كانت سوريا طولونية. وكان الحمدانيون مرّةً مناهضين للخوارج، ومرّة معهم، ثم مؤيدين للعباسيين وضد القرامطة. وتكيّفوا جيداً مع المناخ في منطقتهم كما في بغداد. ودخولهم الفعّال في تاريخ منطقتنا لم يُضبط الاّ سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م، بعد اعتراف الخليفة بحسن بن حمْدان أميراً على الموصل وديار بكر ومُضر، أي على كل الجزيرة. وأمتدت سلطته من دجلة إلى الفرات ومن الموصل إلى الرّقّة. كان على الحمدانيين التضحية كثيرا لكسب الجزيرة، وجهودُهم و آراؤهم ضمن محاولات التهدئة الغريبة تُظهرُ تشيُّعَهم المتباين والمصنف **«بالمعتدل»**

بدت الجزيرة، التي تلقّت الحصة الأكبر من التحولات منذ العهد الأموي، المنطقة الأولى التي تمكن فيها التشيع من مَدّ جذوره وتأسيس أول بُنية سياسية شيعية.

٢- الحمدانيون: شيعة؟

يصنّف عدد كبير من المؤرخين الحمدانيين على أنهم شيعة: يصنف ابن الاثير حسين بن حمدان كشيعي ناشط وكداعم لعلي وآله[١]. وبالنسبة لآدم مِتز[٢] كان الحمدانيون أول أُسرةٍ شيعية تدخّلتْ بشؤون بغداد. وبالنسبة لماسينيون، حِتّي، محمد كُرد علي، طبّاخ وكانار، فالحمدانيون شيعة محافظون معتدلون[٣]. هذا بمعنى من المعاني التشيُّع الاثنى عشري المثبت جيدا وليس التشيع القبلي السطحي. يمكن إظهار التشيع الحمداني من خلال تحليل التاريخ الحمداني، هنا نتساءل لماذا صنّفوا كشيعة؟

٣- مُحاولةٌ للبحث في تاريخهم القبلي.

يسمح بحثٌ على السياسة القبَليّة للحمدانيين أجراه ابن العديم، ومحمد كُرد علي وكانار، بإهمال فكرة تطبيق العموميّة المُثبتة في القسم الأول، لكون الجزيرة تفلتُ من أيٍّ تعميم. بالرغم من كونها مسكونةً بغالبيةٍ قيسية، فطابعُها السياسي معقّدٌ جدّاَ، ونجدُ فيها كل شيء: سُنّة،

(١) اثير: كامل VI (A) ص ١٢٢

(٢) A.Metz : الحضارة الاسلامية I ص ١٣٦و٢٨٩.

(٣) م. كرد علي: خطط I ص ٢١٨، طبّاخ: حلب I ص ٢٧٩ – ٢٨٠.ف.حتّي: سوريا II ص ١٩٤.

خوارج، قرامطة، وكثير من الأفكار التي كانت موجودة ولكن مكتومة. كل هذا التنوع في الأفكار والنشاطات كان متجذّرا عند قيسيي الجزيرة.

تُثبت الصورة التي رسمها كانار عن سكان الجزيرة في القرن العاشر[١] أنّ الجزيرة كانت، كما تُشير أسماءُ الديار الثلاثة، قيسيّة بكاملها. تسرّب اليمانيون من جهة العراق. فقد ذُكروا في البوازج وحديثة والموصل. بينما كانت باقي القبائل قيسية وعلى رأسها كلاب وتغلب. كانت كلاب الأكثر قوةً وعدداً [٢]، وكان إسم عرب يشير إليها[٣]. وقد ساهمت في معظم حركات المنطقة في هذا العصر، متأرجحةً بين مختلف الأحزاب المتخاصمة، محاولين السيطرة على السلطة، فخورين وواثقين بأن تلمّسهم لن يُرتِّب عليهم أي نتيجة خطرة في ظل غياب مجموعة تغلبية متماسكة أو أي مجموعة أخرى ممكن أن تكون داعمةً للحكّام الحمدانيين[٤]. كانت سياسةً شيعيةً نموذجيةً بامتياز، مُستوحاةً من التّقيّة وممارسة فنّ التّهرُّب من الخطر.

---

(١) Canard: تاريخ السلالة: ١ / ١٣١ـ١٤٣ و ٢٣٥ـ ٢٤٠.

(٢) كحالة: قبائل: ٣ / ٩٨٩.

(٣) ابن العديم: حلب: ١ / ٢٠٧.

(٤) كانار: تاريخ السلالة / ٥٧٦.

في سوريا الشمالية يمكن أن نفهم الجناح اليماني للتشيُّع، المقاطعات الساحلية المشتملة على جبل النصيريّة وجانبي نهر العاصي التي كانت تؤلف منطقة شيعية بامتياز في ذلك الوقت[١]. كذلك مُدُن حمص وحماة والمنطقة الممتدّة من تدمر إلى السّلميّة ضمناً. كل هذه المناطق كانت يمانية (كلب، تنوخ، بهراء، طيء) وعلى رأسها كلب وتنوخ. أحتلّ القيسيون الذين كانوا موجودين في المنطقة، شرقَ وشمالَ شرق المنطقة، أي المناطق التي كانت على احتكاكٍ مع ديار مضر.

بحثٌ بسيطٌ في السياسة القبَليّة الحمدانية تسمح باستخلاص أمريَن:

– الأول: المساهمة اليمانيّة الضعيفة في تاريخ الحمدانيين.

فيما يتعلّق بعدد القبائل، وكذلك عدد حالات المساهمة، يُشار إلى أربعة قبائل يمانية (كلب، طيء، بهراء، بجيله). يمكن أن نذكر خمس مساهمات لكلب، ثلاث لطيء، وواحدة لكل من بجيله وبهراء.

للتبسيط [٢] يمكن أن نذكر عشر مُساهمات يمانيّة.

---

(١) سوف نأتي على هذه المسالة لاحقا في هذا القسم.

(٢) يأتي التبسيط من كون عدة قبائل قد ساهمت في نفس الوقت بذات الانتفاء.

بالمقابل يمكن أن نصل إلى خلاصة أُخـــرى.

– الثاني: مساهمةٌ نشِــيطةٌ في الحياة السياسية، أو بالأحــرى العسكرية، في ســوريا، من قِبَــل القبائل القيسية.

اثنا عشر قبيلة ساهمت بذلك: (عُقيل، نمير، كلاب، تغلب، شيبان، عامر بن صعصعة، سليم، أسد، تميم، كعب، قشير، تغلبة، ضبّه بن أُدّ، حبيب وعجلان). يمكن أن نذكــر بــعــد التبسيط

ثماني عشرة مساهمة كلبية، بينها واحـدة قرمطية، وخيانتان، وانتقال من جانب إلى آخر.

- ثماني مساهمات نُميريّـــة.

مهما يكن، فقد كان المجال حُـرّا للقيسين في هذه المرحلـة من تاريخ سوريا، فانتـقـلوا إلى الثورة عندما احسّوا بأنهم مسحوقون من قبل التفوّق العـددي التغلبي أو الكلبي. جهد الحمدانيون من خلال سياسة علاقة القوّة، بالاعتماد على كلاب وعُقيل في الجزيرة، وعلى كلب وتنوخ عندما كان الأمر يتعلّق بسوريا الشمالية.

بعد خمــسٍ وســبعين سنة من النجاح في هذه السياسة، صارت سوريا إرث ثلاثة قبائل كبيرة: عُقيل في الجزيرة،

كلاب في سوريا الشمالية، طيء في فلسطين.

٤- التشيع في العصر الحمداني.

إن تشيّع الحمدانين كان مسألةً واضحةً جدّاً بحيث لا تحتاجُ إلى تجشُّم دليلٍ وبرهان لدى غالبية المؤرخين والكُتّاب الشيعة. ولكنَّها لم تُعالَج بجدّيّة حتى الآن، بوصفها إشكاليّةً حقيقيّةً إلا على يدٍ Horovitz [١].

لذلك سوف تحتل هذه المسألة اهتمامَنا في هذا القسم. وسوف نحاولُ استظهارَها (الإشكاليّة) بما تدلُّ عليه المظاهر والمواقف السياسية المؤيدة للشيعة عند الحمدانيين قبل وبعد تأسيس إمارتي الموصل وحلب.

أ- قبل تأسيس الإمارتين (قبل ٣٢٤ هـ/٩٣٥م).

يمكن أن نذكر في هذه المرحلة، بعد التأرجح السياسي للحمدانيين، موقفاً تجاه القرامطة، وإن كُنّا غير متأكّدين حتى الآن من تشيُّعهم. في سنة ٢٩٣هـ/٩٠٥م أباد الحسين بن حمدان الجيوش القرمطية، واستمّر ابنه أبو الهيجاء في خدمة العباسيين، فسجنه القرامطة ثم أطلقوه.

يمكن لعدة اثباتات نراها في تاريخ هذه الفترة أن تساهم

(١) Josed HOROVITZ : الحمدانيون والشيعة II ١٩١١ ص ٤٠٩-٤١١.

في توضيح العقيدة الحمدانية. وسنقفُ الآن على سيرتي رجلين من الأُسرة الحمدانية، كلاهما من فترة ما قبل تأسيس الإمارتين الحمدانيتيَن، في الموصل ثم في حلب.

ب- الحسين بن حمدان الحمداني (ت: سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م)

- موقفه من قضية ابن المعتزّ: وقفَ الحسينُ بن حمْدان إلى جانب ابن المعتز المُعادي للعلويين [١].

هذا الموقف المُتّخَذ منه يُطلق تساؤلاتٍ من قِبَل ابن الأثير [٢] و مِتـز [٣]. وبحسب كانـار[٤] كانَ ذلك خياراً بين الحداثة والليبرالية عـنـد ابن المعتز ووزرائه من بني الفرات. فخياره كان سياسياً بين رؤيتين للحُكم، وطريقتين متناقضتين للإدارة. هذه القضية التي لا علاقة للتشيّع بها يمكن لها على العكس أن تضعه على الخط.

من خلال السياسـة التي اتّبعها في هـذا النطاق الحَرِج، يمكن أن نتساءل: لماذا تآمـر؟ ثـم لماذا ترك المتآمرين مباشرةً بعـد الضوء الأخضرللعمليّات؟ كيف ولماذا عاد

(١) وحدّت هذه القضية السنة بشكل عام (حسين بن قاسم البربهاري مقدّم السنة وبالأخص الحنبليين: اثير: كامل VI :(A) / ١٢١-١٢٢.

(٢) اثير: كامل VI :(A) / ١٢٢.

(٣) Metz:الحضارة الاسلامية: I / ١٣٦.

(٤) M.canard : تاريخ السلالة: I / ٣٣٠.

بسرعة مع الأمان إلى القصر؟ هل دخل في صفوف المتآمرين لتشجيعهم بهدف كشفهم خدمة لميوله الشيعية؟

- حُكم منطقة شيعية [١]: ألم تُشكّل عودتُه إلى بغداد، حيث كان قد كُلّف من قبلُ بحكم مدينتي قمّ وكاشان (مدينتان شيعيتان في إيران) جزءاً من دوره في المؤامرة؟
- إعدامه: يؤكد سببُ إعدامه المُعلَن ميولَه الشيعية. فقد أتُهم بتحضير مؤامرةٍ شيعيّةٍ مع ابن الفرات وابن أبي السّاج.

على أنّنا لا نملك أجوبة قاطعة على هذه الأسئلة، مما يؤدي إلى استحالة إثبات تشيّعه.

ج- أبو الهيجاء الحمداني (ت: سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م)

أمّا بالنسبة لأبي الهيجاء، فإنه يمكن لبعض الاستنتاجات أن تعكس تعاطفه الشيعي [٢]. من ذلك:

- ترميمه ضريح الامام علي في الكوفة. لقد تمّ هذا العمل في الفترة التي كان يُشرف أثناءَها على الطريق من الكوفة إلى مكة.

(١) اثير كامل VI :(A) / ١٣٥، ٣٥١.

(٢) M.canard: تاريخ السلالة I ص ٣٥٤ و ٣٥٧.

- علاقاته مع القرامطة. مع أنه قاتل القرامطة، فقد اقام علاقاتٍ جيّدةً معهم بعد أسْره، ممّا قاد إلى تحرير حُجّاج أسرى [١]، وانقاذِ الجيش القرمطي الذي جاء لمحاصرة بغداد، وذلك بمَنْع إلتقائه مع جيش الخليفة الأكثر عُدّة وعدداً [٢].
- توزيع ١٠٠٠٠ دينار على العلويين والفقراء [٣].
- قمع الحركات الخوارجية في مناطق جنوب ووسط الجزيرة [٤].

كانت هذه بعض المظاهر التي يكمن أن توضح العقيدة الحمدانية قبل تأسيس الإمارات بقليل.

التشيُّع في إمارتي الموصل (٣٢٤–٣٧٠هـ ـ/٩٣٥–٩٨٠م) وحلب (٣٣٣–٤٠٦هـ/٩٤٤–١٠١٦م):

نتوقّع أن نجدَ في هذه الفترة إثباتات أكثر وضوحا على تشيّع الحمدانين، لأنّ أُمراء الإمارتين قد باتوا الآن متمكنين من إظهار عقيدتهم بعيداً عن أيّ ضغط مباشرٍ وقريب. ضمن إطار خاص بهم أصبح بمعنىً ما إقطاعاً لأُسرتهم.

(١) اثير: كامل (A.)VI ص ١٨٠،١٧٧.
(٢) نفسه ص ١٨٧.
(٣) Canard I ص ٣٧٠.
(٤) نفسه ص ٣٨٤ – ٣٨٥.

كان الحمدانيون حتى الآن قليلي الثقة بأفكارهم الخاصة [لم نفهم المقصود بـ «**أفكارهم الخاصّة**» حين يكون الكلام عن الحمْدانيين في هذه المرحلة المُبكّرة الغامضة من تاريخهم. ثم ما معنى «**قليلي الثقة**»؟ (المهاجر)]. وقد حاولوا تحقيق بقائهم والإستفادة جيداً من التناقضات الكبيرة الموجودة على الصعيد الاجتماعي أو المذهبي ابتغاء السيطرة على السلطة. وقد وضع وصولُ البويهيين حدّا لهذه اللعبة، وحملَ الحمدانيين على التمركُز جغرافيا وعقائديا. لقد حاولوا حتى الآن إخفاء هويتهم العقائدية، وقد ثبت ذلك بشكل غير مباشر لدى كانار حين صرّح متحدّثاً عن وصول البويهيين: «**باتت إمارة الخلفاء لأول مرّة بين يدي فارسيّ شيعيّ مُعلَن**»[١].

٥- تشيُّع حمدانيي الموصل:

أ- ناصر الدولة حسن (المتوفي سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م).

- تتوفّر الأدلّةُ بنحوٍ كافٍ على تشيّعه. من ذلك:
- وجودُ قرامطة في جيشه، بالإضافة إلى التفاهم بين القرامطة والحمدانيين ضد مُعزّ الدولة، الذي ما أن

(١) Canard :I / ٥١٢.

أصبح في بغداد حتى أتبع سياسةً عباسيةً مع القرامطة [١].

- المساعدة البويهية التي قُـدّمت لهم عند كل مرة وجدوا فيها أنفسهم بحال صراع مع القسم التركي من جيشه. كذلك ذكرُ اسم الأمراء البويهين في خُطبة الصلاة [٢].
- إرسال الطحين إلى بغداد سنة ٣٢٤هـ / ٩٣٥م، ابتغاءَ توزيعه على العلويين والفقراء في سامرّا [٣].
- الـدَّور الذي لعبه الأشراف العلويون القادمون من بغداد، حاملين اقتراحات سلام من قِبَل الحمدانيين لأعدائهم سنة ٣٥٣هـ / ٩٦٤ م [٤].
- الدعم الذي قدّمته له الأوساط الشيعية أو ذوات الميول الشيعية المُهمّة جدّاً في بغداد سنة ٣٢٧ هـ [٥].
- تصاحَبَ هذا الدعم الهامّ مع دعم حمدانيٍّ للشيعة والمتطرّفين منهم في بغداد أثناء الحروب الأهليّة الدينية سنة ٣٣٢هـ / ٩٤٣ م [٦].
- وجود عُملةٍ (درهم) مسكوكةٍ من قِبَل ناصر الدولة

(١) نفسه /٥١٧، ٥٣٢.

(٢) Canard: تاريخ / ٥١٧، ٥٢٠ ،زركلي: أعلام II / ٢١٠.

(٣) نفسه: ص ٤٠٤.

(٤) نفسه: ص ٥٣٠ / اثير: كامل VIII (B) /٤٠٧.

(٥) Canard : ص ٤١٨.

(٦) نفسه: / ٤٤٦.

حســن. وهي موجودةٌ الآن ضمن مجموعة العُملات الحمدانية في جامعة بطرسبورغ [١] في روســيا، تعكس الكتابات على وجهيها بلا أدنى ريـب تشيُّع ناصر الدولة:

الوجه الأول	الوجه الثاني
لاإله إلا الله	محمد
المطيع لله	رسول الله
ناصر الدولة	علي ولي الله

الجملة الأخيرة من الوجه الثاني هي الأكثر أهمية من حيث أنّها تكـرّرُ عبارة شيعية أنموذجيّة في ولاية علي (علي وليّ الله). ولكن إن كانت قطعة العملة هذه توضح تشيّع ناصر الدولة، فإن ابن الأثير [٢] أتى ليُضيف عُـملةً مسكوكةً سنة ٣٣١ هـ من قِبَل الحمداني نفسـه في بغداد باسم المتّـقي. لكن هذا الفعل يمكن أن يكون مبرّرا بوجود ناصر الدين في العاصمة.

(١) J. Horovitz: الحمدانيون: ص ٤٠٩ – ٤١٠.
(٢) أثير: كامل VIII (B) ص ٤٥٤.

- الصلاة على جثمانه في تل توبة، أدّاها علويٌّ هو ابن حمزة [(١)].

ب- أبو تغلب (المتوفى سنة ٣٦٩ هـ/٩٧٩م):

- أقام أبو تغلب علاقات جيّدةً مع سُلطتين شيعيتين في عصره: عُومل القرامطة بشكل جيد، وتلقّوا هدايا سنة ٣٥٨ هـ [(٢)]، ولم يُمنعوا من المُرور في مناطق الحمدانيين لقتال أعدائهم [(٣)]. وكانت علاقاته مع البويهين جيّدةً أيضاً. يمكن أن يظهر ذلك بالمصاهرة السياسية [(٤)] بين الأُسرتين [(٥)]، كذلك بالتدخُّل البويهي ابتغاء تهدئة الخلافات بين الأُخوة الحمدانيين [(٦)].
- إرسال مستشار وكبير العلويين في بغداد أبو أحمد الحسين بن موسى الموسوي، أبو العلويّيَن المعروفيَن جيّداً لدى البويهيين، الشاعر الشريف الرضي وأخوه الكلامي والفقيه السيّد المُرتضى، إلى الحمدانيين ليلعب

---

(١) Canard I ص ٥٣٩.
(٢) نفسه ص ٥٤٤.
(٣) Canard ص ٥٤٧.
(٤) عقد أبو تغلب على ابنة بختيار وهي في السنة الثالثة من عمرها فقط.
(٥) اثير: كامل VIII (B) ص ٦١٧ / canard I ص ٥٥٤.
(٦) أثير: كامل VIII (B) ص ٥٩٤ / canard ص ٥٤٤-٥٤٥.

دورَه ويمارس تأثيرَه ابتغـاء حلّ مشاكلهم [١]. يُتّهم مستشار العلويين بانه مُقـرّبٌ جِـدّاً من العباسيين، لأنّـه كان يُلقي الخطبة باسم الخليفة المُعطي خارج بغداد، في الوقت الذي كانت المدينة فيه فاطمية [٢]. ولكن يجب ألا ننسى الصراع الاسماعيلي – الاثنى عشري، الذي حاول مواجهة خليفة القاهـرة والشكَّ بنسبه إلى آل النبي [٣]، واختبائه وراءَ الخليفة النظري في بغداد، مع ممارسته كل أشكال التأثير الاثنى عشري [٤]. كان المستشار شيعياً بدون ريـب، وموقفه تجاه الوزير السُّنّي أبي الفضل سنة ٣٦١ هـ، المسؤول عن حريق الكرخ، كان واضحـاً جـدّا [٥].

لا يمكن أن نطلب مظاهـر أكثر دلالـةً على التشيّع من أُمراء الموصل الحمدانيين، في عصرٍ كان التشيّع فيه مجموعةَ أفكارٍ سياسيةٍ دينيةٍ تستهدفُ الخليفةَ في بغـداد. لقد جهـد حمدانيّو الموصل في تخفيف جرعات تعاطفهم مع

(١) نفسه ص ٦٣٤ / نفسه ص ٥٤٥.
(٢) نفسه ص ٦١٢.
(٣) أثير: الكامل VI ص ٢٣٦، ٥٩١.
(٤) نفسه VIII ص ٤٥٢.
(٥) نفسه VIII ص ٦١٩، ٦٢٨ – ٦٢٩.

الشيعة، وأيضاً في تخفيف مظاهر عدائهم للسلطة المركزية. وتُثبتُ مظاهراتُ الفرح من قِبَل جماهير بغداد السُّنيّة عند وصول أبي تغلب لحصار المدينة [١] التشيّعَ المعتدلَ عند الحمدانيين مقابل تشيّع البويهيين.

إذا كانت بعض مظاهر العلاقات بين البويهين والحمدانيين تُنكِر أو تُخفي العقيدةَ الحمدانية، فإنه يجب علينا فهمَ أن الصّراع بين الاثنى عشريين قد أخذ أبعاده العاديّة، ضمن إطار علاقات المصالح والاقتصاد، ممّا يمكن أن يواجه أيَّ حاكمٍ مركزيٍّ مع أميرٍ تحت سلطته.

منً خلال التاريخ الحمداني نستظهرُ أنّ المسألة الماليّة كانت من الأسباب الرئيسية للصراع بينهم وبين بغداد على اختلاف عهودِها تركية أم ديلمية. لعدّة مرّات كان يتوجب على الحمدانيين الهروبُ من الموصل إلى نصيبين أو إلى أي مدينة أخرى من مُدُن الجزيرة أمام الغارات التي كانت تُشَنُّ عليهم بسبب عدم تسديدهم للمساهمة المفروضة عليهم في خزينة الدولة[٢]. لكن أسباباً أخرى تُضاف إلى هذا السبب الأساسي:

(١) Canard تاريخ السلالة ص ٥٥٧.

(٢) أثير الكامل VIII (B) ص ٣٥٣، ٤٧٧، ٥٢٠، ٥٢٢ / canard ص ٥٢٠.

١- الصراع على الإمارة المُطلقَة في بغداد.

٢- تحدّي الحمدانيين من قِبَل عناصر تركية في جيشهم على سبيل الثأر للديلم.

٣- إثارة البويهيين من قبل الحمدانيين في بغداد، ضد إخوتهم في الجزيرة.

٤- محاولة البويهيين إبعادَ الحمدانيين عن إمارتهم من أجل تهدئة بويهيٍّ كان يُطالب بإمارة بغداد سنة ٣٦٨هـ/ ٩٧٨م.

مهما يكن، فإن التشيّع أو التعاطف الشيعي عند حمدانيي الموصل كان معتدلا. ولم يدعوا أنفسهم ينجروّن وراء التعصّب الديني على حساب طموحهم ومستقبلهم السياسي.

٦- تشيُّع إمارة الموصل في العصر الحمداني:

نتوقّع الحصول على وثائق عن وجود الشيعة في الجزيرة (بلاد مابين النهرين العليا). فالمصادر الجغرافية - التاريخية عن هذا العصر غزيرةٌ جدّاً. وهي العمل الأساسي لابن حوقل والمقدسي.

يعطينا ابنُ حوقل المتوفى بعد السنة ٣٦٧هـ / ٩٧٧ م،

الذي بدأ عملَه سنة ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م، ومــرّ بالجزيرة سنة ٣٥٩ هـ/٩٦٩م، عــدّةَ أنواعِ من الوثائق[١]: الجغرافيّة، الاقتصاديّة، الاجتماعيّة والسياسيّة، وأُخرى عن الغنى والجمال. أخذنا علما عن نصيبين، الموصل، برقعيد، سنّ، بوازج، تكريت، قَدَس. بالإضافة إلى معلوماتٍ مختلفةٍ من دون الغوص بمسألة التشيّع بأي شــكل، كما ذكرٍ النصارى في نصيبين و تكريت وقــدَس[٢].

لكنّ الوثائق المتوفرة تدعُنا نستنتج آثار تشيّع في منطقتين: الموصل والبوازج.

في الموصل[٣]، كان السكانُ عرباً، غالبيتهم من مهاجري الكوفة والبصرة. فقد هرب هؤلاء المهاجرون من العراق وسوريا خلال عــدة عصور. نُشير لأهميّة هذه الهجرة في تسرّب عناصر شيعية بالدرجة الأولى. من المحتمل أن يكون بين سُكان الموصل عناصر شيعية في ذلك الوقت. وإذا ذهبنا إلى أبعد من ذلك بالبحث عن شيعتنا،

(١) حوقل: صورة ا ص ٢٠١-٢٢٤.
(٢) نفسه:ا ص ٢٠٩.
(٣) نفسه:ا ص ٢٠٩.

فإن أكراد الموصل [١] يؤكدّون حضورهَم[٢].

كان التشيّعُ يضمُّ الفقراء بشكل عام. ويمكن لهذه الفكرة أن تسمح لنا أن نستعين بوثائق ابن حوقل الاجتماعية لتثبيت وجود شيعة بين سكان الموصل. فإذا اتـبّعـنا السياسة الاجتماعية للحمدانيين قبل وبعد تأسيس إمارة الموصل، من توزيع أمـوال وإعاشات لعـدّة مـرّات على العلويين والفقراء[٣]، كذلك إخلاص سكان المدينة للحمدانيين في المواقف التي كانت موقع انتقاد [٤]، كل هذا، مضافاً إلى معطيات ابن حوقل حول قسوة الحمدانيين عـلى الرأسماليين والنبلاء في الموصل من بني فهد وعمران [٥]، يسمحُ لنـا بالاستنتاج أن التشيّع القوي جداً في الموصل، الذي كان يشملُ الغالبية الشيعية ذات المصلحة بوجود الحمدانيين، الذين عاملوا رعاياهم بالحسنى، والذين كانوا مستعدين للتصدّي للحكومة المركزية كلَّ مرةٍ تخطّت فيه هذه الأخيرة حدود الاستغلال المالي، لم يمنع هذا التعارض

(١) نفسه: I ص ٢٠٩.

(٢) كان يوجد أكراد شيعية منذ أيام الإمام الرضى (ع)، وكانوا على اطلاع على القصائد التي قيلت بأهل البيت: المجلسي: بحار: مجلد ٤٩ ص ٢٤٣.

(٣) Canard: I ص ٣٧٠، ٤٠٤.

(٤) نفسه: I ص ٤١٩ – ٥٧٣.

(٥) حوقل: صورة I ص ٢٠٩

الحمدانيين من إرسال هدايا إلى بغداد للعلويين وإلى الكُتل الشعبية.

أما بالنسبة لبوازج، فقد كانت الموصل، على حدِّ عبارة ابن حوقل **«مسكونة من قبل مُنشقين»**[١]، مما يدعنا نشكّ، على الأقل، بوجودٍ شيعيٍّ فيها، حيث أن التشيع يشكل دائماً جزءاً من الانشقاقات في الإسلام.

يقول المقدسي أن سكان الجزيرة كانوا سُنّة: أحنافا وشافعيين وقليل من الحنابلة. وأشار إلى الشيعة في زُبيد مثلاً، ومعتزلة في عانة[٢].

أشار مؤرخون آخرون مُتعدّدون إلى وجود شيعة في منطقة الموصل. وبالنسبة للطويل، فإن الموصل كما ديار بكر والعواصم كانت بغالبيتها علويّة [٣]. أمّا الموسوي الأصفهاني [٤] فإنه يُعمّم قائلا أنّ غالبية سكان المنطقة في عصر الحمدانيين كانوا شيعة. والمسجد المبني من قبل الحمدانيين في الموصل [٥] بجانب ضريح أحد أصحاب

(١) حوقل: I ص ٢١٩.

(٢) مقدسي: تقاسيم A.B.C ص ١٤٢.

(٣) طويل: علويون ص ٢٥٣.

(٤) أصفهاني: وديعة ص ٣٠١.

(٥) Canard: تاريخ السلالة I ص ١١٩.

الإمام علي المخلصين: عمرو بن الحمِق الخُزاعــي، يعكسُ الميولَ الشيعية لسكان الموصل وكذلك لأُمرائهم.

يمكننا أيضــاً، بحسـب الأمين [١]، ذكرُ وجودٍ للشيعة في مدينـة آمـــد في عصر الحمدانيين، والإثبات على وجودهم هو قاضي آمــد: نزيه الدين أبو الفتح عبــد الواحــد بن محمـــد بن عبــد الواحــد التميمي الآمدي. كما يمكن الاعتماد على وجود التغلبيين في الإمـارة لإثبات تشيّع المناطق، لأن التغلبيين يميلون الى اتباع نموذج حُكّامهم من الأُســرة الحمْــدانيّة نفسِـــها.

بناءً على ذلك كلّــه سوَف يكون للشيعة حضور في الموصل، مكسين، جبل سنجار، سميّة، برقعيد، رأس عين، نسيب، كفرتوثة و جزيرة ابن عُمـــــر.

كان تشــيُّع إمـــارة الموصل معتـدلاً ومُخبّاً جـــدّاً ومُتحفّظاً . وهـــــذا يختلف عن إمـــارة حلب كما سنرى.

٧- تشيُّع حمدانيي حلب:

سنة ٣٣٣هـ /٩٤٤م سـيطر الأمير سيف الدولة عـلي الحمْـداني على مدينة حلب ونِطاقِهـا، وبذلك وضع حـــدّا

(١) الأمين: اعيان I جزء II ص ٢٢٧.

نهائيّاً للاحتلال الاخشيدي القصير لسوريا الشمالية.

يُذكَر هنا أيضاً أنّه في العام التالي سقطت بغداد بأيدي البويهيين. هكذا وفي هذا الوقت وَجدَ التسنّنُ والتشيّعُ نفسيهما مندمجين في خطوط تماسّهما الأساسية.

أ- تشيّعُ سيف الدولة (٣٣٣-٣٥٦هـ/٩٤٤-٩٦٧م):

إنّ مسألة تشيّع مؤسس السلالة الحمدانية في حلب قد نوقشت بشكل جيد. فبحسب المعطيات التاريخية والأثرية والمسكوكية النقديّة، يبدو تشيّع حمدانيي الموصل واضحاً جِدّاً. ولا يمكن تفسير تشيع سيف الدولة بأنّه بتأثير فاطمي(١) أو بويهي. لأن الفاطميين سيطروا على مصر بعد موته. ومن غير المنطقي أن يطلبَ مساعدتهم لسببين بسيطين:

- المسافة التي تفرّق بينهما.
- التشيّع الفاطمي (الإسماعيلي) المُختلف عن تشيعه هو الذي كان إثنى عشريّاً بالتأكيد.

أمّا بالنسبة للبويهين، فإننا لا نستطيع أن نضع علاقاته معهم إلا في إطار المصلحة والمال، وقد تعارضت عدة مرات.

(١) Brokelmann: تاريخ شعوب... ص ٢٤٢ يؤكد على التأثير الفاطمي.

وعلى كل حال فإنّ من المُمكن أن نرى تشيّعَ سيف الدولة في:

- ما أن دخل حلب مُنتصراً بتاريخ ٨ ربيع الاول سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م، حتى سارع إلى عَـزْل قاضي المدينة ليُحِلّ مكانه آخر مخلص له [١]. ولكن بحسب ابن العديم[٢] فإنه عـاد فعيّن قاضياً حنيفاً على حلب سنة ٣٥١هـ، ممّا يجعل أمر تحديد مذهب سيف الدولة صعباً من هذه الزاوية.
- كانت له ثقة مُطلقَةٌ بالعلويين الذين كانوا يقودون المفاوضات مع أعدائه. تلك كانت حال حسن بن طاهر سنة ٣٣٤ هـ مع الاخشيديين [٣].
- سياسته مع القرامطة: أقام علاقاتٍ جيدة مع دولة القرامطة في البحرين. ووقّع معهم معاهدةً تعاون وصداقة، ذهبت إلى حدّ الاعتراف بسيادتهم لاحقاً، وبإمامهم الذي كانوا يعملون لأجله [٤].

(١) Canard: تاريخ السلالة...ا ص ٥٠٤.
(٢) إبن العديم: حلب ا ص ١٣٢.
(٣) إبن العديم ا ص ١١٥ / طبّاخ: حلب ا ص ٢٥٤ / Metz: حضارة ا ص ٢٨٩-٢٩٠ / canard: تاريخ السلالة ا ص ٥٨٤.
(٤) نفسه ا ص ٦٣٢ – ٦٣٣.

هذا ما يفسّر لأي درجة كان سيف الدولة معتدلاً في تشيّعه، وكم عمل لوَحـــدة التيّار الشـــيعي الكبير. وتفسّر تحفظاتُـه في علاقاته مع القرامطة برغـبَـتـه بإنقاذ مناطقه من أي غازٍ. وضمنَ الروحية نفسها، قمع حركة دزبار، الذي احتلّ حاضرة حلب حتى حمص، مدعوماً من مغامرٍ علويٍّ مُتحدّرٍ من علي الأفطس ابن علي زين العابدين [١]

ب- بـنـاءُ مشهد الدّكّـة[٢]:

يقع المشـهدُ في غــرب حلب. ولبنائه لأول مرّة على يـد سـيف الدولة قصّةٌ يمكن تلخيصُها بـأنّـه في السنة ٣٥١هـ/٩٦٢م رأى فيما يراه النائم نوراً يهبط عـدّة مرات على المكان الذي سيبني عليه المشهـد. عند الصباح ذهب شخصٌ من قِبَلـه إلى المكان. بوشر بالحفر فوُجـد مجرىً عليه هذه الكتابة: «**هذا قبر المحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب**». جمعَ سيفُ الدولة المتحـدّرين من سُلالة علي ليسألهم إن كان فعلاً للحسين ولد يحمل اسم المحسن، تناقضت الأجوبـة. فقـرّر سيفُ الدولة بنـاءَه وقال: «**هذا**

---

(١) ابن العديم ص ٦٥١-٦٥٢.

(٢) شداد: اعلاق (حلب) ص ٤٨-٤٩، لآلي / ٨٥-٨٧ / ياقوت: بلدان III ص ٢٨٤ sauvaget / B: حَرَمان ص ١٠٧،٢٢٥ / طبّاخ: حلب I ص ٢٨٠-٢٨١.

المكان سمح لي الله أن أبني عليه مشهداً باسم أهل البيت».

والمشهد هو اليوم عبارةٌ عن بـاب صغيرٍ من حجر البازلت تعلوه قنطرة، [طبعاً هـذا ما كانَ عليه حالُ المشهد يومَ كتابة النص، أي قبل زُهاء الأربعين سنة. امّا اليوم فهو مُختلفٌ تماماً (المهاجر)] نقرأُ عليها هذه الكتابة الطويلة بالخط الكوفي:

«بنى هذا المشهد [باركه الله] الأمير المعظم سيف الدولة ابو الحسن علي بن عبدالله بن حمدان حبّا بالله وبعنوان صدقة تعظيماً لمولانا المحسن بن الحسين بن علي بن ابي طال........»

فقصة بنـاء المشهد والكتابةُ الموجودةُ عليه تُظهران الإيمانَ الشيعي لسيف الدولة بنحوٍ واضح جـدّاً [١]. وإن يكن Horovitz يرى عدم كفاية القصة لإثبات تشيّع سيف الدولة [٢].

- كتاباتٌ أُخرى مُتنوّعة، نذكرها فيمـا يلي:
- بحسب Horovitz [٣]، فإن الكتابات في عصر سيف الدولة الموجودة على أبواب حلب، والتي تلعنُ معاويةَ

(١) Canard I ص ٦٥٧.
(٢) Horovitz: الحمدانيون ص ٤١٠.
(٣) نفسه ص ٤١٠.

والأعداءَ الآخرين لآل النبي، يمكن أن تُضاف إلى وثائق أخرى في سياق البحث عن الانتماء المذهبي لسيف الدولة.

- العُملة المسكوكة في سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥ من قِبَل سيف الدولة والتي يظهر عليها أسماء علي، فاطمة، حسن وحسين [١].
- وُجودُ دار كُتُب شيعية في قصر سيف الدولة وكانت تحتوي على عشرة آلاف مجلد [٢].
- حُسنُ معاملة سيف الدولة للشيعة والعلويين [٣].
- بسط حمايتَه على الحسين بن حمدان الخصيبي منظّم ومُنظّر المذهب النصيري. كما سمح للنصيريين بإيجاد الظروف الملائمة لوجودهم وتفوّقهم [٤]. لقد أتاحت له هذه السياسة إخلاصاً صادقاً من قبل الحلبيين الذين تحمّلوا ظلم الاخشيديين وغيرهم للبقاء مخلصين لسيف الدولة [٥].

---

(١) طبّاخ: حلب ا ص ٢٩٠ م.ج.مغنية: الشيعة والتشيع ص ١٧٧-١٧٨.

(٢) طبّاخ: حلب ا ص ٢٨٠.

(٣) نفسه:ا ص ٢٧٩ .

(٤) Cahen: ملاحظات حول أصول الطائفة النصيرية ص ٢٤٣-٢٤٤.

(٥) Brokelmann: شعوب ص ٢٤٣ /canard:I ص ٦٠٣.

- قصائدُ شاعرَين كبيرين في العصر الحمداني: المتنبي وابو فراس، كان الأول قرمطياً سابقاً وبطلاً لعصيان في السّماوه [١]، شبّه في بعضِهـا سيفَ الدولة بالإمام علي بن أبي طالب. بينما كتب ابو فراس، ابن عم الأمير الحمداني، عدة قصائد تعكس تشيّعه الاثنى عشري. ففي ثلاث قصائد صغيرة ذكر كربلاء، وغدير خمّ، وتضحيات علي من أجل الإسلام، تشيعه، والأئمة الاثنى عشر كذلك النبي وفاطمة[٢]. في قصيدةٍ أُخرى يتّهـم العباسيين بسـوء معاملة الشـيعة، وتضييع جوهر الدين والسيطرة على الشرعية [٣]. لـم يكن لهذين الشاعـرين أن يُظهرا تعاطفهما الشيعي في البلاط الحمداني تحت حماية وتأييد سيف الدولة إن لـم يكن هذا الأخير يتقاسم معهمـا نفس وجهات نظريهما.
- المحيط الشيعي لسيف الدولة: فقد شكّل حوله حلقةً أدبيةً مهمةً، فغالبية الشعراء واللغويين والفلاسفة والقضاة كانوا شيعة نذكر منهم: أبـا الفرج الإصفهاني(٢٨٤-

(١) أبو فراس: ديوان III ص ٤٢٢ – ٤٢٣، ٤٢٩ – ٤٣٠، ٣٩٧.
(٢) نفسه: ٣ / ٣٤٨ ٣٥٦.
(٣) ابو فراس: ديوان III ص ٣٤٨– ٣٥٦

٣٥٧هـ/٨٩٧ - ٩٦٧م)، الخوارزمي (المتوفى سنة ٣٨٣هـ/٩٩٣م)، ابن خالويه (المتوفى سنة ٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م)، أبا علي الفارسي (المتوفى سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م)، الناشئ الأصغر (٢٧١-٣٦٦هـ/٨٨٤-٩٧٦م)، الزاهي (٣١٨-٣٥٢هـ/٩٣٠-٩٦٣م) والقاضيين: سلامة بن الحسين الموصلي، وأبا الحسين علي بن عبدالملك الرقّي....

على أنّ الأمير الحمداني، في المُقابل، كان يُظهر تعلّقه وتبعيّته للخليفة في بغداد، إن من خلال إلقاء الخطبة باسم الخليفة، أم من خلال تلقّي الامتيازات الفخريّة من الخلفاء، ممّا يُلقي ظلاً من الشّك على ما تفيدُه الملاحظات السابقة. إلا أنّ ذلك لا يمكن أن ينفي بأي شكل تشيّعه، لأنّ تشيّع عدد كبير من الأمراء والموظفين والضبّاط في هذه الفترة كان يوفّق بين مشاعرهم الشّرعيّة العلويّة، وواجبات خدمة الخلفاء. ويمكن أن نصنّف الحمدانيين المرتبطين مالياً ومعنوياً ببغداد ضمن هذا السياق. ضمن هذا الاتجاه، وبالاستناد إلى الاستنتاجات المذكورة، تمكّن canard[1] من القول: «**سيف الدولة كان شيعياً وكان متعاطفاً بشكلٍ مميّز مع**

(١) Canard I ص ٦٣٤

بعض الأشكال الشيعية المتطرّفة ».

ج- تشيّع سعد الدولة أبي المعالي(٣٥٦-٣٨١هـ/٩٦٧-٩٩١م)

إن وصول أبي المعالي إلى السلطة قد تميّز بحدث مهم جدا في تاريخ تشيّع حلب إلا وهو دخول الأذان الشيعي بـ «**حي على خير العمل**» في تاريخ الحمدانيين.

كان هذا الحدث ثمرة العلاقات الحمدانية - الفاطمية، وإن يكن طبّاخ [١] يُرجع هذا الأمر إلى سنة ٣٤٧هـ/٩٥٨م أي إلى عهد سيف الدولة. وهذا ما لم يؤكده كل المؤلفين لكون التأثير الفاطمي لم يكن محلَّ نقاش في هذا الوقت.

فسيف الدولة كان شيعيا على الطريقة الليبرالية دون الخروج من الإطار الفكري لبغداد.

وضع غالبيةُ المؤرخين إعلانَ الأذان الشيعي في حلب في عهد ابن سيف الدولة سعد المعالي، وإن لم يكونوا متفقين على السنة، أو أنهم كانوا يجهلونها [٢]. فمنهم من قال أن ذلك حدث سنة ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م[٣]، على أثر الاتفاق بين جوهر وأبي المعالي وغلامه قرغويه، خشيةَ

(١) طبّاخ: حلب I ص ٢٩٨

(٢) إبن العديم: حلب I ص ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧٢ / طبّاخ I ص ٢٨١ / canard I ص ٦٧٩ - ٦٨٦.

(٣) أثير: كامل VIII (B) ص ٦١١.

القرامطة والجرّاحيين في فلسطين، فأعلن الاعتراف في الأذان (بولاية علي) باسم المُعزّ في حمص وحلب، كما أدخل الأذان الشيعي. ومنهم من أرجع الأمر إلى سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م على أثر وصول السفير الفاطمي المبعوث من العزيز إلى أبي المعالي لتهنئته على استرجاع حلب.

لكن عدة تساؤلات تُطرح حول هذا الحدث، من ذلك لأن العزيز لم يكن يملك لا السلطة ولا الحق في الدخول في علاقات رسمية مع الحمدانيين قبل السنة ٣٦٥هـ/٩٧٥م. من ناحيةٍ أُخرى فإن أبا المعالي لم يستعِدْ حلب إلا في السنة ٣٦٧هـ. سنة ٣٦٣ كان في حمص يفاوض بغداد لاستعادة عاصمته. وهكذا فإنه من غير المعقول أن يكرّم من حمص الفاطميين المأزومين في سوريا أو أن يكرّم العباسيين.

بعد استعادة حلب، أقام الحمدانيُّ علاقات جيدة مع البويهيين[١]، ثم مع البيزنطيين ليحفظوا انفسهم من حاكم حمص «**بكجور**» المُقرّب من الفاطميين ومن أسياده في مصر. يائساً من لا مبالاة البويهيين، ومهدّدا بانتفاضة الكرد في باذ. عاد أبو المعالي باتجاه مصر سنة ٣٧٦هـ/٩٨٦م

---

(١) إبن العديم ا ص ١٧٢ – ١٧٣.

معترفاً بسلطتها، ذاكراً اسم العزيز في الخطبة، متّشحا بعباءة ملكهم ومُدخلا الأذان الشيعي (حيّ على خير العمل)[١] الذي ظلّ معمولاً بـه حتى وُصول الزنكيين.

هكذا أكمل أبو المعالي آخرَ شكلٍ من أشكال برهان تشيع الحمدانيين، منتقلين من التشيع الليبرالي الحمْداني إلى التشيع الفاطمي الأكثر تحفظاً، الذي أتى لمنافسة بغـداد على نفس المستوى: الخليفة. كانت هذه النهاية المنطقية للحمدانيين وللمنطقة كذلك.

٨- الحمْدانيون والفاطميون:

بـدأت العلاقات الحمْدانية - الفاطمية تأخـذُ منحىً مُتعارضــاً بمجرد أن وضع الفاطميون نصبَ أعينهم الســيطرةَ على سوريا الشمالية والجزيرة ابتغاء ضمّ العراق في النهاية. بكجور أحد وُلاة ســعد الدولة، هــو من شـجّعَ الفاطميين على تنفيذ هذا المخطط [٢]. لكن النتيجة كانت الفشل.

بعد موت سـعد الـدولة [٣] سنة ٣٨١هـ/٩٩١م، خلفه

---

(١) نفسه I ص ١٧٨.

(٢) أثير: كامل VI (B) ص ٨٥ / قلانسّي ص ٣٣ – ٣٤.

(٣) راجع عن هذه المرحلة: اثير: كامل IV (B) ص ٨٨-٨٩ / قلانسي ص ٤١ / ابن العديم I ص ١٨٥ – ١٩٢.

ابنه سعيد الدولة، فأمر الخليفة الفاطميُّ العزيزُ، الراغب دائماً باحتلال الأراضي الحمدانية، واليه على دمشق: مَنْجَكين سنة ٣٨٢ هـ بالزحف نحو حلب. فسارع هذا الوالي إلى احتلال حمص وحاصر حلب. سعيد الدولة المُحاصَر أراد شراء انسحاب الفرق الفاطمية بالمال، كما ألقى خطبةً فاطميّة. هذا الواقع لم يُلغِهِ الحمْدانيون منذ سعد الدولة. ولكنّ الفاطميين من جانبهم ألحّوا على أخذ حلب، مُظهرين أن الخلاف لم يكن أبداً على الخطبة أو التوجهات العقائدية، أنما بالذات على المصالح الفاطمية التي كانت متعارضةً مع مصالح الإمارة الحمْدانية في حلب. أحدُ الأسباب التي أخّرت الاستيلاء على حلب من قبل الفاطميين هو العونُ البيزنطي.

٩- تشيع إمارة حلب

كانت سوريا الشمالية من السنة ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م حتى السنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م حمْدانية. وقد حاولت هذه السُّلالة التقدُّم نحو سوريا الوسطى دون أن تنجح.

وضعت الحقبة الحمْدانية في حلب ومنطقتها حدّاً للحقبة العباسية التي بدأت بالاندثار. فأصبحت المدينة لأول مرة

منذ عصر الحثّيين عاصمةَ دولة [١]. وقد طوّر الحمْدانيون المنطقة فأصبحت نقطة مركزية في هذه الفترة المضطربة من القرن العاشر. وامتصّت بحيويتها وفتوتها كلّ محيطها.

والحمْدانيون، الحكام المتسامحون والمؤيِّديون للاعتدال، استجابوا بموقفهم المذهبي للأسُس الحقيقية لإمارتهم حيث أنهم كانوا غرباء عن المنطقة وأرادوا تأسيس دولة [٢]

وأقـلُّ ما يمكن فعله ضمن هذا الكمّ من القضايا هو الاستجابة لمصالح الرعية وليس خلق تناقضات هم بغنى عنها. فقد كانوا بعيدين عن فرْض التشيع في إمارتهم المهيّأة مسبقا وقبل مجيء الحمدانيين لقبول مختلف المذاهب.

أ- القرامطة [٣]:

بعد تأسيس الإمارة الحمدانية بعدة سنوات اندلعت ثورة قرمطية مسلّحة في منطقة السّماوه، معقل القرامطة المؤكّد في سوريا. وقد كان قائدهم ابن «**قطة الرماد**»، وهو كلبيٌّ أدّعى أنه نفسه صاحب الناقة، لكن حركته قُمعت.

---

(١) Sauvaget: حلب ص ٨٦ / نفسه:art حلب E I ٢ III ١٩٦٥ ص ٨٧ – ٩٢.

(٢) إبن العديم: حلب ا ص ١١٩، ١٣٨ / canard : ص ٦٠٢، ٦٠٦، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٤٩.

(٣) إ بن العديم: حلب ا ص ١٤٧.

في هذا العصر أيضا كانت القرمطيّة موجودة في سوريا. وكان الدُّعاة القرامطة على استعدادٍ في كل لحظة لرعاية القلاقل. حاول سيف الدولة أن يُمارس سياسةً ذات وجهين مع القرامطة: اضطهادٌ على الأراضي السورية، وتهدئةٌ وصداقةٌ مع قرامطة البحرين، ابتغاءَ قطْع مساعدة البحرينيين عن القرامطة السوريين، والحفاظ على إمارته الغالية. وقد نجح في سياسته.

سنة ٣٥٤هـ وُلدتْ ثورةٌ في المنطقة الساحلية، بقيادة قائد قرمطي قديم: مروان العُقيلي[١]، لكن لا يمكن وصف هذا التحرك بالقرمطي.

ب- الاثنى عشريّون:

كان الحمدانيون أنفسُهم إثنى عشريين دون أدنى ريب.

ولكن ماذا بالتحديد كانت حصّة هؤلاء الإثنى عشريين الحلبيين في إمارة حلب في ذلك الأوان؟

يشير المؤرخون الشيعة الحديثون والمعاصرون إلى تشيّع حلب في القرون الثلاثة الأول للهجرة دون التمكن

(١) إبن العديم: حلب I ١٤٧.

من إثبات ذلك [١]. وتعود صعوبَةُ التأكُّد إلى الطابع الباطني للتشيّع في عصور الاضطهاد.

وكان القرن الرابع للهجرة معبّرا بالنسبة لانتشار التشيّع في سوريا الشمالية. فمُناخ التسامح والحرية، كذلك التعاطف الحمْداني مع الشيعة، ساعدا جزءاً من السكان الشيعة على إعلان تشيّعهم، وجزءاً آخر على التشيع إما عن قناعة وإما لاتباع نموذج حكامهم وغالبيّة السكان.

وصل التشيع إلى حلب عن طريق العراق، جلبته معها أُسرة بني زُهرة [٢] الكوفية في سياق التجارة مع الحلبيين [٣].

مهما يكن، فالمعطيات المتوفّرة لا تسمح لنا بالتعرّف على أشياءٍ كثيرةٍ عن تشيُّع سوريا الشمالية قبل العصر الحمداني. حتى أنّ مصادر تلك الحقبة لم تذكر ذلك. يتحدث ابن حوقل عن مشايخ وأشخاص مُعتبَرين كانوا يسكنون المدينة [٤]، دون إضافة معلومات أخرى يمكنها أن توضح لنا عقيدة السكان.

(١) س. ظاهر: آل أبي شعبة: مجلة العرفان ١٩٢١، مجلد ٧، ص ١٤٢، الأمين: أعيان الجزء ٢ ص ٢٤٤، مغنية: الشيعة والتشيع ص ٢٢٠-٢٢١.

(٢) أُسرة كان الكثير من أفرادها من أصحاب الأئمة: الباقر – الصادق – الرضا – الجواد.

(٣) ظاهر: مجلة العرفان ١٩٢٢ مجلد ٧ / ١٣٩ – ١٤١.

(٤) حوقل: صورة ا ص ١٧٤.

ج- حلب:

كانت هذه المدينة سُنّيّة، حنفيّةً وشافعيّة، ولم تكن تضمّ أي شيعيّ إثنى عشريّ حتى الغزو البيزنطي للمدينة في السنة ٣٥١ هـ / ٩٦٢م، حيث تمّت إبادةُ غالبية سكانها. بعد هذه الحادثة، أسكنَ سيفُ الدولة في حلب شيعةً من قنّسرين وحرّان [١]. وهكذا أصبحت حلب شيعية منذ عهد سيف الدولة [٢]. وأظهر سكانُها تعلّقاً مخلصاً بأميرهم في الظروف الصعبة لحكمه [٣].

وبحسب ابن شدّاد، فإن تاريخ ٣٥١ هـ قابلٌ للنقاش، فالشيعة كانوا في حلب قبل هذا التاريخ. فحين احتلّ الامبرطور البيزنطي «**نيقفور**» حلب، قاومه العلويون والحمْدانيون كذلك الديلم (الشيعة) داخل قلعة المدينة[٤] التي وصلوا إليها هرباً من المدينة التي وقعت بأيدي البيزنطيين[٥]. فالشيعةُ كانوا موجودين إذن في حلب وغيرها قبل السنة ٣٥١ هـ، ولكن لا يمكننا تحديد تاريخ قدومهم بالدّقّة.

(١) ياقوت: بلدان VI ص ٤٠٤ / طبّاخ: حلب I ص ٢٧٩-٢٨٠ / شقعة: سيف ص ١٦٥-١٦٦.
(٢) اصفهاني: وديعة ص ٢٩٩.
(٣) شداد: علاق (حلب) ص ٢٣-٢٤/ إ عديم I ص ١٣٧ - ١٣٨.
(٤) إبن العديم I ص ١١٠.
(٥) اثير: كامل VIII (B) ص ٥٤١.

وبحسب محمد كرد علي [١]، فقد كان على رأس الشيعة الذين أتوا للسّكن الدّائم في حلب، الشريف أبو إبراهيم محمد الحرّاني المُلقّب بـ الممدوح. ومعه صار التشيّع في حلب إلى جوار المذهب الشافعيّ، كما دخل إليها، ربما معه أيضاً، الأذانُ الشيعي. ويقعُ وصولُ الشريف ونتائجه على عهد سعد الدولة أبي المعالي. هذا ما يمكن تأكيده نوعاً ما، من جهةٍ من خلال الأذان الشيعي، ومن جهة أُخرى من خلال الغِياب الكامل للشريف في قصائد عصر سيف الدولة. لأنّ أبا العلاء [٢] هو الذي مدحه [٣]. فإذا كان السببُ الأوّلُ قد ثبتَ ونوقشَ تحت عنوان تشيّع أبي المعالي، فإن الثاني لا يمكن أن يكون قاطعاً، ذلك أنّه ليس من المستحيل ألاّ يُذكَرَ الشريفُ لسبب أو لغيره، وإن يكُن موجوداً في حلب، أو أن أبا العلاء، الذي كان آنذاك في طور الشباب، قد أمتدحَه.

ينتج عن ذلك:

١ – أنّه كان الشيعة في حلب قبل السنة ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م.

(١) م. كرد علي: خطط VI ص ٢٥٨.

(٢) توفي أبو العلاء بعد سيف الدولة بسبع سنوات.

(٣) س. ظاهر: بنو زهرة: مجلة العرفان ١٩٢٢ مجلد ٧ ص ٤٦٠ – ٤٦١.

٢– أنّ سيفُ الدولة استقدمَ شيعةً من قنّسرين ومن حرّان إلى حلب بعد انسحاب البيزنطيين عن المدينة سنة ٣٥١هـ/٩٦٢م.

٣– أنّ من المُحتمل أنّ وُصولَ الشريف أبي إبراهيم المُلقّب بـ الممدوح قد حصل على عهد أبي المعالي(١).

من أهمّ الأُسرات التي كانت ترمز للتيار الشيعي في حلب، يمكن أن نذكر أبرزَها: بني زُهرَة المُتحدّرين من الشريف الممدوح. ولقد ظلّ أبناءُ هذه الأُسرة المُتوالين مُمثّلين للتشيع في المنطقة مدّةً طويلةً في القرون اللاحقة.

ولبعض شيعة منطقة حلب في عصرنا الحاضر روابطُ قُربى مع هذه الأُسرة، أو أنهم مُتحدّرون منها. كذلك يوجد في شحور (قرية في جبل عامل)، أُسرةٌ يُقالُ أنّها هي الأُخرى مُتحدّرة أو أنّ لها رابطة قُربى مع بني زُهرة(٢)، هي آل بدر الدين.

في تلك الحقبة كانت حلب تحتفل بذكرى عاشوراء(٣) كذلك بغداد ومكة(٤).

---

(١) إن استعادة أبي المعالي لحلب دون إراقة دم، يثبت الدور الذي لعبه سكانُها الشيعة.

(٢) اصفهاني: وديعة: ص ٢٩٩ / س. ظاهر: بنو زهرة: مجلة العرفان ١٩٢٢ مجلد ص ٥٩١.

(٣) كرد علي: خطط VI ص ٢٩٢.

(٤) مقدسي: تقاسيم ص ٢٢٥ / Laoust : التشيع ص ١٦٤.

كما كانت فيها أماكن يرتادها الزوار الشيعة كمشهد الدّكّة، وكذلك المُصلّى الذي في سوق الحدادين، حيث رأى أحدهم في المنام الإمام علي يُصلي، فجُعل المكان مُصلّىً عامّاً[١].

جذبت حلبُ شيعةَ ذلك العصر، فالحلْقةُ التي كوّنها سيف الدولة من حوله ضمّت شخصياتٍ شيعيّةً أحسن الأميرُ أستقبالها: الإصفهاني[٢] مؤلف كتابٍ الأغاني كان شيعيا، وقدّم كتابه للأمير الحمْداني. كما ألف مقاتل الطالبيين (قصة الاضطهادات الشيعية). ابن خالويه[٣] اللغوي، معلّم سيف الدولة، تحدّث عن الأئمة الإثنى عشر في كتابه. الخوارزمي[٤] عالمٌ وشاعرٌ شيعي. اللغوي الإمامي أبو علي الفارسي[٥]. كذلك شاعران شيعيان: الناشئ الأصغر[٦] الإمامي الذي كتب قصائد في أهل البيت. والزّاهر[٧] الذي امتدح سيفَ الدولة وأهلَ البيت.

أضِفْ إلى ذلك أنّ الحمدانيين أنشأوا دارَ كُتُب شيعية

(١) شدّاد: أعلاق (حلب) / ٤٢.
(٢) طبّاخ: حلب I ص ٢٨٢ / حتّي: سوريا II ص ٢٠٠ / اثير: كامل VII (A) ص ٢٥.
(٣) زركلي: اعلام II ص ٢٤٨ – ٢٤٩.
(٤) نفسه VII ص ٥٢ B / ظاهر: بنور زهرة: العرفان ١٩٢٢، مجلد ٧ ص ٣٤٦ – ٣٤٨.
(٥) زر كلي: أعلام II ص ١٩٣–١٩٤.
(٦) نفسه VI ص ١١٩.
(٧) نفسه VI ص ٦٨.

غـنيّة في حلب، وعملوا دائمـاً على إغنائها، وكان مركزُها في القلعة [١].

د- بانكوزة:

كان سكانها يتعاطفون مع الحمدانيين [٢]. ويمكن أن نتساءل إن كان هذا التعاطف قد وُلد بسبب رابطة التشيع الذي يشكل القاسم المشترك بين الحمدانيين وشعبهم.

هـ – قنّسرين:

كانت شيعية. هجرها أهلها سنة ٣٥١ هـ في أعقاب الغزو البيزنطي فعبر قسم منهم الفرات، والقسم الباقي نقله سيف الدولة إلى حلب [٣]. مرّ بها ابن حوقل بعد سنة ٣٥١ هـ ولاحظ بعض الآثار التي تدلّ على موقعها [٤]. بينما لاحظ المقدسي الذي مرّ بعده، نقصان عدد سكانها[٥].

و- سَروج وحرّان:

كان سكانُ هاتين المدينتين شيعة. كان أعيانها حريصين على الحفاظ على شخصيتهم الإدارية والمالية، فحافظوا

(١) مقدسي: تقاسيم ص ١٦٢.
(٢) Canard: ص ٥٨٣.
(٣) Canard: ص ٦٤٧، ٦٥٩.
(٤) حوقل: صورة ا ص ١٧٥.
(٥) مقدسي: تقاسيم ص ١٦٢.

على إلقاء خطب الصلاة باسم أبي المعالي دون أن يدَعوه يدخل إلى مدينتهم سنة ٣٥٨ هـ [١]. كان ذلك قرارَ جزءٍ من السكان كما كان الحال في حلب، مع رغبة جزء من السكان بالحفاظَ على الأذان الشيعي، حتى تحت الحكم السلجوقي. حصل صراعٌ اقتصادي واجتماعي بحت داخل حرّان يمكن أن نفسّره كما يلي: حاول أعيانُ حرّان إغلاقَ المدينة بوجه الحمدانيين ابتغاء الاستمرار باستغلال غالبية سكانها وحدهم، لكن الغالبية المستغَلّة أجبرت الأعيان على الإنحناء أمام الحمْدانيين، ووضعت مجموعةً من الأحداث في خدمة ابي المعالي.

ز- حمص:

كانت هذه المدينة مليئةً بأماكن الزيارة عند الشيعة: مشهد علي، قبر إيّاد، قبور أبناء جعفر بن أبي طالب، مشهد أبي الدرداء، مشهد أبي ذرّ، وأخيراً قبر قنبر مولى علي بن أبي طالب. كان الحمصيّون شيعة في ذلك الزمن وبعضهم أصبح متطرّفا [٢].

إن تفرّق بني زهرة في البلدان بعد وُصولهم إلى حلب

(١) أثير: كامل VIII (B) ص ٥٩٨، ٦٠٨، ٦٠٩، إبن العديم:I / ١٦٠، canard / ٦٧١.

(٢) ياقوت: بلدان II ص ٣٠٣ B، ٣٠٤ B.

ونزولها، نقلَ التشيّع إلى مُدُن أُخرى في المنطقة حتى إلى الرّقّة، حيث كان السكان يظهرون تعلقا قويا بالأمويين [١].

وكان يوجد شيعة في شيزر قرب حماه: حسين بن سعد المهنّد بن مسلمة بن أبي علي الطائي المتوفى سنة ٤١٥ هـ[٢].

ح- النُصيريون:

إن تاريخ هذه الطائفة وإنْ يكُن لا يدخلُ مُباشرةً في صلب عملنا، لكننا نأخُذُ في الاعتبار أنّ ولادتَها قد حصلت على أرضٍ اثنى عشرية، ولأنّ بعض أعضائها قد جُنّدوا ضمنهم.

والمنافسة الحادّةُ بين الاثنى عشريين والإسماعيليين جعلت بعضَ النُصيريين يتركون سوريا نهائيّاً إلى إفريقيا الشمالية. وقد اعتنق اثنا عشريو سوريا الشمالية وغيرها من المناطق بغالبيتهم النُصيرية، التي استطاعت أن تحِلّ مكان التشيع التقليدي، لأنها كانت تستجيب أكثر لعقلية السوريين المتحوّلة، وإن كانت متطرفةً بالنسبة للتشيع التقليدي [٣].

إنّ من ألّف مادّةَ النُصيرية هم نُخبة من الاثنى عشرية.

(١) حوقل: صورة I ص ٢٢٠.
(٢) ياقوت: بلدان III ص ٣٨٣ A،B.
(٣) L.Massignon : art: النصيرية. E.I. iii ص ١٠٣٠ > B

لأن الطريقة النصيرية كانت تعتمد على انتقاء الأكثر كفاءةً من بين الاثنى عشريين لإدخالهم طريقتَهـا [١].

وُلـدَ هـذا المذهب في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة، وكان مركز دعوته مدينةَ جنبُلاء في العراق بين الكوفة وواسط. ثم دخل بعضُ المنتمين إليه إلى سوريا الشمالية ومصر، في حين استقـرّ بعضُهم الآخَـر على طول مجرى نهـر الفرات [٢]، وكذلك مجرى نهـر دجلة [٣].

من كبار مُنظّريها والعاملين على نشرِها، نذكر على سبيل المثال المصريَّ المولـد الحسين بن حمدان الخصيبي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ / ٩٦٨م. فقد جاء من مصر إلى جنبُلاء، ثم صار تلميذاً للجنبلاني في بغداد، وأخيراً استقرّ به المقام في حلب في عهد أميرها سيف الدولة.

كانت حلب في ذلك الأوان مركزَ النُّصيرية والمرجعَ الوحيد للعلويين[٤]. وبذلك أصبح النصيريون تحت حماية حمدانيي حلب[٥]. واستناداً إلى أقوالهم فإن سيف الدولة صار

(١) طويل: علويون ص ٢٠٨.
(٢) L.Massignon (١) ص ١٠٣٠ B.
(٣) ياقوت: بلدان II ص ٢٣٠ B.
(٤) طويل: علويون: ص ٢٦١ – ٢٦٣.
(٥) L.Massignon (١) ص ١٠٣٢ B.

تحت الوصاية الفكرية لأُستاذه الخصيبي، الذي كان له الفضل في نُصْحه، وفي توجيهه بالأخصّ للجهاد ضد الروم(١).

مع الخُصيبي انتقلت نقطةُ الثقل المركزيّة النُصيرية إلى سوريا الشمالية. وقد قدّم كتابه «**الهداية الكُبرى**» إلى سيف الدولة(٢). وتوفي في حلب ودُفن شمالَ المدينة في محلّة شيخ بيرق.

بعد الخُصيبي حصل ما يمكن أن نُسمّيه لا مركزيّة علويّة بمعنىً من المعاني. فقد أصبحت بغداد مركزاً ثانياً لهم حتى الاحتلال المغولي. أمّا في حلب، فقد خلفَ محمد بن علي الجلّي، أحدُ تلامذة أتباع الخصيبي الإحدى والخمسين، معلّمَه. ثم جاء بعده أبو سعيد ميمون الطبراني (٣٥٨ هـ- ٤٢٦ م / ٩٦٩هـ-١٠٣٥م)، الذي جاء إلى حلب ليكون على بيّنةٍ من منابع المذهب. ولكنّه لم يتأخّر فيها طويلاً، قبل أن يُغادرَها إلى اللاذقية حيث ترك أثراً باقياً.

على صعيد الاثنى عشريين، فإن أبواب الإمام الحادي عشر قد تتابعوا عاملين على القيام باختيار وتأليف

(١) طويل: علويون: ص ٢٦١ - ٢٦٣.
(٢) نفسه ص ٢٠٦، ٢٧١.

مذهـــب. كانـت سـوريا الشمالية كما الجزيرة ومناطق أخـرى من سوريا، حقلَ نشاط للوكلاء. في هذه الفترة نجحت النُّصيرية بالحلول مكاناً العقيدة الاثني عشرية في حمص وحلب والمنطقة الساحلية (جبل النصيرية) [١].

كل هذه الأماكن صارت نُصيرية. وكان ذلك يسيراً في إطار سوريا غير المستقرّة، والتي كانـت آنذاك تتلقى تحوّلا سريعا في فترة غير كافية [٢].

١٠- الشيعة والبيزنطيون:

خضعت سوريا الحمْدانية، أرضَ الشـيعة الاثنى عشريين والنُّصيريين، عـدّة مرات للاحتلال البيزنطي[٣]. هوذا ما يفسّر نوعاً ما موقفَ حُكّام سوريا الوسطى (الإخشيدية) بترك حمْدانيي الشمال يؤلّفـون دولة مهتزّة، تمتصُّ الخطر البيزنطي عنهم. تلقّتْ المنطقةُ الساحليةُ النُّصيريةُ على الوجه الأغلب نتائجَ ذلك الصِّراع، على الرغم من محاولة الحمْدانيين الحثيثة للعب على التناقضات بين الاخشيديين–

(١) L.massignon : art نصيري E.I III ص ١٠٣١ A.

(٢) بالنسبة لبعض المؤرخين كان ذلك نتيجة الانتقال من الوثنيّة إلى الاسماعيلية: حتي: سوريا: II / ٢٢٠ – ٢٢١.

(٣) طويل: علويون ص ٢١١.

البيزنطيين والفاطميين – البيزنطيين. هكذا فإنّ تأسيسَ أوّل كيانٍ سياسيٍّ شيعيٍّ في سوريا كان مثالاً ساطعاً للتشيّع الذي كانٍ مُضطرّا للدفاع عن نفسه على كل الجبهات.

مهما يكن فإنّ الإمارات الحمْدانية أتت لتضع في سوريا حجرَ الاساس للخليفة الفاطمي الشيعي الذي اتى سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م لإكمال تشيّع سوريا على طريقته.

الفصل الثاني

الشيعة في سوريا في العهد الفاطمي

سنة ٣٥٨ هـ/ ٩٦٩م سيطر الفاطميون على مصر. وصدحَ الأذان بحسب الطريقة الشيعية في مسجد ابن طولون. وبدأ الصراع ضد السُّنّة[١]. بعد مصر جاء دورُ سوريا، فقد أرادوا الاستفادة من وضع الخليفة ومن وضع سوريا لإزاحة السُّنّيّة الرسمية. فسوريا التي أفسدها الاضطهادُ والشّقاقُ والفوضى ومختلفُ النزعات الابتداعيّة، كذلك الحالةُ الاجتماعيّةُ الضاغطةُ على الرغم من تغيُّر الحُكّام. سوريا هذه وجدتْ نفسَها ممزّقةً بين السنة ٣٥٧هـ/٩٦٧ م والسنة ٣٥٩ هـ/ ٩٦٩ م بين القرامطة والبيزنطيين. ضمن هذا الكمّ من الأوضاع، أرسل جوهر إلى سوريا الجيشَ الفاطميَّ بإمرة جعفر بن فلاح.

(١) أثير: كامل VII :(A) /٣١، أبو الفدا: مختصر: II / ١٠٩، canard: art «فاطمي» EI 2 ii / ٨٧٠- ٨٨٢

١- الشيعة في سوريا الجنوبية والوسطى.

أ- القرامطة:

استمرّ هؤلاء الثوريون بمضايقة سوريا الإخشيدية بإيعازٍ من الخليفة الفاطمي المُعزّ. ولكن عندما دخلت لعبة المصالح، أدار القرامطةُ ظهورَهم لإخوانهم الفاطميين الإسماعيليين، وفضّلوا الوجودَ الاخشيدي في سوريا مشفوعاً بثلاثمائة ألف دينار سنويا يدفعُها حاكم سوريا الإخشيدي[١]. أثبت القرامطةُ الطابعَ الانتفاعي، الاقتصاديّ والاجتماعيّ لحركتهم: لقد كانوا مستعدّين للتضحية بالطابع العلوي الاسماعيلي لصالح الاتجاه الاجتماعي المساواتي لحركتهم. وعلى الرغم من وجود القرامطة ممزّقين بين هذين المكنونين لحركتهم، المضمون والشكل، الجوهر والشكل، فإن المنحى الأول هو الذي انتصر. مُمثّلاً بعائلة أحمد بن أبي سعيد، وعلى رأسهم الحسن الأعصم. سنة ٣٨٥ هـ / ٩٦٨م، عمل القرامطة لصالح العباسيين والاخشيدين (السُّنّة). وكانت خُطَبهم الدينية باسم الخليفة

---

(١) اثير: كامل VII :(A) /٤٢، قلانسي: ذيل / ١، ح. حسن: الدولة الفاطمية / ٣٩٥، طويل: علويون ص ٢١٨.

العباسي. واندلعت الحرب مع الفاطميين [١].

سنة ٣٥٨ هـ/٩٦٨م، وصل القائد الفاطمي جعفر بن فلاح إلى الرّمله. حيث بادرَ إلى احتجاز الحاكم الإخشيدي الحسن بن عبدالله بن طغج. وعندما وصلَ إلى طبريا ودمشق أقام الصلاة وفقاً للشعائر الفاطمية الشيعية [٢]. وعلى الرغم من جود مقاومة سُنّيّة محليّة ضد الاحتلال الفاطمي لسوريا، فقد ظلّ القرامطة القوّة الفعّالة القادرة على إيقاف الفاطميين.

سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧٠م أنتزع القائد القرمطي الحسن الأعصم دمشق من القائد الفاطمي جعفر بن فلاح، المتحدّر، بحسبِ الطويل، من عائلة علوية مُهمّةٍ في مصر[٣]. فقُتل جعفر ولُعن الفاطميون على منبر المسجد الأُموي في دمشق [٤]. غادر الفاطميون دمشق نحو مصر يلاحقهم القرامطة. لكن الفاطميين استطاعوا إنزال الهزيمة بالقرامطة بعد إبعادهم عن مجالهم المفضل. سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٣ م كان

---

(١) A.Metz: الحضارة الاسلامية II ص ٧١.

(٢) أبو الفدا: مختصر II ص ١٠٩.

(٣) طويل: علويون ص ٢١٨.

(٤) ابو الفدا: مختصر II ص ١١١ – ١١٢ / ح. حسن: الدولة الفاطمية ص ٣٩٦.

انتصارُ الفاطميين وإعادة غزو سوريا [١]. وأصبح ظالم بن موهوب العُقيلي الحاكمَ الفاطميَّ لدمشق. ومُجَــدّداً عادت الخطبةُ فاطميةً شيعيةً [٢]. وأُعـدم القادةُ القرامطة في مصر.

في هـذا الجـوّ العاصـف غرقت دمشقُ في الفوضى [٣]. فالفاطميون الذين لم يعودوا قادرين الآن على الحفاظ على سوريا، وجدوا أنفسهم مُبعَـدين عـنها عـلى يـد القائد التركي أفتكين، الذي كان على خلافٍ مع البويهيين. ولهـذا السـبب فـإنّـه ترك واسط في العراق وجاء يبحث عن حظوظه في سوريا. بـدأ باحتلال دمشق سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م، حيث أقام الخطبة للعباسيين [٤]. استدعى أفتكينُ القرامطةَ، الذين لا يمكن تجاوزهم على المسرح السوري بغيابِ أيِّ قـوّةٍ أُخرى، لدعمه ضد «**جوهر**» الفاطمي سنة ٣٦٥هـ/٩٥٧م. تمكن أفتكين مع القرامطة من طرْد جوهر من دمشق ومحاصرته في عسقلان ثم إطلاقه، عاملين على محورين: القرامطة في فلسطين وبالأخصّ في الرمله، وأفتكين على السواحل في

---

(١) أثير: كامل VIII (B) ص ٦٣٨–٦٣٩، قلانسي: ذيل ٢، ابو الفدا: مختصر II ص ١١٣، م.كرد علي: خطط: I /٢٢٥ – ٢٢٦.

(٢) قلانسي: ٤. ح. حسن: الدولة الفاطمية / ٣٩٩.

(٣) اثير: كامل VIII (B) ص ٦٤٠ – ٦٤٣.

(٤) أبو الفدا: مختصر: II / ١١٥، قلانسي: ذيل / ١٥، اثير: كامل VII :(A) / ٦٣، كرد علي: خطط: I / ٢٢٦

(صيدا) [١]. لكن العزيز القلق من خيبة ممثّله خرج بنفسه وألحق الهزيمـةَ بالحليفين معـاً، فألقى القبضَ على أفتكين وعفا عنه مُبقياً إياه في مصر. وانتقم من القرامطة وحصل على عودتهم إلى شـرق شـبه الجزيـرة العربيـة [٢]. حيث ظلوا أوفياء للفاطميين حتى السنة ٤٧٠هـ/١٠٧٨م.

إنّ غيابَ سياسةٍ شيعيةٍ موحّـدَةٍ في سوريا قد جعلت الشيعة يتواجهون، كما كان السببَ في انشقاقاتٍ في نفس المجموعة أحيانا. من ناحية أخرى، يجب ألاّ ننسى الدورَ الذي لعبه الطابور الخامس المكوّن من جنودٍ إخشيديين التحقوا بالقرامطة، وأرادوا بأي ثمن الإنتقام من الفاطميين[٣]. ختاماً، يجب ألاّ ننسى التعارض في مصالح مختلف المجموعات الشيعية. هكذا يُبـرّرُ الدورُ الذي لعبه القرامطة. ذلك أنّهـم، فيما يبـدو، قـد تركوا المكان للقوة الفاطميّة الشيعية الجديدة بعـدما اقتنعوا بقدراتها وقـوّتِها.

٢- سوريا الوسطى والجنوبية (فلسطين):

(١) قلانسي: ١٥ ،أبو الفدا: مختصر: II / ١١٥.

(٢) قلانسي: ذيل / ٢٠.

(٣) قلانسي: ذيل / ٢، M.Canard : تاريخ السلالة / ٥٥٥.

تشيّع ومعارضةُ التشيّع.

على الرُّغــم من أنّ التشيّعَ بمختلف أشكاله قد اجتاح سوريا منذ النصف الثاني للقرن الثالث للهجرة (الإسماعيلية لفترة، ثم القرمطية، ثم التشيع الاثنى عشــري الذي نافسته النُّصيرية في عقر داره)، فقــد ظلتْ بلاد الشام، بحسب Metz، غير ملائمة للدعــوة العلوية [١]. ويجب أن نفهمَ ببلاد الشام قلبَها دمشق بالأخص، بوصفِها المقرّ القديم للإمبرطورية الأُموية.

أ –دمشق

كان سُكانُ دمشق بغالبيتهم سُنّة وبميولٍ أُمويّة. ما جعلهم يواجهون الفاطميين، الشيعة والاسماعيليين [٢]. لكنّ الإصفهاني [٣] جعلَ من المدينة مركزاً شيعياً كبيراً منذ عهد سيف الدولة، خلافاً لِما رأينا، ولِما هو ثابتٌ على كلّ حال.

والمعارضةُ الدمشَقيةُ ميّزتْ قسماً كبيراً من التاريخ الفاطمي. وقد أمْلَتْ هذه المعارضة على الحُكّام انحرافاً في سياستهم ابتغاءَ الإستجابة لمتطلبات رعاياهم الأثيرين

(١) A.Metz: الحضارة الإسلامية: ا / ١٢١.

(٢) قلانسي: الحضارة الاسلامية: ا / ١٢١.

(٣) اصفهاني: ذيل / ١٦، كرد علي: خطط: ا / ٢٢٥.

(السّـادة، الأشراف)[١]. لكن هذه السياسة المتوازنة سـرعان ما باءت بالفشل لصالح الحكومة المركزية القويّة في مصر.

مع وُصول جعفر بن فلاح إلى دمشق، قاومت المدينة بفضل سُكانها [٢] السُّـنّة، الذين أظهروا عداوةً مُطلَقَةً للشيعة الفاطميين والقرامطة. خنقَ القائدُ الفاطميُّ المقاومةَ وأذّنَ للصلاة على الطريقة الشيعية: «**حيّ على خير العمل**». بعد الصلاة وبسبب الوضع الذي لا يُحتمل المفروض بالقوّة على السُّكان السُّـنّة، عاد الدمشقيون إلى الثورة بقيادة شريفٍ هاشميٍّ لبس السواد وألقى الخطبة العباسية دفاعاً عن السُّـنّة. كان الوضع خطيراً جـدّاً، فقرّر القائدُ الفاطمي أن يَحِلّ الموضوع سلميّا بالتقرّب من سكان المدينة [٣].

جاء القرامطة، الذين كانوا واثقين من موقف الدمشـــقيين تجاههم، لتكبيد الفاطميين[٤] الخيبة. وقد كانت إعادة السيطرة الفاطمية على دمشق سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م من قبل ظالم بن موهوب العُقيلي، مصحوبةً بفوضى كبيرة وحرائق

---

(١) اثير: كامل VII :(A) / ٦٢ – ٦٣.
(٢) اثير: كامل VI :(A) / ٣٢، أبو الفدا: مختصر: II / ١٠٩ ، كرد علي: خطط: I / ٢٢٤.
(٣) اثير: كامل VII :(A) / ٣٢، أبو الفدا: مختصر: II / ١٠٢.
(٤) اثير: كامل VIII :(B)/ ٦١٥.

في دمشق. وعند محاولة ظالم كسبَ ودّ الدمشقيين، فقدَ ثقة الفاطميين، فترك مكانه لإبن الصمصامة [١]، الذي تصدّى بدوره للدمشقيين، وتركَ المدينةَ للحاكم الفاطمي في طرابلس ريّان الخادم [٢].

الحالةُ في دمشق: الظُّلمُ الفاطميُّ المُتمادي على أهل المدينة، كذلك طلبُ الدمشقيين النجدة، كل هذا حمل أفتكين التركي على احتلال المدينة سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م بمساعدةٍ من سُكانها، وعلى إلقاء الخطبة باسم الخليفة العباسي[٣]. يبدو أن دمشق كانت حصنَ الاشراف الهاشميين المُرتبطين بتعصّبٍ للسُّنّة، ومُرتبطين أيضاً بالتقاليد التي كانت تريد بأيّ ثمن الحفاظ على المدينة بأمنٍ من الأفكار الاجتماعيّة التقدمية، العاملة على تحويل البلد، وكلا الارتباطَين وجها العُملة نفسِها. هؤلاء الأشراف، وضمن خوفهم من مجتمعات الأَحداث، ومن خلال علاقة هؤلاء مع الحركة القرمطية، كانوا صدىً لردٍّ فعلٍ حقيقيٍّ للدفاع عن الطبقات البائسة[٤]. وطلبوا قدوم

(١) اثير: كامل VII :(A) / ٥٤ /، قلانسي / ٤.

(٢) قلانسي: ٩-١٠.

(٣) أثير: كامل VIII :(B)/ ٦٥٧.

(٤) J.sauvaget: حلب / ٩٥.

أفتكين [١] المحافظ والتقليدي، إلى المدينة.

أتمّ افتكين مهمته بنجاح لصالح الدمشقيين والمعادين للشيعة[٢]. الذين (أي الدمشقيين) أظهروا تعلُّقاً كبيراً بحاكمهم، وبالأخص حين علموا بقدوم الفاطمي جوهر[٣]. لكن المدينة لم تتأخر عن الوقوع بأيدي الفاطميين.

هكذا يبدو أن التسنُّن كان متجذّراً جداً عند سُكّان دمشق، على الرغم من التمدّد الفاطمي على كل أفريقيا الشمالية والشام حتى الفرات، وعلى الرُّغم من نشاط دُعاته في بَذْر الإسماعيلية من خلال رعاية مُنظّمَة جيّداً [٤].

ظلّ الوضع مؤاتياً لمُعارضي الشيعة في دمشق ومنطقتها. فقد وقف " قسّام الغوطة " بوجه الفاطميين والحمْدانيين في آن واحد معاً. وحاول بعد قدومه بوقت قصير، تحديداً في السنة ٣٦٨هـ/٩٧٨م، أن يَدخلَ دمشق، مستفيدا من عفو الخليفة العزيز الفاطمي، الذي كان قاسياً جداً مع السُّنّة، وبخاصة المالكيين المتعصّبين جداً في

---

(١) اثير: كامل VII :(A) / ٦٢-٦٣.
(٢) مثل ابن خمّار: اثير: كامل VIII :(B)/ ٦٥٦ / قلانسي / ١٦.
(٣) اثير: كامل VII :(A) / ٦٣، قلانسي / ١٦.
(٤) A.Metz : الحضارة الإسلامية: II / ٧٣ /M.canard : art الفاطميون E.I.٢،٨٧٩. A.

سُنّيتهم[١]. ولكن عندما علم الخليفةُ بنواياه الإنفصالية، أرسل ضدّه القائدَ التركيّ منجكين الذي دخل دمشق سنة ٣٧٨ هـ / ٩٨٨م. أعطى العزيز دمشق لبكجور غلام عبد المعالي ابن حمْدان، الذي أُجبر على ترك المدينة لمنير الخادم، ومن ثمّ على الدخول إلى الرّقّة[٢].

انطلاقاً من هذه الفترة، كسبَ الفاطميون عادةَ حكم دمشق، وبدأت سياستُهم العاملة على نشْر التشيّع تؤتي ثمارها. ففي السنة ٣٧٨هـ / ٩٨٨م، بدأ التشيّع ينشأ في العاصمة السابقة للأمويين، التي وجدت نفسها مُحاطةً بالشيعة فاضطرت للخضوع هي أيضا.

يمكن أن نتساءلَ أيضا عمّا إذا كانت هذه الفترة تتطابق مع هجرة الدمشقيين إلى حمص[٣]، يائسين من تحسّن الأحوال في مدينتهم؟

هكذا تميّز الحضورُ الشيعي في دمشق بوجود منجكين عندما جمع المشايخَ والأشرافَ لدعْم الفاطميين. ونذكرُ من بين الأشخاص المعنيين رجلاً محترماً ومعروفا جدّاً:

---

(١) Canard: art E.I.٢.

(٢) قلانسي / ٢٦.

(٣) قلانسي / ٢٨، كرد علي: خطط: I / ٢٣٤.

موسى العلوي [١].

قادت السياسةُ القمعيةُ لمنجكين في دمشق و سوريا الشمالية، كذلك صراعه مع مصر، سليمان بن جعفر الكُتامي نحو الشام، حيث واجه شقيقه علي سُــــكّانا عــدوانيين [٢]، لأنّ جيشه كان مؤلّفاً بشكل أساسي من الكُتاميين الشيعة الاسـماعيليين.

كانت سياسةُ الحاكم الفاطمي قائمةً على انتزاع الشام من الكُتامى بمُجرّد أن صارت مصر تحت تأثير أمين الدولة الحسن بن عمّار، ابتغاء عـدم ترك مصر وسوريا في الأيدي نفسِــها. مما قاد إلى ضرْب سليمان بن جعفر في الشام بعدما تخلّص من الكُتاميين في مصر[٣]. انعدام الثقة هذه، بالإضافة إلى هذه العدوانية بين الشيعة أنفسهم، أفادت التيار السُّنّي الذي كان موجوداً في دمشق. هكـذا عاد الدمشقيو ن إلى حالهم الأُولى تجاه الحكام الفاطميين. فقد عملَ جيشُ بن الصمصامة على توحيد الدمشقيين وعلى الحفاظ على علاقات جيدة بين الجيش والسُّكّان [٤].

---

(١) قلانسي: ٤٥.

(٢) اثير: كامل VII (A): / ١٧٨.

(٣) نفسه /١٧٨.

(٤) اثير: كامل: VII / ١٧٩.

مع وضوح الوضْع في مصر، استمرت سياسةُ التشييع. فأعــدم الحاكمُ مشايخَ دار الحكمة السُّنّة، ومُنعتْ الشعائرُ السُّنية[١]، وكلّف الحاكم الفاطمي في دمشق بمعاقبة السُّـنّة. وفي السنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م ضُرب رجل سنّي وسيق في أزقّة المدينة على ظهر حمار مع المناداة بأن هذا عقاب من يحب أبا بكر وعمر ثم قُطع رأسُـه[٢]. إن هذه الدورة في المدينة تعني أنه كان يوجد في المدينة أناسٌ تتقاسم أفكارَه وأن الحاكم أراد بذلك تهديدهم.

ينتجُ من ذلك أنّ الطابَعَ العامَّ لسُكّان دمشق وجوارها كان سُـنّيّاً. وأنّ الغوطة التي اعتنقت الاسلام منذ القرن الأول للهجرة، كانت سُنّية بكاملها بحسب المذهب الشافعي والحنبلي، وإن يكُنْ المذهبُ الإسماعيليُّ المُعتَـرَفُ به رسمياً طوال العصر الفاطمي[٣]. فالدمشقيون اتهموا الفاطميين (الأفارقة) بقلّة التهذيب والقسوة وبمذهبهم الشيعي[٤]. استطاع الفاطميون بعد الكثير من الجهد، الحفاظ على المدينة كما على وجهها الشيعي في نهاية الحقبة الفاطمية

---

(١) M.canard : art «الفاطميون»: E.I ٢ II / ٨٧٩ A.

(٢) اثير: كامل A.Metz / 178 / :IX (B) : الحضارة الإسلامية: I / ١٣٢.

(٣) كرد علي: الغوطة / ٣٢-٣٣.

(٤) قلانسي: ١٦، جواد بولس: لبنان / ٢٤٦.

برفقة الحُكّام. هكذا كان الحال سنة ٤٣٣هـ / ١٠٦٥م مع الشريف أبي يعلى حمزة الذي رافق ناصر الدولة الحسن بن حسين بن حمدان [١] إلى دمشق. سنة ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م، كان لدينا دائماً في دمشق ممثّلٌ علويّ: ابن أبي الرضا المدعوم من السكان والكلبيين بوجه بدر الجمالي [٢]. أمّا الشريف ابن ابي الجن، فقد قـدم من مصر وقاد دمشق لمدة سبعة وعشرين يوما يعاونه الجرّاحيون. لكن الأمورَ جَرَتْ بشكلٍ سيئ، واستُدعي بدر الجمالي من جديد إلى دمشق، بعد الصراع بين أحداثها والجيش الفاطمي. في نهاية المطاف أُعدم الشريف من قِبَـل بدر، الذي حاول أن يضع يده على الشريف بمساعدة الكلبيين. ولكن نجح الفاطميون بإسترجاع المدينة واضطهدوا الأحداث [٣].

أمّا فيما يخصّ الطابع الشيعي الرّسمي لدمشق تحت الحُكم الفاطمي. فقـد أظهر الفاطميون كثيراً من التفهُّم والتسامح تجاه الدمشقيين. ففي السنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م كان حاكمُ المدينة شيعياً، بينما كان قائد الشرطة سُنيا.

(١) قلانسي: ٨٣.

(٢) نفسه: ٩٦-٩٧.

(٣) قلانسي: ٩٧ (من خلال سبط بن جوزي).

واستقبل الشريفُ ابنُ أبي الجن في منزله الخطيبَ الهاربَ من البساسيري والمهدَّد بالسجن من قبل الحاكم الشيعي للمدينة [١].

حول هذا الموضوع يعطينا القلانسي ضمناً معلومات هامة:

- الاحترام الرسمي للشريف العلوي في دمشق ولحُرمة بيته التي لا تُنتهك.
- الوحدةُ السياسيةُ والمصيريةُ الشيعيةُ، فلا تُساءُ معاملةُ الخطيب في دمشق كيما لا تُساءَ معاملةُ الشيعة في العراق.

كان الحضورُ الشيعيُّ في المنطقة الشرقية لبلاد الشام قليلاً جداً ومرتبطا بالحضور الفاطمي. ما يجعلنا نُفكّرُ بوُجودٍ إسماعيليّ. أظهر الدمشقيون القدرَ الأكبرَ المُمكنَ من المعارضة للخليفة الفاطمي[٢]. وشجّعوا الحُكّامَ على إدارة ظهورهم للحكومة المركزية. إن المؤرخين – الجغرافيين الذين مرّوا في المنطقة في ذلك العصر لم يذكروا إلاّ الذّمّيين في دمشق أو السُنّة، أناسٌ على المذهب

(١) قلانسي: ١٠٥ – ١٠٦.

(٢) أجبروا المولى ابن حيدرة سنة ٤٦١هـ / ١٠٦٩م على أن يستولي على إمارة صهره جلال الملك بن عمار.

الشافعي والحنفي في كل مكان. مع أنهم أشـــاروا إلى وُجُـــودٍ شيعيٍّ في أماكن أُخــرى مــن سوريا (كان هذا حال المقدسي[١]). وجد ابنُ حوقل (الذي تحدّث عن سوريا في ست صفحات من كتابه «**صورة الأرض**»، وذكر أكثر من خمسة عشر موقعاً فاطمياً مع مُعطياتٍ اقتصاديةٍ واجتماعيةٍ مهمةٍ جداً)، نفسه سعيداً بذكر المساجد الأكثرَ أهميةً في القُدسِ ودمشق من دون ذكر أيّ مُعطىً عن الشيعة أو الأماكن ذات العلاقة بوجودهم في ذلك العصر[٢]. بينما يبدو أنّ ناصر الدين خسـرو لــم يمرّ بدمشق، ومعلوماته لا تبدو لنا مفيدة لنـا إلاّ فيما بعـــد.

مهما يكن، ففي الوقت الذي بدأت فيه المدينةُ تتقبّلُ التشيّع، مع إظهار صعوبات بوجه أتسِز التركماني[٣]، الذي جاء لقطع الخطبة الفاطمية وإلغاء الصيغة الشيعة في الصلاة، احتلَّ تُتُــش السلجوقي المدينة سنة ٤٧١هـ/١٠٧٩م، وبذلك وضع حداً نهائيّاً للحُلُم الفاطمي بنشْـر التشيُّع في المنطقة.

(١) مقدسي: تقاسيم / ٢١٦.
(٢) حوقل: صورة / ١٦٧ – ١٧٣.
(٣) قلانسي / ١٠٩.

ب – لبنان:

يبدو أن المنطقة الواقعة في غرب الشام، كذلك في الشمال وفي الجنوب الغربي من منطقة دمشق، قد عرفتْ التشيّعَ بكلّ أشكاله قبل وصول الفاطميين بكثير. كانت هناك سلسلةٌ من المذاهب، إسماعيلية، قرمطية، شيعة اثنى عشرية ونُصيريّة. مع وصول الفاطميين كان عصر الإثنى عشريّة والنُصيريين الذين ستنافسهم الإسماعيلية الفاطمية ثم الدرزية. وبحسب حتي، ففي لبنان كما في فلسطين، فإن الاثنى عشريين اليائسين من عودة إمامهم الذي اختفى في سامرا قد تحوّلوا إلى الإسماعيلية [١]. كان هذا العصر الذهبي للتشيّع أو بالأحرى للإسماعيلية في بلاد الشام [٢].

كان الفاطميون قُساةً جدّا مع السُنّة. لكنهم كانوا قريبين كثيراً من العقليّة السورية بسياستهم المتسامِحَة تجاه غير المسلمين. فاستطاعت الرعايةُ الشيعيةُ أن تعَمّ سوريا بفضل هذه السياسة. وأصبح الشيعة يشكّلون الغالبيةَ في سوريا ولبنان وفلسطين [٣].

(١) حتي: اسماعيليون / ٧٠.
(٢) صليبي: لبنان / ١٦.
(٣) بولس: لبنان ص ٢٧٠

كان الشيعةُ غالبيّةً في العهد الفاطمي في أغلب المناطق اللبنانية باستثناء الشمال الشرقي. وفيما بعد في المناطق الوسطى الدرزية بحسب رأي بولس [(١)].

امتزج الاثنا عشريون مع النُّصيريين، ويبدو أن الأوضاع كانت لصالح هؤلاء (أيُ النُصيريين).

في جبل عامل، الذي سمّاه البلدانيُّ المقدسي «**جبل صدّيقا**»، شجّعَ نصفُ استقلالِه تدرّجَ وتطوّرَ الطوائف على حساب التقليديّة الإسلامية. كان النُّصيريون كُثُراً في المنطقة[(٢)]. ويبدو أنهم لم يغيّروا مذهبهم عند قُدوم الفاطميين، ذلك أنهم كانوا دائماً هنا عند بدء الدعوة الدرزية.

كان الجزء الساحلي من الجبل مركزاً لنشاط ديني وثقافي شيعي. وبحسب مكّي [(٣)]، فقد لعبت مُدُنُ الساحل دوراً كبيراً في هذا النطاق. كان هذا حالُ صور وصيد والصرفند، قبل أن يدفعَ الاحتلالُ الصليبيُّ النشاطَ الشيعيَّ إلى الداخل (جزّين). يتحدث المقدسي عن لبنان[(٤)] في

(١) نفسه / ٣١٧.
(٢) فيليب حتي: لبنان / ٣٢٢.
(٣) محمد كاظم مكي: حركة / ٤٩.
(٤) مقدسي: تقاسيم / ٢٣٧.

بداية الحقبة الفاطمية عن الأشجار والثمار والينابيع والنسّاك (النصارى؟)، لكنه لا يذكر وجوداً شيعيّاً في هذا البلد، مع أنه ذكرَ ذلك في فلسطين. لذلك علينا انتظار زيارة ناصر خسرو سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٧ م، وهو الذي وجد في صور سُكّانا شيعة، بينما كان القاضي فيها سُنيّا [١].

كان النشاطُ الشيعيُّ في جبل عامل مُوجَّهاً من قِبَلِ أئمة مساجد صيدا وصور والصرفند بحسب مكي [٢]. نذكر في هذه المرحلة شخصياتٍ شيعيّةً سوريّةً، وكان الأكثر شُهرةً الشاعر عبد المُحسن ابن غلبون الصُّوري (٣٣٩هـ/٩٥٠م-٤١٩هـ/١٠٢٨م)، الذي كان شيعيّاً علناً [٣]. ومدح آل الرسول في عدة قصائد [٤]. كما رثى الشيخَ المُفيد الذي توفي في بغداد بأبياتٍ معروفة. وتُثبِتُ مؤلفاتُ ورسائلُ الفقيه الشيعي أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراكجي الطرابلسي (المتوفى سنة ٤٤٩هـ) لسُكّان المنطقة وُجودَ شيعةٍ في صور. فقد صنّفَ إلى الصوريين كتابَ «**الأصول في مذهب آل الرسول**» . كما أنّ ثورةَ علّاقة

---

(١) ناصر خسرو: سفرنامه / ٥٠.

(٢) مكي: حركة / ٤٧.

(٣) ي. دبس: سوريا: V / ٤٧٩.

(٤) مكي: حركة / ٥٤.

في صور في عهد الحاكم الفاطمي[١] وموقفَ السوريين تجاه هــذه الانتفاضة [٢] لا يمكن تفسيرها ضمن إطارٍ مُعاد للشيعة. لأننا نوشكُ بذلك أن نبتعدَ عن الموضوع، وأيضاً عن الدور الذي لعبه حكّام المدينة في علاقاتهم بالسكان، وعن تعزيزِ رغبةٍ قديمةٍ عند سُكّان المُدُن اللبنانية الساحليّة بالحكم الذاتي. كما يجب أن نُضيف إلى ذلك السياسة الدينية التي اتّبعها الحاكمُ تجاه الذميين وحتى ضمن اطار التشيع. موقفُ الصوريين سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٤م تجاه انتفاضة مُنير الدولة تُظهرُ الوجهَ الشيعي للمدينة [٣] التي بقيت من بين المدن السورية الأخيرة في ايدي الفاطميين (٥١٨هـ/١١٢٥م)[٤].

منطقةٌ أُخرى شيعية في الجبل [الساحل] هي صيدا. فمؤلفاتُ الشريف المرتضى المتوفى سنة ٤٦٣هـ/١٠٤٤م المُوجَّهَةُ إلى سُكّانِها في رسالته «**المسائل الصيداوية**» [٥]. كذلك قُدومُ الكراجكي إلى صور وصيدا بهدف دفْع الفقه

(١) هل أملى هذه الانتفاضة ايضا تأثيرُ أبي سعيد التستوري في البلاط؟
(٢) قلانسي: ٥١.
(٣) اثير: كامل X (B): / ٢٢٣، قلانسي / ١٢٤.
(٤) M.canard: art . «الفاطميون» E.I.٢، ٢ / ٨٧٤B.
(٥) س. ظاهر: جبل عامل، مجلة العرفان (١٩٤٢): ٥ / ٣١.

الشيعي، كذلك كتابه للصيداويين «**إنتفاع المؤمنين**» [١]. كل هذا يظهر نوعاً ما الطابعَ الشيعيَّ الذي لن نتأخرَ بفَقْده في المرحلة المقبلة.

لم تكن المنطقة الساحلية وحدها شيعية، بل كذلك التلال العامليّة، فقد كانت بحسب حتي شيعية ونُصيريّة [٢]. ولكن يجب أن ننتظر القرنَ السادسَ للهجرة حتى تصبحَ المنطقةُ الداخليّةُ مركزَ نشاطٍ شيعيّ:

هكذا كان حال جزّين وجباع.

عند أقدام جبل حرمون، في وادي التيم الذي اشتُق اسمُه من اسم قبيلة من أصل اثنتى عشرة قبيلة يمانيّة هي (تيم الله بن ثعلبَة) سكنت الوادي، قَدِمَ جزءٌ كبيرٌ من السكّان من سوريا الشمالية، حيث عرف التشيعُ بمختلف اشكاله النجاحَ. وكان هناك امراءٌ تنوخيون إسماعيليون[٣]. كما عرفتْ هذه البقعةُ التشيّع المتطرّف (النُّصيري) [٤]. مما سهّلَ إنغرازَ الدروز في المنطقة على عهد وبسعي الحاكم الفاطمي كما في جبل عامل. كان هناك نجاحٌ

(١) مكي: حركة / ٤٧.

(٢) حتي: سوريا: II / ٢١٩، نفسه: لبنان ص ٣٢٢.

(٣) دبس: سوريا V: / ٤١١.

(٤) H.Lammens : سوريا I: /١٥٢، حتي: سوريا: II / ٢١٧.

درزيٌّ في وادي التيم، قابلَه نوعٌ من الفشل في جبل عامل لصالح الاثنى عشريين المعتدلين. وأُبعـد النُّصيريّون نحو الشمال في جبل لبنان، كمـا أُبعِـدَ الدروز نحو الشوف [١].

استطاع الاثنا عشريون أن يعملوا بشكلٍ ناجح ومُعلَنٍ في العهد الفاطمي، مستعينين بتسامُح الدولةً وبالتقارب بين الإسماعيلية والاثنى عشرية [٢]. باستثناء هاتين المنطقتين، الشُّوف ووادي تيم، كانت الإسماعيليةُ في كل لبنان مُتطابقةً مع الشعائر الدينيّة الشيعية الاثنى عشريّة[٣]. وكانت ضواحي بيروت [٤] ومنطقة كسروان المُجاورة منطقةَ تعايُش اثنى عشريّ ونُصيريّ: سكن النُّصيريّون منطقة البترون والمنيطرة والعاقورة [٥].

كان كلُّ الساحل اللبناني وبالأخص الجنوبي، متعلّقاً جداً بالتشيع وبالدولة الفاطمية. وعلى الرغم من وجودِ نوعٍ من الفسيفساء الشيعية، فقد كان الكلُّ مُستعدّاً للقتال، كلٌّ بحسب امكاناته، ضدَّ السلاجقة من جهة والصليبين من

(١) بحسب استنتاجات حتي: لبنان / ٣٢٢ ،ح. حسن: دولة / ٣٥٧.
(٢) بحسب خلاصة محمد جواد مغنية: حاكمون / ١٧٥-١٧٦..
(٣) صليبي: لبنان / ١٥.
(٤) ابن يحي: بيروت / ١٩، ٢٢.
(٥) Lammens: تسريح: II / ٥٧.

جهة أخرى.

وصلتْ طرابلس في هذا العصر إلى نفس مستوى المناطق الشيعية الكبرى. فمنذ وصول سليمان ابن جعفر بن فلاح الكُتامي إلى سوريا في عهد الحاكم. حسّنتْ هذه القبيلة وجودَها في البلد وبالأخص في المنطقة الساحلية. فعين سليمانُ أخاه علي [(١)] حاكماً على طرابلس. لكن هذا الأخير لم يتأخر بفقد منصبه مع خيبة آمال الكُتاميين في مصر. ولكن المدينةَ استمرّت تحت إدارة هذه العائلة، وجذبت الشيعةَ من دمشق حيث كانوا يعانون المصاعب. [هذا مَبنيٌّ على أنّ بني عمّار أُمراء وقُضاة طرابلس كُتاميّين. ولكنّنا أثبتنا في غير مؤلّفٍ لنا أنّهم عربٌ أقحاح من بني طيّ (المهاجر)].

كان بنو عمّار قُضاةَ المدينة الفاطمية. وتمكّنوا سنة ٤٦٢/ ١٠٧٠م، يُساعدهم الوضع في سوريا خلال ضعف الفاطميين، من تأسيس الكيان السياسي الاثنى عشري الثاني بعد الدولة الحمْدانية (هذه المسألة سنبحثها لاحقا). سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٧م، مرّ ناصر خسرو بطرابلس قبل استقلالها

(١) قلانسي: / ٤٤.

بعدة سنوات على يد بني عمّار. كانت تَعــدُّ ٢٠٠٠٠ نسمة كلهم من الشيعة. ويضيفُ أنّ الشيعة بنوا مساجد جميلة في كل البلد [١]. فماذا كان يعني بـ «**البلد**»؟ أهي منطقة طرابلس فقط، أم كلّ بلاد الشام؟

يبدو أنه كان يعني طرابلس ومحيطها. لأن عدداً كبيراً من القرى كانت تُعتبر جُــزءً من المدينة [٢].

كان شيعةُ لبنان في ذلك الأوان مَقسومين إلى فئتين:

الذين يعيشون في المُـدُن، والذين يُقيمون في الجبال اللبنانية.

أمّا الفئة الأولى، فبالإضافة إلى النشاط الديني والثقافي لعلمائهم ومشايخهم وساداتهم[٣] الذين نشروا التشيُّع، فإنهم انشغلوا بنشاطات ضرورية كالزّراعة والعناية بالحمضيات وقصب السكّر وأشجارٍ أُخرى مُثمرة وغير مُثمرة والحدائق [٤]. إضافةً إلى بعض الصناعات الحِرَفـيّة في صيدا. وقـد عُـرفتْ صور بغناها [٥]. وفي طرابلس[٦]

(١) ناصرالدين خسرو: سفر نامه / ٤٧ – ٤٨.

(٢) Fr.Buhl:art «طرابلس» IV E.I. / ٦٩٣ B.

(٣) أناس عامليون متحدّرون من أهل البيت.

(٤) ناصر إي خسراو: سفر نامه ص ٤٩،

(٥) نفسه ص ٥٠.

(٦) نفسه ص ٤٨.

أهتمّ الشيعةُ بالزراعة كذلك (قصب السكر، الموز، الحمضيات...الخ.) وبالصناعات ذات المنشـأ الزراعي (الورق، السُّكّر). أما باقي المدن الساحلية، فقد جاءت في المرتبة الثانية كجُبيل وبيروت.

أمّا الشيعةُ الذين سكنوا الرّيفَ اللبنانيَّ فقد اهتموا بالزراعة وتربية المواشي. هذا ما كان عليه الشيعة العامليّون الذين سكنوا «**قرى جميلة**»، **حيث نجد الكروم وأشجار الزيتون**[١] **والزراعات الموسمية. وقد أمضوا وقتهم بين اهتماماتهم بالزراعة وتربية المواشي، وهكذا كان حالُ الشيعة في كسروان وجبيل.**

لقد استفاد شيعة هذه المناطق من الوجود الفاطمي لزيادة أنشطتهم على كل الصعد. [الحقيقة أنّنا لم نفهم وجهَ العلاقة بين هـذه الحالة الإنتاجية المُتأصّلة، وبين الوُجود الفاطمي الطّارئ والمُؤقّت (المهاجر)].

ج- فلسطين

كان حالُ فلسطين كحالِ لبنان نوعاً ما. ففي هذا العصر، ضمّتْ فلسطينُ الكثيرَ من الشيعة. فمنطقة الجليل، التي

(١) مقدسي: تقاسيم ص ١٨٠.

تُمثل استمراراً طبيعياً لجبل عامل، وبخاصة طبريا، المدينة الرئيسية في الأُردنّ، كانت بأكملها شيعيةً بحسب المقدسي: «**أهل طبريا كلّهم شيعة**» [١] . وقد مرّ الجليلُ بنفس المراحل التي مرّ بها جبل عامل، وكان مرتبطاً به طبيعياً وسياسياً. وكما عرفَ جبلُ عامل، مثلَ كلِّ سوريا، التحوّلات العقائديّة نحو التشيّع، كذلك أصبح الجليلُ شيعيّاً هو ايضا وبحسب نفس التحوّلات. يمكن لنا أن نجد فيه إثنى عشريين ثم نصيريين. وهذا واقعيٌّ جداً عندما نعلم بإنّ القائدَ النُّصيريَّ في اللاذقية أبا سعيد الميمون سرور بن قاسم الطبراني (٣٥٨هـ/٩٦٩م - ٤٢٦هـ/١٠٣٥م) مُتحدِّرٌ أصلاً من طبريّا كما تدلُّ نسبتُه. ولم يغادر مدينته التي وُلد فيها إلاّ ليكون إلى جانب الخصيبي والجنبلاني[٢] في حلب. كل ذلك يحملُنا على الاعتقاد بأن طبريّا عرفتْ التشيّعَ قبل مجيء الفاطميين بكثير[٣] . ولنُلاحظ هنا أنّ هذا لا يتناقضُ مع رأي المقدسي، الذي يركّز على الطابع السُّنّي للمدينة قبل مجيء الدُّعاة الفاطميين[٤]. كانت الخُطَب في طبريا

(١) نفسه ص ٢١٦.

(٢) زركلي: أعلام:III / ١٢٨، طويل: علويون / ٢٠٦.

(٣) وجدت مظاهر شيعية في عهد الطولونيين.

(٤) مقدسي: تقاسيم / ٢١٦.

تُـلقى باسم الخليفة الفاطمي المعزّ قبل قدوم جعفر بن فلاح إلى المدينة بكثير [١].

وبحسب ناصر خسرو [٢] فإن محيطَ طبريا، الغنيّ بالمزارع والقُرى المُطيفة ببُحيرتِها العذبة، كان شيعياً بأكمله. وكما الحالُ في طرابلس وصيدا وصور، فإن كتاباتِ (رسائل) الشريف المرتضى تُظهرُ وُجودَ الشيعة في طبريا. أمّا الكراكجي فقد أثبته في الرملة التي كان سُكّانُها شيعة بحسب كتابه «**كنز الفوائد**»[٣].

احتوتْ مُدُنٌ أُخرى في منطقة فلسطين على شيعة: «**نصف سكان نابلس وقدس**»، كذلك «**أكثر سُكّان عَـمّان**» [٤]. حتى القدس كان فيها شيعة. فالأحداثُ التي ذُكرت من قِبَل غالبيةٍ في المصادر كذلك عند Laoust [٥] بين السُّنّة والشيعة في السنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦م في كربلا وبغداد وسامرّا والقدس تُـثبِتُ ذلك.

إن وجود الدروز في فلسطين [٦] وبالتحديد في صفد

(١) اثير: كامل: VII / ٣٢، ابو الفدا: مختصر II / ١٠٩.
(٢) ناصر خسرو: سفر نامه / ٥٣.
(٣) الأمين: خطط / ٧٠، ظاهر: جبل عامل، العرفان ١٩٤٢ جزء ٣١ / ١٢٢.
(٤) مقدسي: تقاسيم / ٢١٦.
(٥) Laoust: Schismes / ١٦٨.
(٦) أسود: ذخائر / ١١٨.

وعكّا وجبل الكرمل ومنطقة طبريا، يُثبتُ وُجود تشيُّعَ في الأراضي الفلسطينية إبّان العصر الفاطمي. وإن يكن بالإمكان تسجيل عودة بعض الدروز إلى السّنُيّة في جبل صفد والكرمل. ويمكن تفسير ذلك بأنّه ردّة فعل على السياسة المذهبية للحاكم، التي كانت نتائجها مضرّة على التشيُّع إجمالاً. فالظاهر أنّها أدّت إلى حدوث تصدّعات في قلب التشيع. وهذا خطيرٌ جداً. إنّ حصولَ ذلك في شمال فلسطين، ترك التشيّع المُنهار لصالح السُّنيّة التقليدية، التي ظلّتْ على الرغم من ذلك موحّدةً بوجه الدعاية الشيعية.

د- الرّملة و الجرّاحيون:

لعب بنو الجرّاح الطيئيون، وكذلك الكلبيّون، دوراً مهماً في تاريخ هذه المرحلة في سوريا الجنوبية والوسطى.

من الصعب جدّاً معالجة الموضوع السياسي- الديني للجرّاحيين. حيث تتداخل عدة عوامل لجعل المُهمّة مُعقّدةً جدّاً. ولكن بما أننا استطعنا أن نقعَ على أجزاءٍ مُبعثرة من تاريخهم في المصادر، فسوف نحاول أن نكشفَ، بالرغم من عدم كفاية المادّة، بعضَ المظاهر التي يمكنها الإضاءة على المصيدة السياسية -الدينية للجرّاحيين.

هـ- يمانيّون:

كان الجرّاحيون في الرملة طيئيين يمانيين، كذلك بنو كلب في الشمال الذين عملوا معهم ابتغاء التصدّي للحكومة الفاطميّة المركزيّة. من هنا فإنّ كون اليمانيين[1] قد تصدّوا للفاطميين في سوريا هذه التي تحوّلت إلى التشيُّع، يحملنا على الاعتقاد بميولٍ شيعية اثنى عشرية عند الجراحيين دون تأكيد ذلك.

و- مع القرامطة:

يبدو أن الجرّاحيين قد استفادوا جيّداً من الصراع الذي دار بين السبُعيين/الاسماعيليين، بوجهيهم الفاطمي والقرمطي. فتحالفوا مع القرامطة منذ الوجود الفاطمي في سوريا. فحافظ دغفل بن الجرّاح سنة ٣٦١ هـ / ٩٧١-٧٢ م على الرملة لصالح الجنابي القرمطي أثناء حملة هذا على مصر [2]. وبعد سنتين كان حسّانُ بن الجرّاح في الجيش القرمطي ضد مصر [3].

إذا سمح الجرّاحيون لأنفسهم بأن يُشتَروا بالمال من

(١) تمت دراسة العلاقات بين اليمنيين والشيعة في القسم الأول من الجزء الأول من هذه الأطروحة.

(٢) قلانسي ص ٢.

(٣) نفسه ص ٣.

قِبَل الفاطميين، كما حصل غير مـرّة، فذلك تحديداً لغياب قضية عُـليا يمكن أن تربطَهم بحلفائهم، وسوف تتكررُ هذه الحالةُ عـدّة مرات في تاريخ الجراحيين[1].

ز- مع الفاطميين:

استطاع الجرّاحيّون أن يفرضوا أنفسهم على الفاطميين لقـوّة تأثيرهم ولأهميّةِ قبيلتهم في فلسطين. فقـد كان باستطاعتهم التأرجُح بين الفاطميين وحُكّامِهم في سوريا، دون أن يتمكنـوا من العمل لحسابهم الخاص بنجاح.

وبسبب عدم قدرتهم على تأسيس بُنيةٍ سياسيةٍ خاصةٍ بهم، وجدَ الجرّاحيّونَ أنفسَهم أحيانا بالسّـعي إلى تحصيل المال من أينما تأتّى لهم. وغالباً غارقين في سياسةٍ بدويّة، أملتها عليهم حالـةُ عدم التوازن السياسي بين القُـوى المُحيطة بهم، بالإضافة إلى نقصٍ طَبْعيٍّ مُزمنٍ في خطّة التنظيم.

كان المنحى العام للسياسة الجـرّاحيّـة مُعاداةَ الفاطميين. وكانت السياسـةُ الفاطميةُ إجمـالاً ضدَّ الجرّاحيين. لذلك بحث الطرفان عن المناسبات الملائمة ليفرض كلُّ طرفٍ

(١) نفسه ص ١٩و٤٧.

منهما سياسَتَه من جانبه على الآخر. فمُساعدة الجرّاحيين للقرامطة، وانتفاضةُ مُفرّج في أعقاب إبعاد الكُتاميين عن السلطة في مصر[١]، والمناداة / إعلان خليفة في الرّملة مقابلَ الموجود عبّاسيّاً- فاطميّاً، وتشكيلُ ثالوثٍ قبَلي، كذلك العلاقات الجرّاحية - البيزنطية، كلُّ ذلك يدخلُ ضمن إطار سياسة الجرّاحيين المُضادّة للفاطميين. وبالمقابل فإن سياسة الفاطميين المُضادة للجرّاحيين [٢] يمكنُ أن نراها من خلال الدّور الذي لعبه القائد الفاطمي الفضل سنة ٣٦٩هـ / ٩٧٩م بين أبي تغلب الحمْداني ومُفرّج الجرّاحي. ذلك أنّه أعطى الرملةَ للثاني، وجاء إلى طبريا ليُحرّض الأولَ على الاستيلاء على المدينة نفسِها، فنجح بذلك بمواجهة الاثنين ببعضهما البعض، وأدّى إلى التخلُّص من الحمْدانيين. لكن الجرّاحي عرف كيف ينقذ نفسه في اللحظة الأخيرة بالتوجُّه للخليفة العزيز ليوقف قائده الفضل [٣].

مظهرٌ آخَرٌ من مُعاداة الجرّاحيين تتمثّل بالحملة الفاطمية

(١) قلانسي: ص ٥٠.

(٢) هذا ليس فقط معاداةً للجراحين، بل معاداةً للشيعة الاثنى عشريين.

(٣) قلانسي: ص ٢٢-٢٤.

سنة ٣٧١هـ/ ٩٨١ م[١]. فقد رأى الحُكّام الفاطميون في الجرّاحيين اعداءً يجب التخلص منهم [٢].

ح- مع سوريا الشمالية:

كانت سوريا الشمالية وبالأخص حلب الحمْدانية شيعيةً في ذلك العصر. فدخل الطيئيون في علاقةٍ مع حُكّام حلب. لقد بدأوا مع بكجور الحاكم الحمْداني لحمص، ثم استمرّوا بدعمه عندما أصبح حاكماً ثم ثائراً ضد الفاطميين في دمشق [٣]. لم يكن ذلك فقط مع بكجور، ولكن مع أول مرداسيّ: صالح بن مرداس، الذي دخلوا معه في تحالف، وشكّلوا معه ومع سنان الكلبي الثالوث العربي الذي حاول الحلولَ مكان الفاطميين في سوريا [٤].

ط- مع البيزنطيين:

لمحةٌ أُخرى مميِّزةٌ للسياسة الجرّاحية، هي التأرجح بين الفاطميين والبيزنطيين. فعندما طُرد حسّان من فلسطين على يد الدزبري سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣٠ م، مـرّ بإنطاكية

(١) نفسه: ص ٢٥.

(٢) نفسه: ص ٢٩،٣١-٣٢.

(٣) قلانسي: ص ٢٥، ٣٠-٣١.

(٤) اثير: كامل B IX: ص ٢٣٠ - ٢٣١ K إبن العديم I ص ٢٢٣، ٢٢٨، ٢٣١.

وساعـد البيزنطيين في حملاتهم على سوريا الشمالية [١].
هذا الطابع في السياسة الجرّاحية مُعبّرٌ جداً، لأنّه يأتي بعد المُطالبة بخليفة معادٍ للموجود، أو بالأحرى الموجودَين: العباسي والفاطمي. ويمكن وضع ذلك في إطار المُعاداةِ للفاطميين من قبل الجرّاحيين والمنافسةِ في سوريا بين مختلف المذاهب الشيعية، في ظل غياب المنافسةِ السُّنّيّةِ القادرةِ على توحيدهم. إضافةً إلى ذلك فإن هذا التقارب يأتي بعد عـدّة سنوات على تعيين الخليفة لشريفٍ علويٍّ على الرملة.

مهما يكن فإن الجرّاحيين لم يستديروا باتجاه بيزنطة لأنهم كانوا اثنى عشريين فقط، بل بغياب أي مساعدة أُخرى. ويجب البحث عن أسبابٍ أُخرى لا تدخلُ ضمن إطار التعصُّب والسُّلطة.

ي- بعضُ الملامح التي تعكس تشيّع الجرّاحيين.

يمكن لسلسلـةٍ من الملامح السياسية أن تفسّرَ أقلّه نوعاً ما تعاطفاً شيعياً اثنى عشريّاً عند الطائيين. فقد بدأ اتجاهُ سليمان بن جعفر بن فلاح [٢] الذي حاربوه أولا

(١) نفسه ص ٤٢٠.
(٢) شيعي كتامي. تسامحه مع الدمشقيين لائق باثنى عشري: قلانسي ص ٤٨.

ثم دعموه وسلّموه منجوتكين [١]. دليلٌ آخَـر هو سلسلة من الانتفاضات التي حصلت تماماً بعد السياسة المعادية للكُتاميين في مصر. فثار علاّقة في صور، ومفرّج في فلسطين. فجاء البيزنطيون للمساهمة إلى جانبهم[٢]. أفلا يدعونا هـذا للتفكير بدعم جراحي للكتاميين الاثنى عشريين [كذ! ولكن هؤلاء الكُتاميين البربر كانوا إسماعيليين بالتأكيد (المهاجر)] الموجودين في سوريا منذ وصول سليمان بن جعفر؟

هـذا، بالإضافة إلى المُناداة بخليفة شيعيٍّ مقابلَ الموجود فاطمياً وعباسياً. ومع أن هذا القرار اتُخذ نحو سنة ٤٠٢هـ/ ١٠١١–١٠١٢، بتحريضٍ من الوزير الفاطمي أبي القاسم الحسين بن علي المغربي، الذي هرب حديثاً من مصر إلى فلسطين، طالباً حماية حسان الطائي، فقد ظلّ (أي هذا القرارُ) نقطةَ ارتكاز حول المعتقد الديني للجرّاحيين، وحول سياستهم ومستوى صراعهم مع الفاطميين، الذي لم يعُد الآن مسألةَ أموالٍ ولكنه بات مسألةً سياسيةً – دينيةً بامتياز، على مقياس كلّ الخلافات التي كانت قاعدةً لكلّ التصدّعات في تاريخ الإسلام.

(١) قلانسي ص ٣٦ – ٤٧.

(٢) نفسه ص ٤٩ – ٥٠ / اثير: كامل IX (B) ص ١٢٠.

ولـقد ذُكــرت قصة هذه المناداة / الإعلان في مختلف المصادر[١]. كان اختيارُ الشريف المكّي أبي الفتوح الحسن بن جعفر العلوي الموسوي من قِبَـل الوزير المغربي الغاضـب[٢] مُناســباً تماماً لتظهير اعتراضٍ شيعيٍّ اثنى عشـري وكذلك سُنّي أيضـاً حول علاقــة القَرابة بين حُكّام مصر وآل النبي. فتوجّهَ الوزيرُ الفاطميُّ السّابقُ إلى مكة، واصطحب معه أثنـاءَ العودة هذا الشريف إلى فلسطين، الذي كان عنـد وُصوله مُحاطـاً بالعلويين، حيث أُعلن أميراً للمؤمنين في الرّملة. وكان يحملُ سـيف علي بن أبي طالب (ذو الفقار). واســتناداً إلى كُرد علي[٣]، فقد صك الطائيون عُملةً باسمه. واتخذ الخليفةُ الجديدُ من جانبه إجراءاتٍ تقدُّميّة يمكن أن تُرضي الفئات الشعبية، من ذلك أنّـه ألغى تقليداً الانحناء أمامه وتقبيلَ الأرض، ووزّع الأموالَ على الناس.

لكن الحاكمَ الفاطميَّ لجأ إلى سطوة المال التي يُحسـنُهـا جيّــداً، كما جرّب تأثيرها السـريع. وعن هـذا الطريق

---

(١) اثير: كامل IX (B) ص ١٣٢، قلانسي ص ٦٤ عن الذهبي.

(٢) موسوي نسبة لموسى الكاظم.

(٣) كرد علي: خطط: I ص ٢٤٦.

توصّلَ إلى إقناع حسّـان وأبيه بالتخلّي عن الخليفة المُضادّ، الذي عاد إلى مكة، بينما فرّ المغربيُّ إلى العـراق.

كانت الإجراءات الجرّاحية في هذا المشروع الطّموح عريضةً جداً. وبذلك تخطّت بمســافةٍ كبيرةٍ كل امكانياتهم الذّاتيّة، وإن كانت تستجيب لمعتقداتهم وطموحاتهم.

لذلك يستحيلُ علينا أن نضعَ الحركاتِ الجرّاحية ضمن مجرّد إطار سياسي بدوي للنهب وذهنيّة عـدم الاهتمام بالاســتـقـرار في سوريا. هذه التي فتحها الإسلامُ بكل مشاكله الاجتماعية والسياسية والدينية. والتناقضات بين الجرّاحيين والفاطميين وضعها هلالُ الصابي [١] في إطار حصْريّ من الاختلافات المذهبيّة. ويُلام ابن الجـرّاح على كتاب «**المعتقد الذميم والغدر في الدين**». وقد ذُكر بعض الجرّاحيين الآخرين لـدى سبط ابن الجوزي إلى جانب شريف شيعي اثنى عشـري سنة ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م [٢].

تُظهر هذه الاستنتاجات التي قمنا بها، حول مختلف ملامح السياسة الطائية في فلسطين إبّان العهد الفاطمي، نوعاً ما الطابعَ الشيعي الاثنى عشري لفلسطين، وكذلك

---

(١) ذكره القلانسي / ٧٤.

(٢) ذكره القلانسي / ٩٦-٩٧.

مناطق جنوب لبنان (جبل عامل). لقد قاومتْ فلسطينُ عند قدوم أتسِز بن اق [١]، التركي الذي عمل لصالح السلطان ملك شاه [٢]، فاحتلّ سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م الرملةَ والقدس ثم دمشق سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٦م، حيث ألقى الخطبة باسم الخليفة العباسي المقتدي، وألغى العبارة الشيعية من الأذان.

وبعدما عاد إلى مصر خائبا، ثارت الرّملة حيث حمل السكان السلاح ضد أتسِز. وفي القدس سُرق مالُه فتوجّب عليه الدخول إلى دمشق لتحضير غزو فلسطين مرّةً أُخرى التي عادت للخطبة الشيعية. فاستعمل العنف لأخذ القدس والرّملة وغـزّة، فقتل سُكّان هذه المُدُن. فأصبحت فلسطين مزروعةً بالعنف والنهب، مهجورةً من غالبية سكانها عشية الاحتلال السلجوقي للمنطقة. ولم يكُن هذا حالُ الفلسطينيين فقط، فدمشق أيضاً أصبحت مدينة خالية: فمن أصل ٥٠٠ ألف من سكانها و٤٠ من خبازيها لم يبقى إلاّ ٣ آلاف نسمة وخبازَين اثنين. لقد كان الوضع خطيراً جدّاً في كل سوريا بشكل عام.

تمكن الشيعة الاثنى عشريين من التأثير على تاريخ سوريا

---

(١) اثير: كامل ix (B) / ١١١،١٠٠،٩٩،٦٨، قلانسي: ذيل / ٩٨-٩٩-١٠٩-١١١.

(٢) اثير: كامل IX (B) / ٦٨.

من دون أن تكون النتائج لصالحهم. فقد آذوا الوجود الفاطمي دون التمكن من اقتلاعه. لكنهم لم يسمحوا بأن تصبح سوريا ملكية فاطمية صلبة، دون التمكن من اقتلاعه. كان المسرحُ خالياً فعرف السلاجقة كيف يملأوه، فاحتل تُتُش بن ألب ارسلان دمشق سنة ٤٧١هـ/١٠٧٩م، ووقعت فلسطين في أيدي الأرقيين حتى سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٦م.

استطاع الفاطميون الحفاظ على عسقلان وبعض المُدُن الساحلية مثل بيروت وصور وصيدا وعكا حتى وصول الصليبيين.

٣- سوريا الشمالية والجزيرة:

نظراً لموقعهما الجغرافي الأقرب إلى العراق من مصر، شكّلتْ سوريا الشمالية والجزيرة **«الممرَّ الخلفي للعراق»**[١]. ممّا فرَضَ على هاتين المنطقتين تاريخاً مُعقَّداً جدا، كما كانت حركة الوفود الشعبية التي غذّتهما دائما.

من هناك استطاع التشيّعُ المرورَ من العراق نحو الغرب والجنوب الغربي. ومن الطريق نفسِه حاولت الإسماعيليّةُ دون نجاح الوصولَ إلى العراق: المركز الروحي والسياسي

(١) قلانسي: ٣٣ – ٣٤.

لكل العالم الإسلامي.

كانت الحقبة الحمْدانية مُزهرةً بالنسبة للتشيّع الإثنى عشري، كما بالنسبة للنُصيرية كما رأينا في القسم السابق. لكن الحمْدانيين أُبعدوا من قِبَل العُقيليين في الموصل وفي جنوب وشرق الجزيرة، ومن قِبَل المروانيين في ديار بكر. أمّا في سوريا الشمالية فقد بدأ موظفو الحمدانيين بإبعادهم لترك المجال للفاطميين ثم للمرداسيين.

صحيحٌ أنّ سكان هذه المناطق تلقّوا تحوّلات. نذكر مسألة العنصر التغلبي في ديار ربيعة الذي سندرسه في إطار العُقيلية. لكنّ عملنا يتوقف على تحليل وضع السكان تجاه المشاكل الدينية– السياسية لعدم كفاية المعطيات في المَظانّ. لذلك سوف نرى أنفسنا مضطرين إلى تلمُّس طريقنا مستخدمين سياسة الحكام تجاه رعاياهم ومحيطهم (الفاطميون، البويهون، السلاجقة) لفهم موقفهم تجاه التشيع والوجود الشيعي في إماراتهم.

أ– الإمارة المروانية: السُّكّان

تألّفت هذه الإمارة في ديار بكر [١]. وهي منطقة شكّلت

(١) C.cahen, M. canard art "ديار بكر» E.I ٢.II ص ٣٥٣ A،b ومايتبع.

مع أرمينيا مِلكيّةً حمْدانيّة لسيف الدولة في حلب حتى موته سنة ٣٥٦هـ/٩٦٧م، حيث أُلحقت بالإمارة الحمْدانية في الموصل. قبل أن يستولي عليها بويهيّو بغداد، ثم لاحقاً بان الكردي. ومن بعده سنة ٣٨٠ هـ / ٩٩٠م ابنُ أُخته أبو علي الحسن بن مروان.

جذّر الوجودُ الحمْدانيُّ في ديار بكر التعاطفَ مع التشيّع. وسيف الدولة وُلد ودُفن في ميّافارقين. وقد ظلّت هذه المدينة بالنسبة له ولكل الحمْدانيين في الموصل ملجأً لهم في كل مرّة يأتيهم التهديد من الغرب (البيزنطيين) أو من الشرق (بغداد).

لم تستطع الإمارةُ المروانيةُ وضعَ حدّ لِما قام به الحمْدانيون في ديار بكر: ففي أيام المرواني الأول أبي علي بن مروان (٣٨٠هـ /٩٩٠م–٣٨٦هـ/٩٩٦م)، ظلّ سكّان ميّافارقين، وبالأخص الطبقات الشعبية، مؤيدين للحمْدانين[١]، ما قاد المرواني إلى التخلّص، بمساعدة واليه، من سُكان المدينة الذين تصدّوا للوجود المرواني، فتمّ نهبُ المدينة وإعادةُ بناء ميّافارقين جديدة مقـرّبَة من المروانيين[٢].

(١) H.F.Amedrozالأسرة المروانية في ميافارقين. JRAS ١٩٠٣ ص ١٢٤.
(٢) نفسه ص ١٢٥.

ولتثبيت الإمارة جيّداً، حاول المروانيُّ الزواجَ من ابنة سعد الدولة الحمْداني صاحب حلب. كما انفق ٢٠٠ ألف درهم [١] ابتغاءَ التأكُّد من دعم المقرّبين من الحمْدانيين. لكن قلّةً ثقةِ السُكّانِ بالمرواني استمّرتْ في آمد بعد السياسة المروانية تجاه ميّافارقين، واغتيل أبو علي في هذه المدينة بمؤامرة دبّرها شيخ المدينة مع الحمْدانيين [٢].

بعد أبي علي بن مروان، خلفه أخوه أبو منصور سعيد (٣٨٦هـ ٤٠١هـ/٩٩٦ـــ١٠١٠م). وظلّ الشعبُ حكماً وداعماً. واضطرّ ابنُ دمنة الذي أخذ المدينة، للتوجُّه إلى سكّانِها طالباً دعْمَهم ليتمكن من الحكم. فظلّتْ المدينةُ خارجَ السيطرة المروانية حتى سنة ٤١٠ه/ ـ١٠٢م.

ظلّ السكّانُ فعّالين ضمن جوّ الغضب، ويبدو لي أنّ المروانيين لم يستطيعوا وضعَ نهايةٍ بشكل فعال للتأثير والنشاط الحمْداني مع وجود الغاصبين (ابن دمنة، شروه، ابن فليوس.....) الذين لم يتركوا للمروانيين الوقت لتجذير سلطتهم وبَدْءِ عملهم، فجرَتْ محاولاتٌ لكسْبِ السكّان

(١) نفسه ص ١٢٥، اثير: كامل IX (B) ص ٧٢

(٢) Amerdoz ص ١٢٦.

بأيِّ ثمن في ميّافارقين [١]. قلق السكان من موقف شروه بعد اغتيال ابن منصور وإرسالِ أمواله إلى آمد، والإشاعات عن أنه يريد تسليم المدينة للبيزنطيين، فانتفض الناس ونهبوا المدينة وسيطروا عليها، وأُعطيت لأبي نصر نهاية عام ٤٠١هـ/١٠١٠م. فبدأ حكمَه بسياسةٍ مُتسامحة ومُحسنة تجاه الشعب [٢].

أكملَ السكانُ لعْبَ دورٍ مُهــم حتى خلال وجود ابن جهير. في أرزن توجه السكان للسلطان السلجوقي بهدف تغيير حاكمهم أبي علي البلخي، وقد نجحوا بذلك وحلّ مكانه أبو طاهرالأنباري [٣]. في ميافارقين كما في كل ديار بكر والجزيرة. دأبَ السلاجقة على دفع مبالغ من المال ابتغاءَ تحسين الوضع الاقتصادي للسكَان [٤]. فسكّانُ ميّافارقين هم من طلبَ مجيءَ السلطان بركياروق سنة ٤٥٨هـ / ١٠٩٣م، وهم مَن أجبروا القاضي ابن مجور على قبول مفاتيح المدينة[٥].

(١) Amedroz: ص ١٣٠ – ١٣١.
(٢) نفسه ص ١٣٢.
(٣) Amedroz: ص ١٤٩–١٥٠.
(٤) نفسه: ص ١٥٠.
(٥) نفسه: ص ١٥١.

مهما يكن فنحن أمام سُـــكانٍ لعبوا دوراً كبيراً في كـلّ المنطقة، وأجبروا الحكّام على تغيير مشاريعهم، ابتغاء خدمة مصالح الشعب أكثر فأكثر. هـــذا الحِـــراكُ لعبه كلُّ الشعب، وليس فقط أبناءُ الطبقة الميســـورة [١]. وإذا نحــن أضفنا إلى ذلك أنصارَ الحمْـدانيين في ديار بكــر، والقاعدةَ العربيةَ للسُكّان[٢] بحضور حاكم كرديّ، وفي ظل غياب قاعدة كرديّةٍ كافيةٍ لتستطيع دعْـمَـه، يمكننا أن نتساءل بشكلٍ أو بآخر عمّـا إذا كان جـــزءٌ من السكان على الأقــلّ[٣] لا يتعاطف مع الشيعة؟!

يمكننا تكوين فكرة أوضح حول هذا الموضوع بعد تحليل السياسة المروانية.

ب- السياسة المروانية في الميزان:

بين البويهيين والفاطميين:

لم يستطع المروانيون، وبحكم موقع أراضيهم، اتباعَ سياسةٍ خارج مدار القوتين الكبيرتين المطوِّقتين لديار بكرٍ: البويهيين من جهة، والفاطميين من جهة أخرى

---

(١) نفسه: ص ١٥٠.

(٢) حصل ضمور للعنصر التغلبي لصالح القيسي (canard: تاريخ السلالة ص ٥٧٦).

(٣) يجب ألا ننسى وجود قسم مسيحي بين السكان (Amedrozص ١٤٩).

الذين اضطروا لقتالها أولاً لإقامة أمارتهم. لذلك سوف نرى عندهم سياسة مُقـرّبة من الشيعة، ملائمةً أكثر للإثنى عشريين من «**السبعيين**» / الإسماعيليين، إذ أنهم كانوا مقربين من الأُوَل أكثر من الآخرين.

كان الخلاف بين باذ والبويهيين [١] ثم الحمْدانيين حقيقةً بديهيةً. إذ أنّ هـذا القائد جاء لانتزاع أراضٍ كانوا يملكونها. كان هذا الإعتداءُ موجّهاً بنحوٍ أخصّ نحو البويهيين الذين كانوا أسياد المنطقة التي كان حمْدانيو الموصل مرتبطين بها سنة ٣٨٠هـ. انتزع ابنُ أُخته أبو علي السلامَ لحمْدانيي الموصل، وجعل يحكمُ من قِبَل الخليفة العزيز [٢]. ثم تمّم هذه السياسة بالتحالف مع حمْدانيي حلب المُرتبطين بمصر سنة ٣٨٦هـ.

لكنهم لم يتأخروا في ممارسة سياسةٍ مُتوازنة، فتحسّنت علاقاتهم ببغداد أيام أبي منصور سعيد سنة ٣٨٦ /٤٠١هـ الذي تلقّى المرواني الثالث: أبو نصر أحمد سنة ٤٠١–٤٥٣هـ[٣] سبعَ خِلَع تكريمٍ من قبل البويهي سلطان الدولة،

(١) اثير: كامل IX (B) ص ٣٥ – ٣٦–، ٣٨ – ٣٩، ٥٤–٥٥، ٧٠–٧١ / Amerdoz:ص ١٢٣–١٢٤.

(٢) أبو الفدا: مختصر. II ص ١٢٦.

(٣) Amedroz: ص ١٢٨، ١٣١–١٣٢.

مع كتاب مديح وألقاب التشريف ودعمه. وقد تُلي كل ذلك أمام السكان ابتغاء الحصول على دعمهم وإخلاصهم معهم ألقاب الشرف من قبل الخليفة الفاطمي في القاهرة. وبعد عدة أيام وصل وفد بيزنطي إلى ميافارقين، فاحتفل الأمير بعيد الأضحى مُحاطاً بالوفود الثلاثة.

سنة ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م استقبل المرواني لاجئاً بويهياً هو الملك العزيز ابن جلال الدولة الذي جاء لتمضية بقية حياته في قلعة إسعرد [١]. وفي العام التالي (٤٣٦هـ /١٠٤٤م) أُلقيت الخطبة في ديار بكر باسم السلطان البويهي كاليجار[٢].

– وزير اثنا عشري:

نسجل في زمن أبي نصر وصولَ شيعيٍّ اثنى عشريٍّ حَسَن السمعة جداً إلى الوزارة هو أبو القاسم المغربي، وذلك سنة ٤١٠هـ / ١٠٢٤م [٣]. كان هذا قد لعب دوراً كبيراً إلى جانب الفاطميين والجرّاحيين والعُقيليين والبويهيين والمروانيين. وكانت لهذه الشخصية علاقةَ قرابةٍ

---

(١) نفسه: ص ١٣٥.

(٢) اثير: كامل ix (B) ص ٥٢٥.

(٣) إعديم I ص ٢٥٩.

مع العلويين. وكان زوج اخته علي بن أبي طالب بن عمر بن عليّ. لقد كسب هذا الوزير ثقة أبي نصر المغربي وتوفي سنة ٤٢٨هـ/١٠٣٦م[١]. ودُفن في الكوفة بقرب مقام الامام علي في مشهد الغريّ[٢].

- قرآنٌ بخطّ علي:

من الملامح التي تُظهر تعاطفاً شيعياً عند المروانيين، يمكن أن نلحظَ أيضاً الأهميّةَ التي حظيت بها نسخةٌ من القرآن مكتوبة بخط الإمام علي، احضرها الملك العزيز البويهي الملتجئ عند أبي نصر.

اتخذ هذا القرآن قيمةً كبيرة، وتمّتْ توأمته مع الحجر الثمين الأحمر المسمى جبل الياقوت الذي كان يـزن سبعة مثاقيل، واعتُبرا هديتين مهمتين قدّمهما البويهي للأمير المرواني[٣].

- علاقات مروانية مع أربع شخصيات بميول شيعية: مرداسيين وعُقيليين:

لقد كانوا متأثرين بصالح بن مرداس لإنهاء خلاف مع

---

(١) سنة ٤١٧ هـ / ١٠٢٦م بحسب اثير: كامل IX (B) ص ٣٦٢.

(٢) Amerdoz ص ١٣٤.

(٣) نفسه ص ١٣٥.

عُطير النميري حول أدِسّـا [١]. تحالفت العائلتان على عهد ثمال ونصر بن مروان.

أمّا فيما يتعلق بالعُقيليين، فقد حصل تحالفٌ عائليٌّ على عهد قرواش المعروف جيداً بميوله الشيعية. ثم تحالف مع مسلم بن قريش ابتغاء التصدي لإبن جهير، الذي احتلّ الجزيرة من قِبَل السلاجقة [٢].

- الصراع المرواني مع السلاجقة:

إذا كان حكْمُ أبي نصر تجربةً سياسيةً مهمةً لهذه الإمارة الفتيّة بين قوتين متفوقتين جداً، فقد أتى السلاجقة لتعقيد هذه التجربة.

أتى طغرل بك مع ١٠٠٠٠ فارس لاحتلال ديار بكر، رافضاً الانسحابَ مقابل مبلغ من المال. فاضطر أميرُها لمحاربته. وبالنتيجة نجح في هزيمة السلاجقة وأسْـرِ عـددٍ من رجالهم [٣].

ولكن بالرغم من أن أبا نصر ألقى الخطبة باسم طغرل بك، كما سنرى لاحقا، فإن هذا الأخير جاء سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦

(١) إ عديم I ص.٢٥٩

(٢) اثير: كامل IX (B) ص ١٣٤/ إ بن العديم II ص ٨٤

(٣) Amedroz ص ١٣٧.

م لوضْعِ اليد على نصيبين وديار بكر [١] ومحاصرة ميّافارقين سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م، ابتغاء إجبار الأمير ابي القاسم نصر (٤٥٣هـ ٤٧٢ هـ / ١٠٦١ –١٠٨٠م) على ترْك الإمارة لأخيه سعيد. دفع الأمير ٥٠٠٠٠ دينار مقابل انسحاب الجيوش السلجوقية، وترك آمد لأخيه سعيد[٢].

وفي العام نفسه (٤٥٥هـ/١٠٦٣م) طُرد ابن جهير من ديار بكر، وجاءت جيوشٌ سلجوقيّةٌ بقيادة سلّار لمحاصرة ميّافارقين. فقُتل شقيقان للأمير، وقُتل سلّار[٣]. وهكذا نجح المروانيون بإنقاذ أنفسهم من ثلاث محاولات سلجوقية للسيطرة على ديار بكر عنوةً.

وعلى الرغم من أنّ لقاءَ نظام المُلك ألب أرسلان سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م قد هدّأَ الوضعَ، فإن ابن جهير العامل لصالح السلاجقة، قد نجح سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٥م بقيادة جيش تركماني سلجوقي للسيطرة على ديار بكر[٤]. وقد نجح مع ابنه بوضْعِ نهايةٍ للإمارة المروانية سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٦م. بعد

(١) أبو الفدا: مختصر II ص ١٧٥.
(٢) Amedroz ص ١٤٢.
(٣) نفسه ص ١٤٤.
(٤) اثير: كامل IX (B) ص ١٣٤، ١٤٣–١٤٤، ابو الفدا: مختصر II ص ٢٠٠،١٩٦/ Amerdoz ص ١٤٦–١٤٧، طبّاخ I ص ٣٤٧.

سبع سنوات، جاء الأميرُ المروانيُّ منصور ليحكم ميّافارقين لمدّة خمسة أشهر، مستغلاً الفوضى التي حصلت بعد موت ملك شاه. لكن البلدَ لم يُعتّم أن وقع بين يدي تُتُش عمّ السلطان بركياروق سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٤، قبل إعادتها لبركياروق نفسه الذي كان قائد السلاجقة في العراق. لكن المروانيين استمرّوا مع ذلك بالتأثير على ديار بكر لعدة سنوات بعد انتهاء وجودهم الرسميّ [١].

هذه هي، نوعاً ما، بعضُ الملامح التي بإمكانها أن تصنعَ من مروانيي ديار بكر إن لم يكونوا شيعة، فإنّهم على الأقل لم يكونوا أخصاماً لهم. هذه السياسة أملاها عليهم محيطُهم الشيعي (بغداد البويهية والقاهرة الفاطمية)، كذلك وجودُ قسمٍ كبيرٍ من الشيعة والنصارى بين سكّان إمارتهم. جاء كلٌ ذلك قبل وبعد ظهور السلاجقة على مسرح العراق وإمارتهم. وإن يكُن هذا الظهور قد أجبرهم على تعديل سياستهم، دون التمكن من الإفلات من الخطر السلجوقي، الذي جاء لُيفرّق كل المسرح بهذه الاطروحة بفارق بضع سنوات بين منطقة وأخرى.

(١) Amerdoz ص ١٥٤

- **مظاهرُ تقرّب من السلاجقة:**

إذا كان المروانيون قد أظهروا الكثيرَ من التعلّق بإمارتهم، فقد أظهروا أيضاً الكثيرَ من الموهبة السياسية في سبيل الحفاظ عليها أمام رياح الشرق (الغُزّ، السلاجقة) العاتية. ضمن هذا الإطار من السياسة، يمكننا تفسيرَ التقرّب السّلجوقي - المرواني، الذي بدأ أيام أبي القاسم نصر أثناء حملة الغُزّ سنة ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م.

قام الغُزّ بحملة نهبٍ واسعة[١]. حاول المروانيون والعُقيليون معاً وقفَ الموجة التي اجتاحت نصيبين وسنجار والخابور. إلاّ أن تدخُّل طغرل بك السُّلجوقي هو الذي وضع نهايةً لهجمة الغُزّ وانقذ الإمارة المروانية[٢].

سنة ٤٤١هـ/١٠٤٩م وفي نفس السنة التي مُنع فيها سكان الكرخ في بغداد من إقامة مراسم عاشوراء، أُلقيت الخطبة من قبل أبي نصر باسم طغرل بك[٣]. فقد أقام أبو نصر علاقاتٍ جيّدةً مع طغرل وتبادلَ الهدايا معه[٤]. وضمن إطارِ هذه العلاقات الجديدة، استقبل حفيدَ

(١) اثير: كامل IX (B) ص ٣٨٦ - ٣٨٧.
(٢) نفسه IX ص ٣٨٩.
(٣) نفسه IX ص ٥٥٦، ٥٦١.
(٤) اثير: كامل IX ص ١٨.

الخليفة القائم، الذي سوف يصبح المُقتدي، في آمِد سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م مع أمه بعد ثورة البساسيري في بغداد [١] التي انتهت بإلقاء الخطبة المستنصرية في بغداد.

بعد عدة سنوات (٢٦٣هـ/١٠٧١م)، وبالرغم من المحاولات السلجوقية الثلاث المذكورة سابقاً، حصل لقاءٌ مُهمٌّ في تاريخ العلاقات بين الطرفين، فقد أتى نظام الملك لزيارة أبي القاسم نصر، الذي التقى بدوره السلطان الب إرسلان، وحصل تبادل للهدايا، وعاد بعدها المرواني بلقب **«سلطان الأمراء»** [٢].

ارتفعتْ اصواتٌ في البلاط السلجوقي، قبل سقوط ميّافارقين تماماً سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٦م، حول السلطان ابتغاء تسليم منصور (٤٧٢هـ/١٠٨٠م–٤٧٨هـ/١٠٨٦م) ميّافارقين وآمد ومناطق أُخرى في ديار بكر. لكن الأمير رفض بانتظار نتيجة مقاومة أبي سالم[٣]. تُظهر هذه الأصوات في البلاط نوعاً ما رأياً سلجوقياً ميّالاً لكسب المرواني والخضوع لمخطط ابن هجير، الذي نفّذَ بحملته تصفيةَ حسابٍ مع المروانيين. لكن عزوفَ الأمير يُفسَّرُ بالعودة

(١) Amerdoz ص ١٣٥.

(٢) نفسه ص ١٤٤

(٣) نفسه ص ١٤٦

إلى العداوة السلجوقية بعد فشل سياسته التقريبية. لكن الأوان كان متأخراً والإمارة كانت قد ضاعت.

بعد هذه المحاولة في البحث عن التشيّع في ديار بكر في العصر المرواني وعند الأمراء المروانيين، يمكننا القول أن هذه المرحلة تقع في إطار الانتشار الشيعي. وكانت المنطقة واقعةً بين الاثنى عشريين والسبعيين / الإسماعيليين. ولم تستطيع الحكومةُ الكرديةُ أن تخطو خطوة إلى الأمام ابتغاء تحقيق العودة إلى الخط القويم للمعتقد. وكان المروانيون مضطرين للتأرجح بين الفاطميين والبويهيين أحياناً إلى عدم مناقضتهم خلال ستين عاما تقريبا ٣٨٠هـ–٤٣٦هـ (خطبة ابي كاليجار) أو ٤٤١ هـ (خطبة طغرل بك). بينما لم يكن الحال كذلك في السنوات الاربعين للتأثير السلجوقي ٤٤١–٤٧٩هـ، حيث كان عدم الثقة مُهمّا. وجاءت الجيوش السلجوقية عدّة مرات لتهديد المروانيين قبل وضع حدٍّ لأعمالهم سنة ٤٧٩هـ.

٤- عُقيليوا الموصل (٣٨١هـ - ٤٨١هـ/ ٩٩٠ - ١٠٨٨م):

كانت آخر سلالة عربية كبيرة في الشرق قبل هذه الفترة هي سلالة العُقيليين التي كانت لها نقاط تشابه كثيرة مع

المروانيين، أقلّه من حيث تواريخ الولادة ونهاية الكيان السياسي التي تتقارب. وكان الوضع الجغرافي والسياسي ذاته، وإن يكن الأول أقرب إلى الجنوب بقليل من الآخر. وظلت بغداد من جهة والقاهرة من الأخرى المحورَ التي تدور حوله هاتان السلالتان، قبل أن يأتي السلاجقة للحلول مكان البويهيين، ولإعطاء بغداد منحىً آخر ولحرْفِ السياسة العُقيلية، ما أن صار العُقيليون على الطريق نحو الغرب مُحاولين استرجاع محور القاهرة، دون أن ينسوا محور بغداد السلجوقي، ابتغاء انقاذ النصف الشرقي لإمارتهم.

أ – استمرار الإمارة الحمْدانية في الموصل:

إن المصادر التي عُدنا إليها، كما الأعمال الحديثة، لا تعطي معلومات فيما يتعلّق بسكان هذه الإمارة، لا نستثني من هذه المُلاحظة إلا دراسة كانار على تاريخ السُلالة الحمدانيّة [1]، حيثُ استنتج من خلال غياب أيّ معلومات عن التغلبيين عند بدء العدوان الكردي باتجاه الجزيرة، أنّ العُقيليين وجدوا مكانهم تكتيكيّاً في حقيقة أنّ العنصر التغلبي كان في حالةِ ضمورٍ، على حساب الاندفاع القيسي نحو الجزيرة.

(١) Canard : تاريخ السلالة الحمدانية ص ٥٧٤–٥٧٦.

لأن السياسة الحمْدانية الحربية ولّدت خسائر سُكّانيّة بين المجموعة التغلبية من جهة، ومن جهة أُخرى هجرةً تغلبيّةً واسعة باتجاه الأراضي البيزنطية وسوريا الشمالية.

ولكن هل يعني ذلك أنّ الصورة السُكّانيّة للجزيرة قد تغيّرتْ كثيراً، على الأقل على المستوى السياسي – الديني؟

من المؤكد أن المائة عام من حكم العُقيليين لم تستطع أن تمحو، أو لم تحاول أن تمحو، كلَّ ما كان متأصلا في الجزيرة. وقد أعطى الحمْدانيون للمنطقة السيادة، كما التعاطف مع التشيع الذي لم يكن غريبا عن هذه المنطقة.

وبدل أن يعمل العُقيليون لصالح ابناء قبيلتهم الحمْدانيين المتراجعين، أتوا للتصدّي لباذ ليستولوا على السلطة[١] لأجل مصالحهم الخاصة.

ب – السياسة العُقيلية في الميزان:

بين البويهيين والفاطميين:

كما كان حال الحمْدانيين، كان الخضوع العُقيلي للبويهيين أمراً لامفرّ منه، يُمليه حالُ الإمارة الاقرب إلى بغداد من القاهرة. وكان هذا الخضوع ظاهراً بحسب

(١) اثير: امل IX (b) ص ٧٠-٧١ / CANARD: تاريخ السلالة / ٥٧٥.

Zetterteen [١]. ولكن بالرغم من كل ذلك وصل ممثّلٌ بويهيٌّ إلى الموصل سنة ٣٨١هـ لمراقبة ابي الذوّاد محمد بن المسيّب [٢] الذي بقي السيّد الحقيقي. لقد أملى الخلافُ مع ممثّــل بغداد على العُقيليين أن يُلقوا الَخطبة في الموصل سنة ٣٨٢هـ باسم الخليفة الفاطمي العزيز [٣].

يبدو أن العُقيليين كانوا مستعدّين لإلقــاء الخطبة باســم خليفة بغـداد ومُسـاندة السـلطان البويهـي، ومُساهمة الحمْدانيين بنفس بالطريقة بـ «**كنز الدولة**» ، دون القبول بتدخُّلٍ بويهيٍّ متقدمٍ أكثر. لأجل ذلك، وبعد موت أبي الذوّادٍ، أجبر أخواه مُـمـثّـلَ البويهيين على ترْك الموصل [٤]. وحلّت المصالحةُ مع بهاء الدولة البويهي في الخطبة وبمساهمة «**كنز الدولة**» [٥].

لكن البويهيين جهدوا في ممارسة تأثيرٍ اكثر وسلطةٍ أكثر على مَن هم تحت سلطتهم. مما دفع قرواش [٦] إلى الدخول في صراعٍ مع البويهيين سنة ٣٩٢هـ/١٠٠١م.

(١) K.V.Zetterteen: art Okailides E.I. III. ص ١٠٣٩ A.
(٢) اثير: كامل IX (B) ص ٧٥، ٩٢.
(٣) ا ثير: كامل (IIX (A ص ٢٥٣-٢٥٤.
(٤) اثير:كامل IX (B) ص ١٢٥.
(٥) نفسه IX ص ١٢٦.
(٦) كانت لقرواش فترة حكم طويلة ابي نصر المرواني (٣٩١هـ/١٠٠٠م-٤٤١هـ/١٠٤٩م).

بعد سنة على اغتيال والده مقلّد على يد مواليه الأتراك[١] سنة ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م، بحسب ابن الأثير [٢] وسنة ٤٠١هـ/١٠١٠م بحسب ابي الفدا و Laoust [٣]، ألقى قراوشُ الخطبةَ باسم الخليفة الفاطمي في القاهرة الحاكم في كل من الموصل والأنبار والمدائن والكوفة. وهذا ماقاد laoust إلى وصفه بالأمير الشيعي.

مهما يكن فإن قرواش، من خلال تصدّيه للبويهيين الاثنى عشريين، وجد نفسه عند الفاطميين السبعيين / الإسماعيليين. لكن الجهة الأولى كانت مؤثّرةً أكثر، فاضطر قرواش لقطع الخطبة الفاطمية للعودة إلى العبارة البويهيية [٤].

سنة ٤١١هـ/١٠٢٠م اعترض قرواش على بغداد بمعاونة العسكريين الاتراك، في ظل غياب المساعدة الفاطمية. وهكذا وجد نفسه مهزوماً [٥].

لكنّ ذلك مهّدَ لدخول قُوةٍ جديدةٍ على المسرح.

أكمل الأميرُ العُقيليُّ الاعتمادَ على الاتراكٍ مع ثقته بقوته.

---

(١) اثير: كامل IX (B) ص ١٧٠،١٦٤.
(٢) نفسه ix ص ٢٢٣.
(٣) ابو الفدا: مختصر II ص ١٣٩-١٤٠ / laoust: تصدعات ص ١٦٧.
(٤) اثير: كامل IX (B) ص ٢٢٣/ أبو الفدا: مختصر II ص ١٤٠.
(٥) نفسه ص ٣٢١-٣٢٢.

سنة ٤٣٢هـ/١٠٤٠م حرّضَ أتراكَ بغداد على جلال الدولة البويهي. ولكن وجبَ عليه الخضوع للبويهين، لأنه ثـار على الأترك [١] بعد علاقاته الجيّـدة معهم.

أيام قرواش (٣٩١هـ- ٤٤١ هـ /١٠٠٠- ١٠٤٩م) بدأ التأثيرُ التركي. أمّا خلفاؤه: بركة (٤٤١هـ/١٠٤٩م- ٤٤٣هـ/١٠٥١م) وقريش بن بدران (٤٤٣- ٤٥٣هـ /١٠٥١-١٠٦١م)، بتأثير قوة طغرل بك من جهة، والبساسيري من جهة اخرى، فقد وجدا أنهما مضطرين إلى تغيير السياسة العُقيلية ابتغاء البقاء إلى جانب بغداد القريبة[٢]. قاتل قريش البويهيين سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م[٣] مع قبوله سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م بالخطبة الفاطمية وبالمصالحة مع المقّربين من الفاطميين: البساسيري ودبيس بن مَزْيد في الموصل [٤].

في السنة ٤٤٧ هـ، وضع طغرل بك نهايةً للوجود البويهي في بغداد، فوجد العُقيليون صعوباتٍ في ترتيب أُمورهم بين بغداد والقاهرة.

صحيحٌ أنّهم لم يكونوا مضطرين لأخذ رأي الفاطميين

---

(١) اثير: كامل IX ص ٤٨٩،٤٩١.
(٢) سوف تُدرس هذه هذه المسالة في إطار العلاقات مع السلاجقة.
(٣) اثير: كامل ix (b) ص ٥٨٦.
(٤) نفسه IX ص ٦٢٦.

طالما أن الأمور كانت تجري جيداً مع بغداد، لكن مسلم (٤٥٣ – ٤٧٨ هـ / ١٠٦١ – ١٠٨٥م)، وبتأثير ميوله الشيعية [١] وقبلَ بسْطِ إمارته نحو سوريا الشمالية، دخل في دائرة التأثير الفاطمي (٤٥٨هـ/١٠٦٦م). لكن السيطرة على حلب سنة ٤٧٢هـ/١٠٨٠م جعله يفقدُ تحالفاً مع الفاطميين ابتغاء انتزاع دمشق من تُتُش[٢]. لكنّ الفاطميين كانوا غير قادرين على إرسال فرق مساعدة / إسناد لدعم إمارات سوريا الشمالية والجزيرة لوقف الاندفاع السلجوقي نحو الغرب. ذلك ما أجبر مُسلم في النهاية على إلغاء كافة مشاريعه مع الفاطميين، وعلى التكيُّف مع الوضع الجديد. ولم يكن ذلك صعبا على شيعيٍّ معروف جيّداً ، فهو لم يستطع الاعتماد على القوة الفاطمية حتى في المواقف الأكثر حَراجَةً وخُطورةً [٣].

العُقيليون والبساسيري:

لا يمكن إطلاقاً أن نضع الصراع بين قريش بن بدران والأمير الشيعي دبيس بن مَزْيَد الحلّي [٤]، كذلك مع

(١) سوف نعالج الملامح الواضحة لتشيع العقيليين بشكل منفصل.

(٢) أثير: كامل IX (B) ص ١٢٧ / طبّاخ I ص ٣٤٦ / art : sobernheiM . مسلم بن قريش. E.I II ص ٨٠٨ – ٨٠٩ B .

(٣) إبن العديم II ص ٥٥٥–٥٥٦.

(٤) ولاية شيعية كاملة: اثير: كامل IX ص ٥٧٧–٥٧٨.

البساسيري حمو ابن دبيس، الذي جاء لينتزع الأنبار من العُقيليين سنة ٤٤١هـ/١٠٤٩م [١]، في إطار الخصومة مع الشيعة، مع كون وجود صراعاتٍ إقليميّة أُقحمتْ فيها المصالحُ العُقيلية. ففي هذا الاتجاه هـدّدً قُريشُ مدينةَ الحلّة سنة ٤٤٤هـ /١٠٥٢م، وسلب إبلاً وماشية من البساسيري سنة ٤٤٦هـ/١٠٥٤م، قبل طرْده من الأنبار[٢]. أقتُحمت الموصل سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م. وتحالف قريش مع اعدائه السابقين ليدخل عاصمَتها[٣].

هناك سببان اثنان أمليا على قريش سياسته مع هـذين الشيعييَن، الأول: هـو المصلحة الإقليمية لإمارته، والثاني هو بغـداد، من خلال ضغط سـلاطينها السّلاجقة. بعد استيلاء السلجوقي إبراهيم ينّال شـقيق السّلطان على الموصل، لحق العقيليُّ بالبساسيري في الرحبة، وحاول معه انتزاع الموصل من ينّال دون أن ينجحا. فاحتلاّ بغداد حيث أُلقيتْ الخطبة باسم الخليفة الفاطمي وبحسب العبارة الشيعية، ورُفع الأذان بـ (حي على خير العمل)[٤]. لكن

(١) اثير: كامل IX (B) ص ٥٨٦.
(٢) نفسه IX ص ٥٨٦، ٥٩٨، ٦٠٠.
(٣) نفسه IX ص ٦٢٥-٦٢٦.
(٤) قلانسي ص ٨٨.

قريشـــاً لم يتأخر في لبس السواد والإلتحاق بالخليفة تاركاً حليفه لنهايته المحتومَـة [١].

إنه الخوف من القوة السلجوقية هو الذي وضعه في المأزق، وهو الذي تركه يخون حليفه كي ينقذ نفسه ويعود إلى ملكيته.

العُقيليون والسلاجقة:

كانت العلاقات بين العُقيليين والسلاجقة طبيعية، كما كانت مع البويهيين أو أي قوة أخرى جاءت للسيطرة على بغداد لوضع الخليفة تحت وصايتها.

مع استيلاء طغرل بك على بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م لم يُطرح موضوع التّقـرُّب مع هــذه القوة الفتية جديّـــاً. وكان الاتراكُ في خدمة بويهيي بغداد، كذلك في خدمة عُـقيليّ الموصل. فقـد كانوا يتحـــرّكون دون القدرة على تغيير السُّـــلالات الحاكمة.

بدأت المسألةُ التركيةُ تصبح جديّـــةً للعُقيليين على عهد قرواش عندما استولى الغُـزّ، موالي طغرل بك، على الموصل وألقوا الخطبة باسمه. دافع العربُ، وعلى رأسهم

(١) اثير: كامل IX(B) ص ٦٤٢،٦٤١،٦٣٩،٦٣٣،٦٣٠ / قلانسي ص ٨٩.

العُقيليّون، عن مناطقهم، وقاتلوا الغُزّ[١]، متعرضين لصعوبات من جانب الاتراك الذين كانوا في الجيش العُقيلي كما في الجيش البويهي.

حاول العُقيليون الذين شعروا بأهميّة الاتراك استعمالهم للتحرر من القيود البويهية. وفي السنة ٤٣٢هـ / ١٠٤٠م حرّض قرواشُ أتراكَ بغداد ضد جلال الدولة كما رأينا. ولكن وجب عليه التنكّر لهذا المشروع تحت ضغط عُقيل وعدم ثقته بالأتراك.

لكن بداية التكريم العُقيلي للسلاجقة حصل سنة ٤٤٦هـ/١٠٥٤م، عندما سيطر قريش بن بدارن، المختلف مع البساسيري، على الأنبار وألقى الخطبة باسم طغرل بك[٢]، الذي كان يمثّلُ القوة الوحيدة في المنطقة القادرة على الوصول إلى بغداد لوضع الخليفة العباسي تحت وصايتها. كانت وجهة نظر قريش منطقيةً جداً. فجاء في السنة التالية ٤٤٧هـ/١٠٥٥م إلى بغداد لمقابلة السلطان السلجوقي طغرل بك نفسه الذي كان قد احتلّ العاصمة لتوّه[٣].

(١) اثير: كامل IX (B) ص ٣٨٧-٣٩١.
(٢) اثير: كامل IX (B) ص ٦٠٠.
(٣) نفسه IX ص ٦١١.

وللدفاع عن مصالحه، استمرّ قريش بسياسة التقرّب من بغداد، فقاتل مع ابن قطلمش الشيعييَن البساسيري ودبيس دون النجاح بذلك[١]. ثم تصالح قريش مع خصومه لأجل استعادة الموصل، حيث كانت الخطبة فاطمية. ولكن عند قدوم طغرل بك أُعيدت الخطبة السلجوقية[٢]. وإن يكُن قريش قد قاتل ضد السلاجقة بعد سيطرة ابراهيم ينّال على الموصل. ذلك تحديداً لأنّه فقدَ القضيةَ التي لأجلها كان مضّطرا للتقّرب منهم. ولكن عندما أصبح في بغداد مع البساسيري، أقرّ بقوة السلاجقة وخان حليفه بهدف الحصول من السلاجقة على الثقة المفقودة.

لكن شرف الدولة مسلم بن قريش ظلّ الأمير العُقيلي الوحيد الذي وجد أكبر قدرٍ من الصعوبات في علاقاته مع السلاجقة. إذ أنه كان مضطرّا للدوران على محوري الفاطميين والسلاجقة في نفس الوقت للحصول على إمارةٍ مُزدوجةٍ (الموصل وحلب)، أو حتى مثلّثه إذا أخذنا بعين الاعتبار نواياه بالوصول إلى دمشق.

كان مسلم أميراً شيعيا علناً أكثر من باقي العُقيليين.

---

(١) اثير: كامل IX ص ٦٢٥-٦٢٦.

(٢) نفسه IX ص ٦٢٧-٦٢٩.

وكان من المنطقي بالنسبة اليه الاعتراف بالخلفاء الفاطميين الشيعة قِبالة الخليفة السُّنّي العباسي تحت الوصاية السلجوقية. لكنّ السلطان ألب أرسلان، الذي كان يسعى للّحاق به وانتزاعه من دائرة التأثير الفاطمي، استدعاه إلى بغداد سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٦م، حيث تلّقى الخِلَع ومُـدُنـاً في بلاد مابين النهـرين (الانبار، هيت، حربا، البوازيج)(١). ومن المحتمل جدا أنه تزوّج في هذه الفترة من خاتون عمّة ملك شاه (٢) التي عندما ترمّلت، تزوجت من أخيه ابراهيم. بعد هذه المعاهدة اضطرّ مسلم لقتال بني كلاب (الشيعة) في الرحبة، لا لشئ إلا لأنهم كانو من اتباع الفاطميين (٣).

استمرّ مسلم بالتعويل على رضى بغداد. فاجتاح حلب سنة ٤٧٢هـ /١٠٨٠م، متأكدا من مساعدة السلطان ملك شاه ابن ألب ارسلان، و طالباً من بغداد أن تنصبه أميراً مقابل المال(٤). لقد أراد مسلم الاستفادة من التناقضات بين سلاجقة سوريا وسلاجقة العراق، دون أن

(١) اثير: كامل IX (B) ص ٥١ /sobernheim: art مسلم بن قريش E.I.J III ص ٨٠٨-٨٠٩.
(٢) إ بن العديم II ص ٧٦ / بحسب sobernheim هي صفيّة: art. مسلم.
(٣) اثير: كامل IX (B) ص ٧٥.
(٤) نفسه IX ص ٥١ / ابوالفدا: مختصر II ص ١٩٤/طبّاخ I ص ٣٤٤.

ينســى مَدَّ يـده للفاطميين[١].

أغضبت هذه السياسة ملك شاه، الذي أرســل ابن جهير سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٤م [٢] ابتغاء انتزاع سوريا الشمالية والجزيرة من مؤيدي الفاطميين. فهــزم مُســلم ومنصور بن مـروان قـُـرب آمـد. بعــد خيبة أمله، تقرّب مسلم من السلطان ملك شاه، بفضل عمليّة ابن الوزير نظام الملك، وطلب منه العفو راكعاً، فعفا عنه السلطان وأعاده إلى ممتلكاته[٣]، فأكمل نشاطه في سوريا الشمالية، وإن يكُـن قـــد قاتل ابن قتلمش سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م، فقد كان ذلك بإيحاءٍ من ملك شاه ومن دون معارضته. فخسر المعركة لأن التركمان في صفوفه لم يكن لهـم ثقة به، وانقلبوا الى جانب عـــدوّه [٤].

سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م [٥] سيطر تُتُــش على حلب، ثم تركها عند وصول السلطان ملك شاه الذي أخـــذ قلعة سالم بن بدران العُقيلي مقابل قلعة جعبر. وأقــام على حلب قاسمَ

---

(١) اثير: كامل IX (B) ص ١٢٧.
(٢) اثير: كامل IX (B) ص ١٣٦/عديم II ص ٧٥، ٨٤.
(٣) إبن العديم II ص ٨٥/ sobernheim: art. مسلم بن قريش.
(٤) اثير: كامل IX ص ١٤٠ / طبّاخ I ص ٣٥١.
(٥) اثير: كامل IX ص ١٤٨ / ابو الفدا: مختصر II ص ١٩٧/ عديم II ص ١٠٠-١٠٢.

الدولة اق سـنقر المؤسس الحقيقي للامارة الزنكية. في الموصل، خلف ابراهيم أخاه مسلم (٤٧٨هـ/١٠٨٥م-٤٨٢هـ/١٠٩٠م)، فدعاه ملك شاه الى بغداد حيث أُلقي في السجن. وحكم الموصل فخر الدولة ابن جهير. وبعد موت ملك شاه عادت الموصل عُقيلية، لكنها سقطت بيد تُتُش سنة ٤٨٦هـ الذي كان سلجوقياً أكثر منه عُقيليا [١]. بعد السنة ٤٨٩هـ/١٠٩٠م أصبح القادة العسكريون الاتراك أسياد سوريا وبلاد مابين النهرين. يجب أن نفهم أنّ إبراهيم آخر عُقيلي حقيقي في الموصل. ومع مسلم اختفت القوة العقيلية فعلياً.

الملامح الواضحة لتشيع العُقيليين:

حتى الآن، وفي طور البحث عن قواعد وأسباب السياسة العُقيلية، وإظهار كيف أن هذه السياسة في طرفيها المقرّب من الفاطميين والمقرّب من السلاجقة، قد استطاعت عدم مناقضة تشيُّعها الذي سوف يُكشف بشكل أوضح فيما يلي:

إن لم تكن لدينا معلومات تستطيع تأكيد تشيُّع كل العُقيليين، فلدينا على الاقل معطيات أكيدة عن مسلم بن

(١) كانت امه سلجوقية، عمة ملك شاه.

قريش الذي كان «**رافضيّاً خبيثاً يشتم السّلف**[١]».

لسنا نعرف ما كان المقصود بكلمة «**رافضي**» التي تصِف الشيعة كافّة. وفي سبيل الإجابة على التساؤل فيما يخصّ مُسلم نستعرض ما يلي:

بحسب الزركلي[٢]، كان مسلم شيعياً، اضطهد السُّنّة في حرّان، وفكّر بالاستيلاء على بغداد بعد طغرل بك. قبره موجود منذ السنة ٦٥٠هـ تحت قبّة بناها في مشهد الامام الحسن العسكري [٣]. لم يكن مسلم شيعياً بشكل علني فقط، بل ان عامله في حرّان جعفر العُقيلي أعلن بدوره تشيعه، ماجعل السُّنّة وتحديدا الحنبليين في المدينة ينتفضون ضده. اضطر مُسلم لترك كرسي دمشق سنة ٤٧٦هـ ليُعيد إخضاع المدينة [٤]. اضافةً لما قُلنا عن مسلم، هناك مظاهر أُخرى أقلّ وضوحا تعود إليه وإلى قرواش يمكن أن تساعدنا في الكشف عن تشيعهما.

فوزارة أبي القاسم الحسين بن علي المغربي على عهد قرواش، وهو الشخصية الشيعية المعروفة جيّداً سابقاً

(١) طبّاخ I ص ٣٥٤.

(٢) زركلي: أعلام VIII ص ١١٩ B.

(٣) طبّاخ: I ص ٣٥٢.

(٤) إ عديم: II ص ٨٢–٨٣/قلانسي: ص ١١٦.

عند الجرّاحيين والمروانيين، هـذه الـوزارة تنطوي على مغـزىً واضح . نتساءل اذا لم يكن العُقيلي شيعياً اثنى عشرياً فما هو وجـه القبول بهـذه الشخصية الهاربة من الفاطميين، والتي حاولت منافستهم بتنصيب خليفة مُضادّ اثنى عشري؟!

تتضحُ الملامحُ الشيعية الخالصة في سياسة مسلم تجاه سكان سوريا الشمالية الشيعة بمجملهم، فقد فتح أبواب إمارته أمام كل السوريين المضطهدين والهاربين من ظلم تُتُـش [١]. بل وذهب إلى أبعـد من ذلك عندما هاجم الفرق التركمانية التي جاءت لمساعدة تُتُـش لحصار حلب[٢]. ودخوله إلى حلب كان تلبيةً لطلبٍ كلابيٍّ مرداسيٍّ [٣]. ونتساءل عن ماهـيّةِ الدور الذي لَعبه الشريف الحتيتي لتسهيل دخول مسلم الى المدينة؟!

مهما يكن فإن السياسة التي اتّبعها مسلم تفسّر روابطه مع الحلبيين، فقد بدأ يصير شـعبياً بقـوّة: صارت المؤن تُنقَـل وتوزّع في حلب، ابتغاء مساعدة السكان على الصمود أمام الحالة المعيشيّة الصعبة [٤]، وحرّر الشريف

(١) إبن العديم II ص ٦٧.
(٢) نفسه II ص ٦١.
(٣) ابو الفدا: مختصر II ص ١٩٤ / إبن العديم II ص ٦٧.
(٤) إ بن العديم: II ص ٦٩، ٧٣.

الهاشمي الحتيتي[١]. وجاءت الوفود الشعبية إلى حلب لتقديم فُروض الطاعة لمسلم من جبل بُهراء (منطقة شيعية، هي نفسُها ما يُسمّى اليوم جبال العلويين)، من حمص، من أفاميا ومن شيزر[٢]. وعوّضَ على الامراء المرداسيين بإعطائهم مُدُناً صغيرة مثل قلعتي اعزاز وأثارب[٣].

هكذا تظهر السياسة الشيعية لمسلم بن قُريشٍ العُقيلي. ولكن مع بقائه شيعيا فقد أراد التقرّب من ملك شاه السلجوقي، كما رأينا، للحفاظ على الموصل. لكن الحلبيين المنزعجيين من هذا التقرّب أصبحوا عديمي الثقة به، فطالب الشريف الحتيتي كما عرب كلاب بتُتُش دون أن يُريدوه فعلاً[٤].

لكنّ السؤال الأخير الذي يجب علينا طرحه قبل أن نختم قصة تشيع العُقيليين، يتعلّق بنوع تشيّعهم بين الأنواع الأساسيّة الثلاثة للتشيّع. فهل كانوا إثنى عشريين، أم غير ذلك؟

الحقيقة أننا لا نملك معطيات قاطعة يمكن أن تُستعمل

(١) نفسه: II ص ٦٨.
(٢) أيضاً II ص ٧٠.
(٣) أيضاً II ص ٧٠ / sobernheim: art مسلم E.I الصفحة غير مذكورة.
(٤) أيضاً II ص ٧٩، ٨٩، ٩٨.

في هذا المجال. لكن موقع إمارتهم الاقرب الى بغـداد، والقريبة أيضاً من تأثير العراقيين الذين انتقلوا إلى الجزيرة منذ القرن الاول للهجرة، كذلك تاريخ السبعيين / الإسماعيليين الذين لم يستطيعوا الاستقرار في سوريا منذ سنواتهم الاولى، والذين وجب عليهم الالتحاق بشمال افريقيا لتكوين أول كيان سياسي لهم، ومن تاريخ استقرار حسن بن صباح في قلعة ألموت سنة ٨٤٣ هـ.

من كلّ ذلك نستنتج أنّ تشيُّع العُقيليين كان اثنى عشريّاً.

سورياالشمالية والمرداسيين(٣٩٢هـ/١٠٠١م– ٤٧٢هـ /١٠٨٠م).

من الحمدانيين إلى المرداسيين.

– الغلمان (٣٩٢هـ–٤٠٦هـ) بعد سعيد الدولة المتوفى سنة٣٩٢هـ انتهت الامارة الحمدانية فعليّاً. وسيطر على الحكم غلمان الحمدانيين (لؤلؤ وابنه منصور).

أثبت الحلبيّون، الاثنا عشريّون بمعظمهم، أثناءَ حكم آخر الحمدانيين، تنكُّرَهُم لأي نوع من التعصّب والعدوانيةَ تجاه الدولة الفاطمية. كانت الخطبة فاطميّةً والمساهمة بالأموال كانت محترمة. لكن انقلاب لؤلؤ الذي خلفه ابنه منصور،

أظهر فترة من العداوة للاثنى عشريين من خلال:

– طابع حكومتهم المعادي للشعب، فكسبوا حقد الحلبيين (الشيعة [١])، وذلك بتقريب تقريب النصارى واليهود [٢] وإبعاد القبيلة العربية الاثنى عشرية الأكبر: بني كلاب. كانت كلاب تجمع السكان حولها، وبدأت بمعارضة نشطة ابتغاء إعطاء حلب إلى أبي الهيجا أحد أبناء سعد الدولة [٣].

اجبر ثقل كلاب منصور على التفاوض[٤] ولكن بسبب التعلّق بالسلطة نشب الخلاف مجدّدا، فسجن زعماء كلاب [٥]، وعلى رأسهم صالح بن مرداس الذي تمكّن من الهرب وأعاد جمع الكلابين واجبر منصور على التفاوض مرّة أخرى. وكانت النتيجة ذاتها. فما كان من الحلبيين الغاضبين من سياسة منصور إلاّ أن هاجموا مقرّاته وبيوت النصارى واليهود [٦] وأجبروه على الجلاء إلى أنطاكية سنة ٤٠٦هـ.

(١) إبن العديم ا ص ١٩٨.
(٢) نفسه ا ص ٢٠٤.
(٣) أيضاً: ا ص ١٩٩.
(٤) أيضاً: ا ص ١٩٩.
(٥) اثير: كامل IX (B) ص ٢٢٨ / إ. عديم ا ص ٢٠١.
(٦) إبن العديم ا ص ٢٠٩ .

- طابع التقـرّب من الفاطميين لدى حكومة الغلمان، الذين كانت لهم علاقات جيدة مع الخليفة الحاكم، وحصلوا منه سنة ٤٠٤هـ/١٠١٣م على السماح بحكم حلب ومساعـدة حاكمهم على طرابلس ابن حيدره[١].

هذا المظهر يُفسّر على أنه معاداة للتشيع الاثنى عشري. من حيث أنه مرتكزٌ على أهدافٍ نفعيّةٍ من قِبَل الغلمان ابتغاءَ الحصول على الدعم المعنوي والمادي من الفاطميين لحكم حلب واضطهاد السكان الشيعة الاثنى عشريين. لذلك فشلت تجربة الغلمان، لأنهم فقـدوا مساعدة من كان يجب ان يكسبوهم. واثبت الاثنا عشريون قوتهم وجدواهم في اللعب بمصير سوريا الشمالية.

-الفترة الفاطمية القصيرة (٤٠٦هـ- ٤١٥هـ):

إنـما استطاع الفاطميون وضعَ حلب تحت وصايتهم أثنـاء هـذه الفترة، فذلك لأنهم اظهروا أنفسهم شعبيين، وجهدوا في كسب ودّ السكان الشيعة في المدينة.

هذه السياسة الشعبية تظهر من:

- اقتسام حكومة الإمارة بين فتح القلعي قائد القلعة وصالح

(١) اثير: كامل IX (B) ص ٢٢٨/ إبن العديم I ص ١٩٨-٢٠٠.

بن مرداس زعيم بني كلاب [١]. وعندما اصبحت هذه القبيلة مَحظيّة، أكّــدت خضوعها للفاطميين.

- المساعدة والحكم المُتسامح الذي أمّنه الحاكم للحلبيين. فأرسل من جانبه والي طرابلس وصيدا. وأمر الطائي حسان بن مفرّج والكلبي سنان بن عليان بمساعدة حلب[٢].
- إرسال حُكّام قرامطة (شيعة) بعد السنة ٤١٣هـ/١٠٢٢م ابتغاء عدم إثارة السُكان.
- خُضوعُ الخليفة الظاهر أمامَ رغبة بني كلاب، عندما دعمتْ عزيزَ الدولة ضدَّ الفاطميين. أرسل الخليفةُ التفويضَ إلى حاكم حلب ٣ كي لا يفقد المدينة، وبانتظار اللحظة المُناسبة لكسب السُّكّان. حصل ذلك بعد فكرة إرسال القرامطة إلى المدينة.

تُظهرُ هذه الفترة مرةً أُخرى أهميّةَ سُكّان حلب في سياسة مدينتهم. هو ذا ما يُفسّرُ من جهةٍ لينَ الحكومة الفاطميّة، ومن جهةٍ أُخرى هذه المُنافسة بين الإثنى عشريين والسّبعيين في كلّ المنطقة.

---

(١) إ بن العديم ا ص ٢١٣.

(٢) نفسه: ا / ٢١٤-٢١٥.

٣ نفسه: ١: ٢١٦ ١٩.

لكنّ المرداسيين، الذين كانوا منذ نهاية العصر الحمداني يحلمون بأخْذ السُلطة، توصّلوا في نهاية هذه الفترة إلى تحقيق حُلمهم، مُستفيدين من السياسة الفاطميّة ومن قوّة كلاب، التي عـرفت حتى الآن كيف تلعب، وكيف تقدر أن تحلّ في النهاية محلّ تغلب.

٥- التشيع في سوريا الشمالية في عصر المرداسيين (٤١٥هـ/١٠٢٤م - ٤٧٢هـ/١٠٨٠م).

أ- تشيُّع المرداسيين:

بالنسبة للمؤرخين الشيعة الحديثيين والمعاصرين، فإن المرداسيين هم سُلالةٌ عربية شيعية. هذا كان رأي محسن الأمين وابنه حسن [١] من بين آخرين، دون أن يعرضوا لنا المعطيات التي من خلالها بنوا رأيهم.

سوف يكون عملُنا على هذا الموضوع هو أن نعكسَ المَظاهرَ الشيعية البارزة للسياسة المرداسية. ذلـك قبلَ أن نعالج موضوع سكان إمارتهم.

ب- المرداسيون والفاطميون:

تركت السياسة الفاطمية في سوريا، التي أخذت طابعاً

(١) م. الأمين: خطط ص ٦٨، ح. الأمين: بنو مرداس، العرفان ١٩٦٤ مجلّد ٥٢ ص ٦٥٥.

نفعياً متقدّماً جــداً، والتي كانت جديرةً بدولة تبحث عن مصالحها ونفوذها دون أدنى اعتناء باعتباراتٍ معنويّة، سياسةَ الصراع مع الحكام الشيعة في سوريا (الجراحيين، الحمدانيين....) وسياسةَ التقــرّب من الحكام المناهضين للشعب والمناهضين للشيعة (غلمان)، تركت هذه السياسة المرداسيين عديمي الثقة بعلاقتهم مع الفاطميين، دون المسّ بالخطبة الفاطمية.

ماعدا قلّة الثقة بالفاطميين، دخل المرداسيون في صراع معهم لعدة اسباب. نذكر بعضاً منها:

١- وجودُ حاكم فاطمي طموح أراد إخضاعَهم لمصالحه الخاصة: هكذا كان حال الدزبري الذي وضع نهاية سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م لنصر بن صالح (٤٢٠هـ/١٠٢٩م-٤٢٩هـ/١٠٣٧م) للإعتماد فيما بعد على الاتراك ابتغاء الابتعاد عن الحكومة الفاطمية المركزية [١]. وأثار الدزبري نفسه خلافا مع ثمال بن صالح من خلال وضعه له شروطا مادية صعبة ليترك له حلب [٢]

(١) اثير: كامل VIII (A) ص ٢٦١ / ابو الفدا: مختصر II ص ١٦٥-١٦٦/إعديم I ص ٢٥٠.
(٢) إبن العديم I ص ٢٥٩.

٢- مساهمة المرداسيين بخزينة الدولة الفاطمية[١].

أرسل المستنصر قائدين بوجه المرداسيين هما الحمداني ناصر الدولة ورفق الخادم [٢]

ج- الضغط الكلابي:

كانت هذه القبيلة القوة الوحيدة القادرة على الكلام باسم سوريا الشمالية في ذلك الوقت.

وكان الفاطميون، من خلال تحالفهم مع الغلمان أوّلا، ثم من خلال حكمهم المباشر لحلب، قد أذابوا الكلابيين من مسرح المنطقة.

وللعودة إلى المسرح، دعمتْ هذه القبيلة صالحاً بهدف السيطرة على السلطة. ويمكن أن نفسّرَ التحالف مع القبائل العربية الأخرى ضد الفاطميين ضمن هذا الإطار. فدفعَ صالحُ حياتَه ثمناً لمُعارضة الفاطميين في معركة الأُقحوانة[٣].

أمّا الصراع بين محمود بن نصر والفاطميين فقد كان على قاعدة دعم الكلابيين لمحمود [٤] في محاولاته لإعادة تكوين الامارة المرداسية البحتة.

(١) نفسه ا ص ٢٥٩ ،.٢٦٣

(٢) نفسه ا ص ٢٦٣، ٢٦٦.

(٣) إبن العديم: ا ص ٢٣١.

(٤) نفسه ا ص ٢٧٧، ٢٩٣ – ٢٩٤.

ما عدا كل ذلك، فقد حاول المرداسيون عدمَ قطْعِ التواصل مع الفاطميين. فأرسل نصر بن صالح الهدايا الى الخليفة الظاهر، واستقبل مبعوثين من قبله [١]. سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م دخل ثُمال إلى حلب مع تواقيع وتكريم الخليفة المستنصر [٢]. ثم بعد خلاف أساسُهُ المال، عادت الهدايا تُرسل إلى القاهرة وعادت التكريمات تُرسل الى حلب [٣]. سنة ٤٤١هـ/١٠٤٩م، قبلَ الخليفة مقايضة ثُمال حلب مقابل بيروت وعكا وجبيل [٤]، مفضّلا بذلك الابتعاد عن التأثير الكلابي، ولاجتناب مواجهة جيش فاطمي يبدو من بعيد متفوّقا على جيشه [٥].

بالرغم من الصراع بين محمود بن نصر والفاطميين ابتغاء السيطرة على حلب، فقد أبدى رغبته بعدم الوقوف بوجه الفاطميين، وبأن الخلاف كان مفروضاً عليه، مُطلقاً المساجين الفاطميين، وعلى رأسهم ابن حمدان ورافق[٦].

إنّ عدمَ ثقة المرداسيين بالفاطميين توازنت مع عدمٍ ثقةٍ

(١) نفسه: I ص ٢٤٧-٢٤٨.
(٢) أيضاً: I ص ٢٦٠، ٢٦٢.
(٣) نفسه: I ص ٢٦٧-٢٦٩.
(٤) نفسه: I ص ٢٧٣.
(٥) اثير: كامل IX (B) ص ٥٦٠.
(٦) اثير: IX ص ٢٣٣ / إ عديم I ص ٢٨٠.

فاطميّة. وبعـدما أخذ محمود حلب، اضطر ثُمال إلى ترك حكم مُـدنـه الساحلية الثلاث ضمن خطّةٍ فاطمية تقضي بعدم ترْكِ سوريا الشمالية والساحل اللّبناني[١] بإيدي المرداسيين في وقتٍ واحد. كان ذلك منطقياً. حيث أنّ هذه المناطق كانت مسكونة بغالبيةٍ شيعيةٍ اثني عشرية.

إنّـنا إذا كنا نشهدُ بشكلٍ واضحٍ جداً في تاريخ المرداسيين هذا الخلاف مع الفاطميين، فإنّمـا لأن مصالحهم بالتحديد قد تهـدّدت، ومعتقداتهم الدينية قـد نـأت بغياب قـوةٍ ثالثة يمكن أن تأتي لتتحـــدّاهم على هذين الصعيدين في نفس الوقت.

شجّع عطية بن صالح (٤٥٤هـ/١٠٦٢م - ٤٥٧هـ /١٠٦٤م) تسرّب التركمان نحو الشام. فساند المستنصرُ محمود ضد عطية مع إعطائه لقب عضد الدولة[٢]. اعتباراً من عطية افلتت سوريا الشمالية من التأثير الفاطمي. ووجب عليها الدخول، كما كان الحال في عدة مناطق، في إطار التأثير التركي. صار الدور المرداسي صعباً، فألقوا بأنفسهم بين أذرع العُقيليين بعد عشر سنوات من اعتراف الخليفة

(١) اثير: كامل IX (B) ص ٢٣٣ / إ عديم I ص ٢٨١/ ابن يحيى: بيروت ص ١٦.

(٢) إ بن العديم: I ص ٢٩٥، ٢٩٧.

العباسي والسلطنة السلجوقية.

د- المرداسيون والاتراك:

تقع بداية العلاقات المرداسية- التركية مع عهد عطية بن صالح، الذي كان على خلاف مع محمود. فطلب الأولُ من ديار بكر إرسال القائد التركي ابن خان، الذي جاء للإقامة معَ ألف من أنصاره في منطقة حلب. كان ذلك الدخولَ الاولَ للأتراك إلى الشام (١). كان مسلك المرداسيين تعسفياً، وبدون رؤية واضحة للوضع المتأتّي عن ذلك. من هنا كان انقلابهم على الاتراك (٢). الاعتراضُ المرداسيُّ على طلب ابن خان العون (٣). قُـدّم هذا الرأي من قبل محمود.

لكن محمود استعان بدوره بالاتراك أنفسهم كي يطرد عمّه من حلب (٤). فنجح بالإستيلاء على حلب. والاتراك الذين كانوا حتى الآن يُستخدمون في القضايا المرداسية، بدأوا يكسبون أهمية تمكنّهم من فرض انفسهم على المرداسيين. دخل هارون بن خان معرّة النعمان، وبدأت الفرق التركية صراعا مع البيزنطيين سنة ٤٥٩هـ داخل

(١) إبن العديم ا ص ٢٨٤-٢٩٥.
(٢) نفسه:ا ص ٢٩٥.
(٣) نفسه: ا ص ٢٩٥.
(٤) نفسه: ا ص ٢٩٥-٢٩٦.

الأراضي البيزنطية وفي منطقة إنطاكية. قبل أن تعرف حلب صراعا حلبياً - تركيا [١].

كان استخدامُ الاتراك مُمكناً في البداية. ولكن مع وجود أتراكٍ في الإمارة، الى جانب قُوّةٍ تركيّةٍ في بغداد أصبح وضعُ المرداسيين دقيقاً. تجاه هذه المُتغيّرات، دخل محمود في مراسلاتٍ مع السلطان ألب أرسلان، ولبس المؤذّنون والخطباءُ السّواد في حلب. ثم في السنة ٤٦٢هـ أُلقيت الخطبةُ باسم الخليفة القائم والسلطان السلجوقي معاً، مع تبرير هذا القرار بأنّه يأتي في إطار مصلحة سكّان حلب الشيعة الاثنى عشريين، كي لا يتلقّوا ظلمَ الغُزاة السّلاجقة السُّنّة [٢]. هكذا أنقذتْ سياسةُ محمود حلبَ من ألب ارسلان الذي حاصر المدينة سنة ٤٦٣هـ، والذي اكتفى فيما بعد بملاقاة محمود، مُعطياً أيّاه التواقيع السلجوقيّة للمدينة [٣].

استمرّت سياسةُ المرداسيين بالتقرُّب من السلاجقة ابتغاء المحافظة على أنفسهم، مع محمود الذي نفّذَ أوامر

---

(١) نفسه: II ص ٩-١٦.

(٢) اثير: كامل IX (B) ص ٦٣/ إ عديم II ص ١٦-١٨/قلانسي ص ٩٨.

(٣) إبن العديم II ص ٢٣.

السلطان سنة ٤٦٤هـ، وتمثّل بابن منزو الكُتامي في منطقة دمشق. في السنة ٤٦٨هـ حاصر طرابلس. ولم يرفع الحصار عنها إلاّ مقابل مبلغ من المال [١]. دون أن ينسى في الأوقات الحرجة طلبَ المساعدة من القادة الأتراك في فلسطين مثل أتسِز وقرلو[٢].

لكنّ الوُجودَ التركي فقد معناه بالحفاظ على المرداسيين، فبالإضافة إلى التناقضات الدينية، كان هناك مصادر أُخرى للخلاف، فانفجر على عهد محمود [٣] ثم **«نصر»**و**«سابق»**[٤].

في هذه الفوضى في حلب، أصبح المرداسيون غير قادرين على السيطرة على الاتراك [٥]. وفقدوا في الوقت عينه ثقةَ الحلبيين، فحاولوا طلبَ ملك شاه، ما دفع مسلم بن قريش إلى احتلال حلب وإزاحة المرداسيين.

مهما يكن، فإن المرداسيين حاولوا استعمال قوّتِهم الفتيّة. لكن بعد فترة من الوقت، وجد أمراءُ حلب أنفسَهم

(١) أثير: كامل IX (B) ص ٢٣٤.
(٢) ابن العديم: ٢ / ٢٣.
(٣) إبن العديم II ص ٣٢.
(٤) اثير: كامل Ix (B) ص ٢٣٤/إبن العديم II ص ٤٩،٥٣.
(٥) إبن العديم II ص ٥٣.

مُجبرين على أن يكونوا مُقرّبين من الأتراك، ثم بشكل أخصّ التقرّب من السلاجقة. لم يكن ذلك حالةً استثنائيّةً بالنسبة لهم. فكّل المنطقة كانت تتلقّى الضغط نفسَه ضمن تحوّل جديد سياسي أوّلاً ثم فيما بعد عقائدي.

هـ - بنو كلاب والمرداسيون:

منذ بداية حكمهم، كان المرداسيون، المتفرّعون من كلاب، مرتبطين بهذه القبيلة بشكلٍ ضيّق، واستفادوا من قوتها بهدف إقامة إمارةٍ مرداسيةٍ - كلابيةٍ خالصةٍ في سوريا الشمالية. وكان صالح بن مرداس أوّلَ مَن مشى مع قبيلته من بلاد مابين النهرين إلى حلب، حيث استقرّوا بشكلٍ صلب [١] . فكّرَ صالحُ بعد عدّة سنوات باقتسام سورياً بين كلاب وطيء [٢]. لكن مشروعه فشل في الاقحوانة سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م.

ظلّ الكلابيون الاثنا عشريون (عالجنا هذا الموضوع في مطاوي هذا العمل)[٣] السندَ الوحيدَ المُجدي للمرداسيين في منطقة حلب:

(١) M.Sobernheim:art صالح بن مرداس. IV ص ١١٧ A.

(٢) إبن العديم I ص ٢٢٣.

(٣) انظر ايضا c.cahen ملاحظات حول اصول النصيريين ص ٢٤٤..

١- تدّخُّل قادةٌ كلابيون لحلّ الصراع بين الأخوين المرداسيين شبل وثمال [١] بهدف تقوية حكم هذه القبيلة وإبعاد الغشاشين.

٢- دعْم الكلابيين للمرداسيين أثناء المخاطر الخارجية التي أتت من البيزنطين أو من الفاطميين [٢].

أمّا المساعدة الكلابية تجاه الخطر التركي، فقد كانت مُهمةً جداً. ذلك أنّهم دعموا محمود ضدّ عطية المعتمد على التركمان [٣]، ووثّاب ضد أخيه سابق [٤]. وإن يكُن محمود قد ألقى الخطبة العباسية عن مصلحة وعن رؤية واضحة للأمور، فقد وجب عليه دائما الإتكال على كلاب في كل مرّة أراد فيها التخلّص من الأتراك [٥].

كان الخلاف بين بني كلاب وثُمال على قاعدة المصالح الاقتصادية. فثُمال، الذي كان يغتني من مساعدة هذه القبيلة، رفضَ اقتسامَ العائدات معها. فترك حلب نحو الساحل اللبناني - الفلسطيني ليكون بعيداً عن كلاب، الذين أثبتوا

---

(١) إبن العديم I ص ٢٣٩.
(٢) نفسه I ص ٢٤٠-٢٧٥،٢٦٦،٢٤١-٢٧٧.
(٣) أيضاً I ص ٢٩٣-٢٩٥.
(٤) أيضاً II ص ٥٤.
(٥) أيضاً II ص ٥٤.

مــرّةً أُخرى أهميتهم وتأثيرهم على منطقة حلب. ما اضطرّ السلطان السلجوقي ألب ارسلان إلى التقرّب منهم [١].

ترافق الدّعــمُ الكلبي للمرداسيين مع دعم يماني، على رأسه طيء وكلب [٢]. كل هــذا يدعــم البحث، ويؤكد تشيّع المرداسيين.

و- المرداسيون والحلبيون:

كان سكان حلب أيام الحكم المرداسي للمدينة موضعَ تساؤل مع بداية قدومهم، وإن يكُـن وصولهم للسلطة من عمل بني كلاب، كما غالبية الحلبيين الذين نجحوا باحتلال القلعة [٣].

أخطأ المرداسيون في تقييمهم لموازين القوى في حلب. فقد وقفوا إلى جانب الطبقة الميسورة في المدينة وعلى رأسهم التجار، واضطهدوا الأحداثَ فيها[٤]، الذين كانوا على علاقة قوية مع الطبقات البائسة. فاتّخذ الصراع أبعاداً اجتماعيّة وسياسية. واعترضت الطبقة الشعبية على المرداسيين بمساعدة من الفاطميين، الذين كانت

---

(١) أيضاً II ص ٢٢.

(٢) نفسه I ص ٢٦٦، ٢٧٨/ حتي: سوريا II ص ٢١٤.

(٣) إبن العديم: I ص ٢٨٨-٢٢٩.

(٤) نفسه: I ص ٢٤٩،٢٥٥-٢٥٦.

لهم مصلحة في كسر الطبقة الميسورة في المدينة بهدف السيطرة على ثرواتها.

لذلك أتبعتْ معارضةَ نصر بن صالح (٤٢٠هـ/١٠٢٩م–٤٢٩هـ/١٠٣٧م) للأحداث بتدخل الدزبري[١]. وتقرّب ثُمال (٣٢٩هـ /١٠٣٧م–٤٥٤هـ/١٠٦٢م) من التجار قدّم المدينة للفاطميين[٢].

لكن ثُمال لم يتأخّر في سلوك الطريق السليم لحكم حلب، مُعتمدا على الطبقة الشعبية. ويفسّر دعم الخليفة الفاطمي المستنصر[٣] في أعين الطبقة الشعبية نوعاً من الابتعاد عن أغنياء حلب. فاحتلّ ثُمال المدينة بمساعدة الأحداث وسكانها[٤]، وأصبح المرداسيون حكاما شعبيين. واجه الحلبيون ناصر الدولة بن حمدان الذي أتى لاحتلال المدينة من قبل الخليفة الفاطمي، علماً بأن الطبقة الميسورة كانت تُثير عدم ثقة ثُمال[٥].

كانت العلاقات بين الحلبيين والمرداسيين وثيقة. فقد

(١) نفسه: I ص ٢٥٠.

(٢) نفسه: I ٢٥٦.

(٣) نفسه: I ص ٢٦٠.

(٤) اثير: كامل IX (B) ص ٢٣١/إعديم I ص ٢٦١.

(٥) اثير: كامل IX ص ٢٣١/إ.عديم I ص ٢٦١.

اصطدم الأولون بالحكام الفاطميين من سنة ٤٤٨هـ حتى ٤٥٤هـ، وطالبوا بقدوم محمود بن نصر إلى مدينتهم. هذه الحركة قادها الأحداث ضد الوجود الفاطمي والمجتمع الراقي في المدينة [١].

يبدو أن التجار في هذا العصر قد تحالفوا مع باقي السكان، لأن الحاكم الفاطمي ابن ملهم حاول مهاجمتهم ومهاجمة «**الأحداث**»[٢].

ضاع الأحداث في الصراع الذي واجه ثُمال ومحمود ووجدوا أنفسهم معّرضين لتلقّي عقاب الاثنين معا [٣]. فخلصوا إلى الاستدارة باتجاه البيزنطيين [٤]، وأن يُشتَروا بالمال من قبل المرداسيين غير المحبوبين من الطبقات الشعبيّة (عطية) [٥].

لكنّ فرعاً من السُلالة المرداسية كسب ثقة الحلبيين، ونجح في إقناعهم بقبول الخطبة العباسية - السلجوقية، كي لا ينتقم السلاجقة منهم. كان يُمثّل هذا الفرع نصر بن

(١) اثير: كامل IX ص ٢٣٢ / إ. عديم I ص ٢٧٦-٢٧٧.
(٢) إبن العديم: I ص ٢٧٨.
(٣) إ بن العديم: I ص ٢٨٠-٢٨٦، ٢٨١.
(٤) نفسه: I ص ٢٨٧.
(٥) اثير: كامل IX (B) ص ٢٣٣ / إ عديم I ص ٢٩٤-٢٩٥.

محمود (٤٦٧هـ/١٠٧٥م–٤٨٦هـ/١٠٧٦م) من خلال إحسانه تجاه الحلبيين و«**الأحداث**»[١].

اصبحت العلاقة بين المرداسيين و الحلبيين، وبالأخص الطبقة الشعبية فيهـا، وثيقة جدا. فقد تمكن المرداسيون بعد بضع سنوات من قدومهم من كسب ثقة الحلبيين حتى في الأمور الدقيقة كتغيير الخطبة. ولجأ أُمراؤهم إلى الشعب عند كل أمـرٍ مُشكل، واثقين من أن بقاءَهم كان مرهوناً بشكل وثيق بموافقة السكان.

ز– ملامح أخرى من تشيّع المرداسيين:

بعد كل ما كشفنا من مظاهر التشيّع في السياسة المرداسية، يبقى أن نُضيف الملامح التالية إلى سياستهم، التي يُمكن أن تكون مُعبّرةً ومفيدةً للبحث.

– سياسة ثُمال مع البساسري الهارب من طغرل بك، فقد أرسل له المال في الرحبة وقدّم له كل علامات التكريم[٢].

٢– السياسة الدينية المتسامحة تجاه النصارى. فقد أتخذ صالح وزيرا نصرانيا (تادرس) وحمى النصارى من تعصّب المسلمين. كما أنّ ابنه نصر أتّخــذ أيضا وزيراً

(١) نفسه: اا ص ٤٥.

(٢) إبن العديم: ا ص ٢٧٠.

نصرانياً (المؤمل بن يوسف الشماس)[١].

٣- بناء الخزّان الشمالي لمشهد الدكّة[٢] في جبل الجوشَن.

ح- سُكّان الإمارة المرداسية:

إعتبارا من الحقبة الحمدانية، صار التشيّع الاثنا عشري مُعترفاً به رسمياً في سوريا الشمالية، والتحق السكّان بشكلٍ جماعيٍّ بهذا المذهب[٣]، الذي ظلّ قائما لفترة قرن من الزمن قبل أن يتعرض للتعصب الزنكي والأيوبي الذي وضع حدّا للانتشار الشيعي في حلب تُظهر بعض المعطيات التاريخية بشكل مُعبّر تشيّع الحلبيين:

- حُلم ابن ابي نمير سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م خلال حصار حلب من قبل البيزنطيين، فقد رأى في المنام الإمام علي باللباس الأخضر مُشاركاً بالدفاع عن المدينة، ما شجع المحاصرين في اليوم التالي على مضاعفة قواهم[٤].

-تصّرف الطبقات الشعبية الحلبيّة في أعقاب الخطبة العباسية سنة ٤٦٢هـ. فقد نزعوا حُصر المسجد قائلين أنها حُصُر علي. ومن أراد حُصُراً فما عليه إلاّ أن يطلب

(١) نفسه: I ص ٢٣٢-٢٣٨، ٢٣٤.

(٢) ابن شداد: أعلاق (حلب) ص ٤٩ / شحنا: درر ص ٨٧.

(٣) J.Sauvaget: art، III E.I ٢ halab ص ٨٨ B.

(٤) إبن العديم I ص ٢٤٣.

من أبي بكر وعمر أن يأتيا بحُصُرٍ مشابهة [١].

- معلومات تعود إلى العام ٤٤٠هـ/١٠٤٨م تقول أنّ فقهاء حلب كانوا يصدرون فتاوى بحسب المذهب الإمامي[٢].
- رفْضُ السكّان ومعارضتُهم للوجود التركي السُّنّي في سوريا. وكان ذلك ظاهراً في المعرّة حيث استُقبل المؤيدون الألف لهارون بن خان بشكل سيء، ممّا اجبر محمود بن نصر على طلبهم إلى حلب [٣]. عندما دخل الأتراك إلى حلب وكفرتاب وحماة وحمص ورفنيّة سنة ٤٦٢هـ، أثاروا استياء السكان [٤].
- محاولة محمود إقناع الحلبيين بقبول الخطبة العباسية تُثبت درجة عدائهم للسنة وحاكمهم لِما تبقّى سوريا الشمالية أرض الشيعة الاثني عشريين فقط، بل أصبحت أيضا مركز الجَذب لديهم.

وبحسب الطويل [٥]، جاءت مجموعة من الاثنى عشريين

(١) نفسه:II ص ١٨.
(٢) ياقوت: معجم II ص ٢٨٣B / طباخ I ص ٣٣٣.
(٣) إ بن العديم: II ص ٩-١٠
(٤) نفسه: II ص ١٦.
(٥) علويون ص ٢٣١-٢٣٢.

من شبه الجزيرة العربية وعلى رأسها حسان بن سرحان الدريدي التميمي للاستقرار من تخوم حرمون في منطقة جبل الحلو حتى حماه في عصر العزيز. كانوا اقوياء وفرضوا غرامات مالية على سكان هذه المنطقة. تفاهموا مع البويهيين والسوريين دون أن ينجحوا في إخراج الفاطميين من سوريا أو من مصر.[هذه الرواية موضع ريبكبير لسببين، فلا الجزيرة العربيّة أنبتت شيعة في تاريخها، ما عدا شرقيّها، ولا بني تميم عُرفت بميولها الشيعيّة (المهاجر)]

مهما يكن، فأن هؤلاء السكان الشيعة الاثنى عشريين في سوريا الشمالية كانوا موجودين قبل نهاية المرداسيين على أيدي السلجوقي تُتُش، الذي اغتصب المناطق الشيعية في جبل السُّماق، وقتل السكان كما فعل في المعرّة وكفر تاب. وأخلى كل المنطقة من المعرّة حتى حلب وكذلك إنطاكية[1]. في هذه الأجواء القمعي حلّ التسنّن مكان التشيّع في سوريا.

كانت المرداسية في سوريا الشمالية امتداداً للحمدانية. واستمرت المنطقة اثنى عشرية ومؤثرة على حُكامها، مع مواجهة الدرزيّة في جبل السّمّاق[2].

(١) إبن العديم: II ص ٦٦-٦٧.

(٢) نفسه: II ص ٢٤٨-٢٤٩، محمد كرد خطط I ص ٢٥١.

مهما يكن، فإنه يبدو لي من الضروري القول بأن الشيعة كانوا موجودين في سوريا الشمالية في القرنين العاشر والحادي عشر. وهذه حقيقة واضحةٌ جـدّاً بعد الرجوع إلى المصادر والدراسات اللاحقة (القرن الثاني عشر) لفترة عملنا. هذا إذا تركنا النتائج التي توصّلنا إليها.

من خلال كتاب «**سوريا الشمالية**» لكلود كاهن[١] نـرى وُجوداً شيعياً في مناطق كانت مُهـيّئـةً جيداً في العصور السابقة لتكون مسكونة من قبل الشيعة خاصة. وأن هؤلاء كانوا موجودين، ولم تكن هناك احداثٌ تمنع وجودهم من هنا، فإن وجودهم هو مؤكّد وهو استمرارٌ لِمـا قبله.

٦- إمارة بني عمّار في طرابلس (٤٦٢هـ/١٠٧٠م- ٥٠٢هـ/١١٠٩م)

إنّ وصول بني عمار الكُتاميين [كذا ! وهو وهمٌ شائع. وقد سجّلنا فيما سبق مُلاحظةً على ذلك. وانظر أدنى (المهاجر)] الذين توجّهوا نحو سوريا بعد عُلوّ شأن القائد الكُتامي الحسن بن عمّار في البلاط الفاطمي. قاد سليمان بن فلاح جيشاً كُتامياً شيعيّاً بغالبيته. وأسكن كُتامة في كلّ سوريا.

---

(١) C.CAHEN : سوريا الشمالية....ص ١٨٨-١٩٠.

في طرابلس أخذ علي شقيق سليمان مكان جيش ابن الصمصامة، لكن انقلاب الأوضاع في مصر ضد كُتامة كان له تأثيره في سوريا فأبعد الفاطميّون علي.

إذا كان بنو عمّار قد أُبعدوا لأكثر من نصف قرن عن المسرح السياسي الظاهر للمدينة، فأنهم ظلّوا مؤثّرين بانتظار الوقت المناسب للقفز إلى الصف الأول. كان ذلك سنة ٤٦٢هـ حين ضعفت الحكومة المركزية الفاطمية، فاستولى بنو عمّار على طرابلس، وأعلنوا استقلالهم، كما كان حال ابن أبي عقيل في صور، وبني صليحة في جبلة. [هناك التباسات كثيرة في هذا السّرد غير المُسنَد، كما يُلاحظُ القارئ، سنراه بأشكالٍ مختلفة فيما سيأتي من البحث. ومن الثابت عندنا أنّ بني عمّار الطرابلسيين هم عربٌ أقحاح من بني طئ. وقد أثبتنا ذلك بما لا يدعُ مجالاً للريب في كتابنا (شيعة لبنان) الفصل المُخصّص لطرابلس (المهاجر)].

أ- تشيّع بني عمّار:

لدينا معطيات تاريخية أكيدة تؤكد تشيّع بني عمار: تشيّع مختلف عن تشيع الفاطميين. وهذا يجعلنا نعتقد أنه كان اثنى عشريا كما كان سكان طرابلس ومنطقتها في ذلك

العصر[١]. إذا كان الفاطميون قد أبعدوا كُتامة عن السلطة السياسية في سوريا، فالظاهر أن هذه القبيلة استمرّت بالتاثير على المنطقة وخاصة طرابلس على الصعيد الديني الذي لا ينفكّ أصلاً عن المسائل السياسية لذلك العصر. فبنوعمّار كانوا القضاة الشيعة للمدينة ابتداء من سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م. ذلك كان حال أمين الدولة أبو طالب الحسن [صحّحْ: عبد الله (المهاجر)] بن عمّار الذي كان فقيهاً بحسب المذهب الشيعي، وكان يقوم بمهام القاضي الشيعي في المدينة [٢]. مصدرٌ آخَر يمكنه أن يعطينا معلومات حول هذه النقطة: بحسب (النجوم الزّاهرة) لأبي المحاسن [٣]. فقد كان لأبي طالب الكثير من الإحسان للعلويين.

لا نملك معطيات دقيقة عن تشيّع العمّاري الثاني أبي الحسن بن علي بن محمد بن عمّار (٤٦٤هـ/١٠٧٢م- ٤٩٢هـ/١٠٩٨م). لكن يمكن أن نستنتج ذلك من خلال سياسته تجاه محمد بن عبد الله بن منصور (ابن صُليحة)، قاضي جبلة، الذي ألقى خطبةً عباسية. هذا القرار أغضب

(١) إن التشيّع الاثني عشري لسكان طرابلس اثبتته بشكل قاطع رحلة ناصر خسرو.

(٢) ابن شداد: اعلاق (لبنان، الأردن.....) ص ١٠٧، sobernheim: art ابن عمار E.I.II ص ٣٨٢ B.

(٣) ابو المحاسن يوسف: نجوم V ص ٨٩.

جلالَ المُلك وأمر بإعلان الحرب على ابن صُليحة. فما كان من هذا الأخير إلا تسليم جبلة للسلاجقة، وطلبَ مساعدة «**دقاق**»، وسلّم المدينة إلى «**بوري بن طغتكين**» سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م مع التوجه إلى دمشق ثم إلى بغداد[١].

كان حكم العمّاري الثالث، أبي علي فخر الدولة عمّار بن محمد (٤٩٢هـ/١٠٩٨م-٥٠٢هـ/١١٠٩م) قصيراً ومليئاً بالأحداث المُهمّة جـدّاً في تاريخ المنطقة وعلى رأسها وصول الصليبيين.

وجد فخر الملك نفسه وقد استوعبته مهامٌّ ثقيلة. كذلك المؤرّخون الذين حاولوا معالجة هذه الحقبة. لذلك نجد أنفسنا أمام غيابٍ للمعلومات حول تشيعه، إن لم نلجأ إلى تحليل سياسته الداخلية والخارجية، هذا ما سنبحثه لاحقا. لكن غياب المصادر ليس كاملاً لأن القلانسي[٢] صنّف بني عمّار «**بشيعة طرابلس**» وهو يتحدّث عن الإغارة الطرابلسية على حصن سانت جيل Saint Gilles.

ركّزَ معظمُ المؤرخين الحديثيين والمعاصرين على

(١) اثير: كامل IX ص ٣١٠-٣١١.

(٢) قلانسي: ص ١٤٦.

تشيّع بني عمار. فبالنسبة لفيليب حتّي [١] جعل قدومَهم من طرابلس مركز ثقافة شيعية. لكن بالنسبة للسيد محسن الأمين [٢]، فهم مجرد شيعة.

مهما يكن، فإن بني عمار قد خدموا كثيراً التشيّع الاثنى عشري من خلال المدرسة الشهيرة: «**دارالعلم**» التي أسّسها أمينُ الدولة، والتي تخصصّت بالدراسات الإسلامية: كلام، تفسير، حديث.... [٣] بحسب وجهة النظر الشيعية بالتأكيد. إلى جانب هذه المدرسة، فإنهم قد أعادوا إنشاء مكتبة غنية[٤] تحتوي على مليـون مجلد بحسب ابن شدّاد[٥]، وثلاثة ملايين مجلّد بحسب ابن أبي طيّ [٦].

ويبدو الرقم الأول منطقيا أكثر إذ أن أكبر مكتبة في ذلك العصر كانت مكتبة الخليفة الفاطمي الحاكم ولم تكن تحصي هذا العدد من المجلّدات: والمؤرخ Sobernheim هو من

(١) فيليب حتّي: سوريا II ص ٢٣٢.

(٢) م. الأمين: اعيان I قسم II ص ٢٥٩.

(٣) ابن شداد: اعلاق (لبنان) ص ١٠٧/sobernheim: art ابن عمار E.I.II ص ٣٨٢ / B quatremere ص ٥٠٦–٥٠٧.

(٤) كانت توجد مكتبة قبل مجيئهم وقد جذبت ابا العلاء المعري من بين آخرين: طباخ IV ص ١٣٨.

(٥) ابن شداد: اعلاق (لبنان)ص ١٠٧.

(٦) كاترمير / ٥٠٦ ٥٠٧، عن مخطوطة لابن الفرات.

هذا الرأي [١]. كما كانت تضُـمّ أكثر من مئة خطّاط ينسخون الكتب المهمة (يتناوب ثلاثون خطاطا بشكل دوري على البقاء في المكتبة)، وعدداً مُهمّاً من الرجال المتخصصين بشـراء الكتب من كل الدول [٢] بهدف إغناء هذه المكتبة. وقـد وضعتْ السيطرةُ الصليبيةُ على هذه المدينة نهايةً لهذه المكتبة [٣].

هذه بعض المظاهر التي يمكن أن تبرهن تشيّع هذه السُلالة العربية. يمكن لملامح أخرى من سياستهم أن توضحَ تاريخهم مع التركيز على الجوانب المؤيدة للتشيع وتبرير الجوانب الأخرى.

ب – بنو عمار والفاطميون:

لم يكن الخلاف بين خلفاء القاهرة وحُكّام طرابلس إلاّ امتداداً للخلاف الذي بدأ مع الحسن بن عمّار في مصر. يمكن لنا أن نتساءل إن كان هذا الصراع مواجهة بين الاثنى عشريين والسبعيين / الإسماعيليين؟!. حافظ ابنُ عمار على قيادةٍ دينيةٍ في طرابلس أيام الفاطميين، دون أن يستطيع

(١) M.Sobernheim: art ابن عمار E.I II ص ٣٨٢ B.

(٢) Quatremere : ص ٥٠٦–٥٠٧ عن مخطوطة لابن الفرات.

(٣) اثير: كامل X ص ٤٧٥–٤٧٦ / قلانسي: ص ١٦٣..

الفاطميون الذهاب أبعد من ذلك في سياستهم المعادية للكُتاميين[١].

سنة ٤٦٢هـ، سيطر أبو طالب على السلطة بعد موت الحاكم الفاطمي في طرابلس: مختار الدولة بن نزّال، وصار مُستقلاً عن الخليفة الفاطمي [٢]. استمرّ أبو طالب بهذه السياسة المنفصلة عن محور القاهرة، لكن حكمه كان مختصرا. كان حكم جلال الملك امتداداً لحكم العمّاريّ الأول، فأكمل سياسةَ الاستقلال والانفصال عن الفاطميين[٣]. ولكن طالما أنّ الفاطميين بقوا قوةً كبيرة في المنطقة، فقد حاول أن يتذبذب بينهم وبين السلاجقة[٤] دون ترك استقلال امارته. اقترح الاميرُ فخر الملك على الصليبيين بعد رفع الحصار عن عِرْقَة أن يكون أحد مواليهم إذا تمكنوا من هزيمة الفاطميين واحتلال القدس. لسنا نعلم إلى أي درجة كان فخرُ الملك جِدّيّا في طرحه. ولكن بالرغم من قلة الثقة بهذا الطرح الضرورية قبل أخذه على محمل الجدّ، فإنه يبقى مع ذلك مُعبّرا ويعكس طابع العلاقات العمّارية – الفاطميّة.

(١) يجب ألا ننسى دورَ سكان المدينة.

(٢) قلانسي: ص ٩٧–٩٨/sobernheim:art ابن عمار E.I.II ص ٣٨٢ B .

(٣) قلانسي: ص ١١٢.

(٤) G.Wiet:art. عمار E.I ٢.I ص ٤٦١ A.

بالمقابل، فقد كان الفاطميون ينتظرون اللحظة التي ينتقمون فيها من حُكام طرابلس. فاستغلّوا الوضعَ الصعبَ لبني عمّار، وغياب فخر الملك، عندما ذهب إلى بغداد يطلبُ مساعدةً عسكريّةً ابتغاءَ إنقاذ المدينة من الصليبيين. فاجتاحوا طرابلس، وأقاموا عليها من قِبَلهم شرف الدولة بن أبي الطيّب(١). وغلبت روحُ الثأر من بني عمّار، فاستولى الفاطميّون على أموال عمّار ومحازبيه وعائلته (٢) دون الاهتمام بإنقاذ المدينة من هجوم الصليبيين بشكل مُجد. لذلك أتى الأُسطولُ الفاطميُّ إلى صور بعد سقوط طرابلسً بثمانية ايام (٣) ولم يتأخّر بالعودة إلى مصر . كانت طرابلس مُحاصرة بشكل مُستمرٍّ منذ سبع سنوات، والكلُّ يعرفُ ذلك. لكن حقد الفاطميين على بني عمار، والخطرَ الذي كان يُمثّلهُ هؤلاء، كان أقوى من إرادة الفاطميين بالدفاع عن طرابلس من الصليبيين.

إنّ العلاقات العمّارية– الفاطميّة تمثل نوعا ما الأوج في الخلاف السبعي / الإسماعيلي – الاثنى عشري. فالطرفان

---

(١) اثير: كامل X ص ٤٥٢، ٤٥٤.

(٢) نفسه:X ص ٤٥٤ / sobernheim: art عمار E.I.II ص ٣٨٣A.

(٣) اثير:X ص ٤٧٦–٤٧٧، قلانسي ص ١٦٤.

تصرّفا وكأنهما الوحيدين على الساحة، على الرّغم من أنه كان يتوجّب عليهما الدفاع عن نفسيهما ضد السلاجقة من جهة وضد الصليبيين من جهة أخرى.

ج – بنو عمار والسّلاجقة:

لم تكن لدى أُمراء طرابلس الاثنى عشريين القدرة على إعلان الحرب ضد السُّنّة والسبعيين والصليبيين في آن واحد معاً. لقد كانت لهم إمارة صغيرة المساحة قليلة السُّكان، وكانوا همُّهم الأوّل في كيفية الحفاظ عليها قبل أيّ اعتبار. وعلى الرغم من تعلّقهم بالتشيع، فقد كانوا قُساةً مع المصريين، ديبلوماسيين جداً مع جيرانهم السلاجقة، واحيانا صادقين معهم، ابتغاءَ التصدّي للصليبيين، الذين أتوا لتهديد الاثنين معا.

إن سياسة هذه السُلالة مع السلاجقة تقع في إطار المصلحة المشتركة على الأقل لدى الطرف الأوّل. وكلُّ تفسيرٍ خارج هذا الإطار ومن زاوية انحرافٍ مذهبي هي برسْمِ الإهمال [١]. ولكي تكون الأمور اقلّ صعوبة، يمكننا الكلام عن تحالف بين الاثنى عشريين والسُّنّة بوجه

(١) تصدى جلال الملك لابن صُليحة حاكم جبلة عندما ألقى الخطبة العباسية ولم يتأخر العمّاري بالسيطرة على المدينة التي اعطيت لتاج الملوك بوري.

الصليبيين والفاطميين [١].

بدأ بنو عمار حكمَهم بالتقرب من السلاجقة [٢]، وان يكن ذلك من باب المصلحة. ويبدو أن العلاقات مع السلاجقة قد اتخذت ثلاث مسالك:

– الأول: قبل ان يصبح الوجود الصليبي مهـدِّداً ينبغي أخذَه بعين الاعتبار. فقد قاد حُكام طرابلس صراعاً ضد الثالوث: تُتُـش، اق سنقر، بوزان سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٣م، مع إيجادهم مخرجاً قانونياً للوضع: وذلك بأن قدّموا للمحاصرين توليةً من قبل السلطان مالك شاه [٣] فتفرّقَ الثالوث.

– الثاني: مـرّةً أُخرى سنة ٤٩٤هـ/١٠٩٢م، وعلى إثر الصراع مع ابن صُليحة، سلّم هذا الاخير مدينة جبلة لدقاق، الذي أرسل تاج الملوك بوري. جاء فخر الملك وسيطر على المدينة بالقوة [٤]، ولكن من دون أن يجعل عمله مؤدياً إلى قطْع العلاقة مع دمشق بشكل نهائي،

---

(١) ظنّ الفاطميون أنهم مستفيدون في بداية وصول الصليبيين.

(٢) قلانسي: ص ١١٢.

(٣) اثير: كامل X ص ٢٠٣.

(٤) قلانسي: ص ١٣٩/ ابو الفدا: مختصر II ص ٢١٣.

تصرّف جيّدا مع بوري وأعاده الى دمشق [١].

– الثالث: بعد التهديد الصليبيي الخطير، وابتغاءَ مُواجهة هذا التهديد بما لديهم، لجأ بنو عمار إلى سياسة جامعة، حيث سلك عدّة طُرُق تُظهرُ جميعُها أنّ السلاجقةً بوصفهم القوّة العسكريّة الأقوى في المنطقة، أُمراء وسلطان، هم القوّة الوحيدة على السّاحة التي يمكن لأُمراء طرابلس أن يعملوا معها.

ابتداءً من سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م، بدأ فخرُ الملك بطلب النجدة من الأُمراء والحُكّام المُجاورين. فطلبَ المساعدة من دقاق، ومن جناح الدولة حاكم حمص [٢]. وبعد عدّة سنوات (٤٩٨هـ/١١٠٥م) طلب المساعدة من التركيّيَن، فحصل عليها من رضوان أمير حلب [٣]، دون الحصول على مساعدة أمير حصن كيفا سقمان بن أُرتُق الذي مات في الطريق [٤].

أن أهمَّ قرارٍ في سياق هذه الأحداث كان سفرُ فخر الملك إلى دمشق ثم الى بغداد. وبالرغم من أن هذه الرحلة تشير إلى

(١) ابو الفدا: مختصر II ص ٢١٤.
(٢) اثير: كامل X ص ٣٤٤
(٣) إ. عديم: II ص ١٥٠
(٤) اثير: كامل X ص ٤١٢ / قلانسي ص ١٦٠

قمة العلاقات بين بني عمار مع السلاجقة، إلا أنها ساهمتْ في الوقت عينه بوضع حدٍّ لإمارة عمار في طرابلس. ففي السنة ٥٠١هـ/١١٠٨م غادر ابنُ عمّار طرابلس نحو دمشق لطلب النجدة. بعد دمشق اتجه إلى بغداد، حيث استُقبلَ جيّداً من السلطان السلجوقي محمد والخليفة المستنصر، دون أن ينجحَ في تحقيق أي هدف عمليّ من أهداف هذه الرحلة [١]. فقد فات الأوان وأصبحت طرابلس فاطميّةً قبل أن تقعَ بإيدي الصليبيين وتغدو إمارةً صليبيّة.

كان المسلك الثالث سلجوقيا خالصاً، فإبنُ عمّار الذي صار بلا إمارة [٢]، احتلّ مؤقتا جبلة بمساعدة فرق الأتابك طغتكين. ولكنّه لم يتأخر في تركها ليتوجه إلى دمشق، حيث أخذ الزبداني كإقطاع من طغتكين.

انتقل لاحقاً إلى بلاط الموصل حيث أصبح وزيرا للأمير مسعود حتى سنة ٥١٢هـ/١١١٩م. ثم انتهى به الأمرُ بالدخول في خدمة الخليفة العباسي.

في سبيل تقييمٍ مُنصفٍ لموقع هذه الأُسرة من تاريخ مدينتهم نقول:

---

(١) اثير ك كامل X ص ٤٥٢-٤٥٣ / أبو الفدا: مختصر: II ص ٢٢٣
(٢) اثير ك كامل X ص ٣٩٥،٣٩٩ / قلانسي ص ١٦٤

لقــد أظهر بنو عمار الكثير من الموهبة في التصدي للأخطار، مُتناسين كل الخلافات السياسية الدينيّــة خدمَــةً قضيّــة مُشــتركة. هــذه الحقيقة وهــذا الحافز لم تكن يؤخَــذُ بعين الاعتبار عند الفاطميين، الذين شعروا أنهم أكثر بُعــداً عن الخطر الصليبي وأكثر قوة. لقد وضعوا بأنفسهم نهايــةَ سعي فخر الدولة للتقـرّب من السّلاجقة، بالسيطرة على طرابلس، وبالأخص بنهايةَ المُدافعين الحقيقيين عن المدينة، قبل أن يُـنهي الصليبيون الضربة الفاطمية المطلوبة.

د- بنو عمّار والصليبيون:

أظهر ابنُ عمّار الكثيرَ من الحكمة والتفهُّم والدبلوماسية، صفاتٌ جديرةٌ بشخصيةٍ كبيرةٍ في ذلك العصر. فإمارته الصغيرة وجدت نفسها في مُواجهة الحصار الصليبي الطويل في موقف أصعب من موقف الحمدانيين. لقد وضع ابنُ حمدان كلَّ ثروته وطاقاته السياسية والعسكرية في خدمة قضيته.

منذ ظهور ريمون دو سان جيل أمام عرقة، بدأ أميرُ طرابلس بتنفيذ خطته لإنقاذ إمارته. فدخل في مفاوضات مع الصليبيين، مُهديا لهم الأحصنة والبغال والمؤن، واضعاً شعارات ريمون

على جدران عاصمته [١]. نجحت خطته، لكن انطرطوس وقعت بأيدي الصليبيين. لاقت محاولته عدم احترام الاتفاق كي لا يدفع الثمن الموعود فشلاً، لأن الصليبيين الذين اختلفوا حول خطة الغزو تجمّعوا من جديد وحاصروا طرابلس.

كان حصارُ طرابلس مستمراً نوعاً ما. ففي السنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م، رفع ريمون الحصار مقابل المال والخيل[٢]. وبدأ ببناء قلعة قبالة المدينة على جبل الحُجّاج قرب مضيق قاديشا. ما حمل ابن عمار على مهاجمة القلعة من جهة اخرى [٣]. ويبدو أن هجوم بني عمار كان مُجدياً، لأن سان جيل عوّض خسارته باحتلال جبيل في العام نفسه [٤]، وقَبِل اتفاقاً مع ابن عمار في العام التالي (٤٩٨هـ/١١٠٥م) ينصّ على إعطاء محيط طرابلس للصليبيين، بشرط ترك حرية المرور عبر المدينة [٥]. سنة ٤٩٩هـ/١١٠٦م جاء ريمون لمحاصرة المدينة، فخرج ابن عمار من عاصمته واحرق القلعة وحاول هَدمَها. لاقى

(١) دويهي: أزمنة ص ٩.
(٢) اثير: كامل X ص ٣٤٤ / ابو الفدا: مختصر II ص ٢٢٠-٢٢١.
(٣) ابو الفدا: II ص ٢١٧ / قلانسي: ص ١٤٦.
(٤) ابو الفدا: مختصر II ص ٢١٧.
(٥) قلانسي: ص ١٤٧.

سان جيل حتفه على إثْـــر هذا الهجوم [١].

إذا كان ابنُ عمّـار قد أراد إبعاد الصليبيين باستعمال ثروته الكبيرة، فإنه يبدو أن هذه الثروة كانت من الأسباب الرئيسية التي دفعت الصليبيين والفاطميين إلى التبادل على احتلال طرابلس، التي كانت مُحصّنةً في هذه الفترة بنحوٍ أفضل من وقت زيارة ناصر خسرو لها قبل زهـاء الستة عقود[٢]. ولم تستطع مفاوضات ابن عمار، ولا خضوعه الظاهري، ولا هجماته على المحاصِرين إنقاذ طرابلس. وأخيراً غادر مدينتَه على أمل الرجوع إليها مع مساعدة سلجوقية تستطيع أن تضع حدا لمشاكها. لكن الفاطميين سارعوا إلى أخـذها، دون تقديم أي وسيلة سياسية أو دفاع عسكري سريع ومُجـد. وفي السنة ٥٠٢هـ سقطت المدينة.

هـ- سُكّان إمارة طرابلس في العصر العمّاري:

إنّـنا نتكلم هنا عن سكان المنطقة الممتدة من نهر الكلب جنوبا حتى طرطوس شمالاً. مشتملة من ناحية الشرق على قلعة الخوابي، صافيتا وعِـرقَة ونقاط قريبة من بشرّي.

(١) اثير: X ص ٤١٢ / ابو الفدا: مختصر II ص ٢٢٠-٢٢١.

(٢) سـنة ٤٣٨هـ/١٠٤٧م كانت طرابلس محمية من البحر من كل الجهات، من جهة اليابسـة، كانت محمية بخندق عريض محفور امـام السور: خسرو: سفرنامه ص ٤٧.

وكانت مدينةُ جبلة جُـزءاً من ملكيات بني عمار. يتمـدُّ الجزء الجبلي لشمال طرطوس وقلعة الخوابي وبالتحديد جهة مصياف قدموس.

كان سكان إمارة طرابلس ومناطقُ نفوذها إجمالاً شيعةً اثناعشريين. وكان أقصى الشمال في منطقة اللاذقية والهضاب والجبال المجاورة لهـا مُعرّضاً دائمـاً لتلقّي ضربات البيزنطيين قبل ضربات الصليبيين منذ النصف الثاني للقـرن الرابع للهجرة. كما كانت هذه الفترة من وُجهة نظرٍ سياسيّة امتداداً للفتـرة الفاطمية. ومُـرورُ الرحّـالـة ناصر خسرو بالمدينة وما سجّله من مُشاهداته مُهـمٌّ جـداً لنا، لأنّـه المرجع الوحيد تقريباً عن فترة ما قبل إمارة بني عمار في طرابلس. ولم يتغير السكانُ كثيراً منذ هذه الفترة، لقد ظلّوا شيعةً بغالبيتهم[١]. لكن هذا لا يستثني نوعاً من الوجود الاسماعيلي والنصيري والمالكي في المدينة.

إنّ وجودَ العمّاريين الكُتاميين [كـذا! ونؤكّـدُ دائماً على خطأ هذه النسبة (المهاجر)] الاثنى عشريين كقُضاة للمدينة، ثم كحُكّام لهـا، قـد زاد من عـددِ وأهـميّةِ الاثنى عشريين

(١) بحسب مغنية: الشيعة والتشيع ص ٢٢٢ فإن الطرابلسيين كانوا شيعة اثني عشريين.

بين رعاياهم. وهم الذين لم يكونوا بالأساس بعيدين عن مذهب حُكّامِهم الكُتاميين، وأظهروا دائماً تعاطُفاً وإخلاصاً معهم، وثقةً تامّةً بهم [١]. [كذا! مع أنّ من الثابت قطعاً أنّ الكُتاميين لم يكونوا اثنى عشريين أبداً، بل كانوا إسماعيليين دائماً، إلى أن ذابوا في المُحيط المصري بعد سقوط دولتهم الفاطميّة].

ونسجلُ هنا الإخلاصَ غير المشروط عند السكان الشيعة للإمارة تجاه حُكامها الجُدُد. ويمكن أن نستنتجَ المُلاحظةَ نفسَها من استنجاد المُدُن بابنَ عمّار عند الشدائد ، كما كان حالُ جبلة سنة ٤٩٤هـ / ١١٠١ م. بعد أن سلّمها القاضي ابنُ صليحة إلى تاج الملوك بوري. حيث أساء هذا الاخير مُعاملةَ أهلِها، وتابع إلقاء الخطبة السلجوقية. فطلب سكانُ المدينة النجدةَ من فخر الملك ابن عمّار، فجاء وألحق المدينة مُجـدّدا بإمارة طرابلس [٢]. وحتى في طرابلس، أثناءَ غياب ابن عمار في بغداد، استمرّ جزءٌ من السكّان بتنفيذ أوامره، فحملت ابن عمه أبي

(١) G.Wiet: art عمّار E.I ٢. ص ٤٦١ A.
(٢) اثير: كامل X ص ٣١٢ / قلانسي ص ١٣٩.

المناقب إلى قلعة الخوابي، حيث أعلن ولاءَه للفاطميين [١].

هنا نتساءل: إذن لماذا طلب السكانُ معونةَ أسياد مصر الفاطميين سنة ٥٠١هـ؟ هذا القرار المُتخذ من قِبَلِ جزء من السكان على الأقلّ لا يمكن أبداً اعتباره خارج الحالة العاملة للمدينة وسكانِها. هو ذا ما يُسوّغُ التساؤل.

منذ العام ٤٩٩هـ/١١٠٦م وجدت المدينة نفسَها تحت حصارٍ دائم من الصليبيين، وأظهر السكانُ إرادةً كبيرةً بالصمود والمقاومة. فالذين كانوا أغنياء جدّاً صاروا فقراء، بعدما باعوا كل شيء ليشتروا بثمنه المؤن الضروريّة، وبعدما تعرضوا للخيانة من قبل مواطنيهم الذين التحقوا بالصليبيين [٢].

كان ابنُ عمّار بعيداً عن المدينة. صحيحٌ أنه كان يبحثُ عن غوث، لكن السكّان، وفي الوقت الذي كانت المفاوضات عالقةً في دمشق ثم في بغداد، وهنت عزيمتهم واشمأزّوا من سياسة ابي المناقب المُخادعة، التي كانت في الحقيقة انعكاساً لصراعٍ عالقٍ داخل الأُسرة العمّاريّة الحاكمة.

هذا، ومن المؤكد أن جزءاً من السكان المُقرّبين من الفاطميين قد لعب دوراً مهماً في إضعاف عزيمة الجزء

---

(١) اثير: كامل X ص ٤٥٢.

(٢) اثير كامل X ص ٤١٢-٤٧٦، ٤١٣/ابو الفدا: مختصر II ص ٢٢١.

الباقي من السكان، يعاونهم على ذلك الحكام الفاطميون.

في خضمّ هذه الأوضاع، سلّم الطرابلسيون المدينة للفاطميين. ولكن مهما يكن، يبدو أنهم كانوا مخلصين لقضيتهم ولحُكّامهم العمّاريين. وبدلَ تسليم المدينة للصليبيين، فضّلوا نقل السلطة في المدينة الى إخوانهم الشيعة في مصر.

تلقّى السكانُ الشيعةُ في إمارة طرابلس، بعد هذه السنين القاسية من المقاومة، ثأرا شرسا من قِبَل الصليبيين، يساعدهم أحيانا النصارى الذين كانوا يسكنون الجبال المجاورة[1] منذ سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م. وأثناء حصار عِرقة، بدأت المنطقة، وبالأخص منطقة طرابلس، تعتادُ على النهب والمجازر. فقد شهدنا سنة ٤٩٥هـ/١٠٩٩م وأثناءَ حصار عِرقة، كيف بدأت المنطقةُ تعتادُ على النهب والمجازر على يد سان جيل في طرطوس[2]. وفي السنة ٤٩٧هـ شهدنا ثأرا صليبيا في جبيل مع أن السكان كانوا سلّموا المدينة بلا مقاومة[3]. أمّا السنة ٥٠٢هـ/١١٠٩م،

(١) اثير: كامل X ص ٣٤٤ / دويهي: ازمنة ص ٩.
(٢) اثير: كامل X ص ٣٤٤.
(٣) نفسه: ص ٣٧٢، قلانسي ص ١٤٣.

فقد كانت رهيبة بالنسبة للطرابلسيين: فاستيلاء الصليبيين على المدينة بعد ثلاث سنوات من الحصار تُمثّل فاجعة [١]، مايجعلنا نفكر بسياسة واعية من قبل الغزاة لإفراغ المدينة، آخر حصن مسلم كبير على الساحل السوري. غادر قسم كبير من السكان طرابلس إلى دمشق. إنّ معطيات أبي الفدا[٢] تجعلنا نفهم أن كل من بقي من السكان إلتجأ إلى دمشق. ومنذ هذا الوقت، اصبحت طرابلس فرنجية، قبل أن تعود مسلمة ولكن سُنّيّةً هذه المرّة، بعد استعادتها من قبل المماليك وحتى يومنا هذا. [ولكنّ الحقيقة أن طرابلس هذه هي غير طرابلس العمّاريّة، التي هدمها المماليك بحجّة الخوف من عودة الصليبيين إلى الاستيلاء عليها. وهي اليوم المُسمّاة «**المينه**». وبنوا طرابلس الحالية فيما كان من أرباض المدينة ومُزدرعها المهاجر)].

إن التجربة الشيعية لطرابلس، حُكاماً وسُكاناً كانت الأكثر صعوبة بالنسبة لشيعة المناطق الأخرى. فقد وجب عليهم الدفاع عن كيان سياسي يخصّهم، وعن وجودهم الذي كان على المحكّ من قِبَل الغزاة القادمين باسم الصليب ليحتلوا

(١) اثير: كامل x ص ٤٧٥-٤٧٦، قلانسي ص ١٦٣.

(٢) ابو الفدا: مختصر: II ص ٢٢٤.

أرضهم. لقد وجدوا أنفسهم وحدهم يدافعون دون أن يحصلوا على الدعم المُجدي من إحدى القوتين الكبيرتين المسلمتين في ذلك العصر (الفاطميين والسلاجقة)، دون أن ينجحوا بإبعاد الصليبيين بالطرق الدبلوماسية.

كما رأينا، فإن سوريا الفاطمية كونّتْ قمّةَ التشيّع الاثنى عشري، الذي كان له كيانان سياسيان، الأول في سوريا الشمالية يُمثّله الحمْدانيون، والثاني في طرابلس يمثّله بنو عمّار. كذلك مجموعة من الامارات في سوريا الشمالية كانت مضطرة للتعاطف مع التشيّع بسبب غالبية السكان الشيعيّة.

بالمقابل، فإن التشيع الاثنى عشري قد نافسته في سوريا الوسطى والجنوبية الاسماعيلية من جهة والنصيرية من جهة أخرى. دون أن ننسى الدرزية التي أطلقها الحاكم والذي نجح في كسب الداخل اللبناني والشمال الفلسطيني.

يمكن أن نرسم الخارطة الدينية لسوريا الفاطمية بشكل هلالٍ اثنى عشري يشمل الجزيرة، الجزء الأكبر من سوريا الشمالية، المنطقةَ الساحلية للبنان وسوريا. وهلالٌ آخرُ درزي – اسماعيلي وسُنّي، يشمل سوريا الداخلية وفلسطين. وبين الهلالين تمتد مناطق تحتلها اقليات نصيرية ونصرانية.

خاتمة

بعد هذه المحاولة لدراسة تاريخ التشيع، وبالأخص التشيع الاثنى عشري في لبنان وسوريا والجزيرة، نتوصّلُ إلى استنتاج بعض الخلاصات نعرض أهمّها باختصار:

إن كلمة شيعة من حيث الاشارة إلى مُحازبي علي بدأت تُستعمل بعد اغتيال عثمان. وفيما يخص بعض الأحداث المتفرقة كانت مرتبطةً باسم علي. لكن الكلمة وحدها بدأت تُستعمَلُ بعد موت معاوية. يجب أن ننتظر نهاية الأمويين كي تبدأ كلمتا شيعة وسُنّة بأخذ أبعادهما الخاصة.

إن ولادة الشيعة كفرقة سياسية يكمن أن نضعها بعد قتل الحسين. لكن يجب انتظار أكثر من قرنين حتى يجد التشيع الاثنا عشري أُطُـرَه ضمن أئمته الاثنى عشر وفقهائه. إنّ قاعدة التشيع هي عربية. لكن هذه القاعدة لن تتأخر لتشمل الفرس. أثنـاء كل فترتنا وفي منطقتنا، حافظ التشيع على طابعه العـربي. ألا يفسّرُ هذا الصِّراعَ بين الشيعة الفرس (البويهيين) وشيعة الجزيرة الذين يأتي الحمْدانيون على رأسهم، أنّ دعْـم

غالبية اليمانيين، ويمانيي سوريا بالخصوص، لمختلف أنواع التشيع (قرمطي، اسماعيلي، اثناعشري) أثناءَ هذه الفترة التي درسناها، تُثبت أن الشيعة لم يكونوا فقط عربا بل يمانيين بغالبيتهم. هذا التعميم له استثناءان:

كلب (يمانيّون معادون للشيعة) أثناء الفترة الأموية، وكلاب (قيسيون شيعة) التي رسم موضعُها الجغرافي (سوريا الشمالية والجزيرة) والصراعُ مع كلب الخطَّ البيانيَّ لوضعها السياسي – الديني.

إن سوريا الراشدية والأموية، من حيث أنّ طابعها النصراني بشكل عام لم يكن ملائما لتسرّب الصراعات السياسية – الدينية. لكن أبا ذرّ أتى لزرْع التّململُ في الأوساط الفقيرة. كان ذلك بداية التعاطف العلويّ في المنطقة. لكن الحكومة الاموية من خلال سفيانيتها السورية (supra ص ٦٣–٦٤) حافظت على سوريا بعيدةً عن رياح الشرق، دون أن تستطيع تلافيها في الجزيرة التي كانت أرضاً معادية للأموية، تغـذّيها عناصر شيعية عبر العراق.

على هذه الارض تحديداً حصل الشيعة على اول كيان سياسي لهم.

يمكن لنا أن نتساءل دائماً: ماذا أعطى التّملمُلُ الذي ولّده أبو ذر في هذه الفترة في بلاد الشام، وتسرُّب عناصر عربية جديدة نحو لبنان الجنوبي وشمال فلسطين؟

كانت الفترة العباسية تحضيراً بكل معنى الكلمة لتشيع المنطقة (خوارج، اسماعيليون، زنادقة، وشيعة) من خلال العداء للعباسية عند السكان، ومن خلال الانتظار اليائس لعودة السفياني، ومن خلال الحالة الاجتماعية والاقتصادية. كما من خلال السياسة القبلية العباسية الخاطئة. إنّها المناطق المتاخمة التي عرفت هجرةً شيعية وتشيّعا. إنّـه بشكل ما نفس الهلال تقريبا الممثل للهلال الاثنى عشري للعصر الفاطمي (supra ص ٢١٦). جذبت فترةُ عدم الاستقرار في سوريا وعدم قدرة السوريين على حُكم انفسهم، إلى هذا البلد حكام مصر (الطولونين والاخشيديين) الذي ساهموا مثل العباسيين من خلال سياستهم السياسية - القبَليّة، بتحويل سوريا وبالأخص منطقة الجزيرة (الحمْدانية) التي استفادت من الصراع بين القاهرة وبغداد.

أتى التشيع الاثنا عشري من قلب سوريا مستغلا عدم استقرار الوضع وصبّ من سوريا الشمالية في لبنان وفي

فلسطين متعرضا لصعوبات كي يحكم. بينما أتى السبعيون الفاطميون من الخارج مع كل الطاقات ليحكموا ويفرضوا أنفسهم ويدعوا الى الى نشر الاسماعيلية. ولم يكن هكذا الحال بالنسبة للفرع الاخر للاسماعيلية (القرامطة).

لكن الوزن الشيعي على الساحة السورية بدأ بالظهور منذ بداية القرن الرابع للهجرة، مستغلاً عدم الاستقرار وطموحات الحكام العباسيين الانفصاليين (ابن رائق).أسّس الكيانَ السياسيَّ الشيعيَّ الأول حمْداني، ليُعاد مرّة أخرى بعد أكثر من قرن مستفيدا من نفس الظرف على يد العمّاريين في طرابلس. كانت سوريا الفاطمية أرضَ تجارب القوة الشيعية. فالمنافسة بين السبعيين والاثنى عشريين على صعيد السلطة برزت في سوريا الجنوبية (الجرّاحيون)، والوسطى (بنو عمار) والشمالية (الحمْدانيون والمرداسيون). بينما اظهرت الجزيرة حضوراً اثنى عشريا مُهمّاَ، وأثّرت على سياسة الامارات التي نمت فيها (المروانية، العُقيلية) بشكل واضح جدا، وإن يكن السلاجقة السُّنّة قريبين جداً في بغداد.

ضمن هذا الجو من الصعوبات والمآسي انقضت اربعة

قرون ونصف من تاريخ التشيع في سوريا ولبنان والجزيرة. في نهاية هذه الفترة توصّلَ التشيّعُ الاثنا عشري الى إظهار حضوره السياسي – الديني بشكل مُجـدٍ . ومع تحول الاثنى عشريين إلى الدفاع، تركوا الساحة لإسماعيليي الشرق النشطين أمـام الوجه الآخـر للسلاجقة السُّـنّة الشافعيين والاحناف.

لـم تكن هذه الفترة السلجوقية قاسية على الاثنى عشريين الذين، لكونهم معتدليين، استفادوا من الصراع السلجوقي – الاسماعيلي، كما من الوجود الصليبي. فاستمروا بالضّغط على الحُكّام السلاجقة، الذين لم يكونوا بمستوى فـرْض أنفسهم على الشـعب، وتطبيق سياسة السلطان بشكل مجـدٍ[1]. يجب انتظار العصر الزنكي والايوبي والمملوكي حتى تبدأ المعارضة للتعدديّة الدينيّة بإعطاء نتائجها التي ظهرت في حلب وطرابلس وبالأخص في جبل لبنان (كسروان). كل ذلك كان مصعوبا بهجرة اثنى عشـرية نحـو الداخل، وبانتقال السّـاحة الاثنى عشـرية نحـو الأراضي الفارسية (الصفوية).

(١) بالنسبة لسياسة أق سنقر، انظر ابن شداد: اعلاق (حلب) ص ٤٩ / شحنه: درر ص ٨٧ / ابن العديم II ص ٢٤٢

مكتبة البحث



أ- المراجع:

١. ابو الفدا (إسماعيل بن علي بن محمد): «**المختصر في أخبار البشر**» ٤ مجلدات، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة ١٩٠٧.

٢. أبو فراس:«**ديوان أبو فراس**»، قدّم له وشرحه سامي الدهان، ٣ مجلدات، المعهد الفرنسي في دمشق، بيروت ١٩٤٤.

٣. ابو مخنف (لوط بن يحيى): «**في مقتل الامام ابي عبدالله الحسين**»،النجف ١٩٥٦.

٤. البلاذري (أحمد بن يحيى):«**أنساب الأشراف**»، **٥** مجلدات القدس ١٩٣٦.

٥. «**فتوح البلدان**» النهضة المصرية ٢ مجلد القاهرة ١٩٥٧.

٦. ابن العديم الحلبي (كمال الدين عمر) زبدة الحلب في تاريخ حلب، ٣ مجلدات، نشره وقدم له سامي الدهان، المعهد الفرنسي في دمشق، بيروت ١٩٥١

٧. ابن عساكر (الحافظ أبو القاسم):«**تاريخ مدينة دمشق**» تحقيق صلاح الدين المنجد، دمشق ١٩٥٤.

٨. ابن الأثير (عزّ الدين أبو الحسن علي):«**الكامل في التاريخ**» إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة ١٣٤٨-١٣٥٣هـ. B دار صادر - دار بيروت، بيروت ١٩٦٥م/١٣٨٥هـ

٩. ابن الفقيه (الحمداني): «**كتاب البلدان**»

10. Bibliotheca Geographorum Arabicorum. (B.G.A)

11. Edit M.J. De Goeje,E.J. Brill-Leyde.1302HL1885J.C

١٢. **ابن حوقل:** «CONFIGURATION» (**صورة الأرض**) **مطبوع ومترجم الى الفرنسية مع فهرست وضعه** J.H.Kramers **و** G.Wiet **٢ مجلد، منشورات** Maisonneuve et larouse **باريس ١٩٦٤.**

١٣. ابن العبري (غريغوريوس ابو الفرج بن هارون الطبيب الملطي):

١٤. «**تاريخ مختصر الدول**» الطبعة الثانية. قدّم له الأب انطون صالحاني اليسوعي. المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٨.

١٥. ابن القلانسي (ابو يعلا حمزة): «**ذيل تاريخ دمشق**» مطبعة الأباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٨.

١٦. ابن منقذ (أُسامة): «**كتاب الإعتبار**» نشره فيليب حتي، جامعة برنستون، الولايات المتحدة الاميركية ١٩٣٠.

١٧. ابن النديم (محمد بن اسحق): «**الفهرست**» القاهرة بلا تاريخ.

١٨. ابن شداد (عز الدين محمد): «**الأعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة**»:

١٩. فلسطين، الأردن ولبنان. طبعة علّق عليها وشرحها سامي الدهان. المعهد الفرنسي في دمشق، بيروت ١٩٦٣.

٢٠. وصف حلب، طبعة علّق عليها وشرحها Dominique Sourdel**، المجلد الأول.**

٢١. الجزء الأول، المعهد الفرنسي في دمشق بيروت ١٩٥٣.

٢٢. وصف دمشق، طبعة علّقَ عليها سامي الدهان، المعهد الفرنسي في دمشق، ط. بيروت ١٩٥٣.

٢٣. ابن الشحنة (مجد الدين محمد): كتاب الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، ترجمة وشرح J.Sauvaget **مجموعة المعهد الفرنسي في**

دمشق، بيروت ١٩٣٣.

٢٤. ابن تغري بردي (جمال الدين ابو المحاسن): "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة"، الطبعة الأولى، دار الكتب المصرية ١٦ مجلد، القاهرة ١٩٢٩-١٩٧٢

٢٥. ابن طولون (شمس الدين محمد): «كتاب الشذرات الذهبية في تراجم الأئمة الاثنا عشر»، قدم له صلاح الدين المنجد، دار صادر، بيروت ١٩٥٨

٢٦. ابن يحيى (صالح): «تاريخ بيروت»، قدم له Francis Hors اليسوعي وكمال صليبي، دار المشرق، بيروت ١٩٦٩

٢٧. الإصطخري(ابراهيم بن محمد): «المسالك والممالك» دار الكلام، القاهرة ١٩٦١

٢٨. الكشي (محمد بن عمر) «رجال الكشي» مقدمة، ملاحظات وفهرست وضعها الحسيني، دار الأعلمي كربلاء، بلا تاريخ.

٢٩. المقدسي (شمس الدين محمد):«أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» ترجمة وشرحه liquel المعهد الفرنسي في دمشق – بيروت ١٩٦٣

٣٠. المسعودي (علي بن الحسين): «مروج الذهب ومعادن الجوهر»

٣١. قدم له محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر ١٩٥٨

٣٢. فهرست يوسف اسعد داغر مجلدان، ٤ أجزاء، دار الأندلس بيروت ١٩٦٥

٣٣. ناصر خسرو: سفر نامه، ترجمة يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٧٠

٣٤. الطبري (محمد بن جرير):

٣٥. Chronique de at – Tabati (تاريخ الطبري) ترجمة.

٣٦. M.Hermann Zoten berg ٤ مجلدات ط. باريس

. Imperale–١٩٥٨

٣٧. تاريخ الرسل والملوك: ٨ مجلدات، القاهرة ١٣٥٧هـ

٣٨. اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب):

٣٩. تاريخ اليعقوبي: مجلدان، دار صادر – دار بيروت، بيروت ١٩٦٠ (A)

٤٠. تاريخ اليعقوبي: نجف ١٣٥٨ هـ (B)

٤١. Les Pays (البلدان)، ترجمة Gaston Imprimerie de l,Institut francais d,archeology Orientale ١٩٣٧ القاهرة.

٤٢. ياقوت (شهاب الدين بن عبدالله): معجم البلدان ٥ أجزاء. دار صادر –بيروت ،بيروت ١٩٥٧ الكتب.

الاعـــمال العربية:

١. أبو زهرة (محمد): تاريخ المذاهب الاسلامية. جزء ٢ دار الفكر العربي. القاهرة، بلا تاريخ.
٢. العقّاد (أ.م.): فاطمة الزهراء والفاطميون، الهلال – القاهرة، بلا تاريخ.
٣. أمين (أحمد):– ضحى الأسلام: الطبعة الأولى ٣ أجزاء مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ١٩٣٦.
٤. فجر الإسلام: الطبعة التاسعة – النهضة المصرية القاهرة – ١٩٦٤
٥. ظهر الإسلام: الطبعة الثالثة – ٤ أجزاء – النهضة المصرية – القاهرة ١٩٦٤.
٦. الأمين (حسن): الموسوعة الاسلامية الشيعية – مطبعة سليم – بيروت ١٩٧٠
٧. الأمين (كاظم): العرفان او نصف قرن من حياة مجلة عربية – اطروحة مطبوعة على الآلة الكاتبة باريس ١٩٦٦.
٨. الأمين (السيد محسن): أعيان الشيعة – الطبعة الرابعة – المجلد الأول – مطبعة الانصاف – بيروت ١٩٦٠.
٩. خطط جبل عامل الجزء الأول– الإنصاف – بيروت ١٩٦٠.
١٠. الأميني (محمد هادي): عيد الغدير في أيام الفاطميين – النجف ١٩٦٢.
١١. الأسود (ابراهيم): كتاب ذخائر لبنان بعبدا ١٨٩٦.
١٢. Brokelmann(Carl): تاريخ الشعوب الاسلامية الطبعة الرابعة – ترجمة فارس وبعلبكي – دار العلم للملايين – بيروت ١٩٦٥.
١٣. بولس(جواد): تاريخ لبنان ترجمة جورج حاج، دار النهار،

بيروت ١٩٧٢.
١٤. ضو (بطرس): تاريخ الموارنة، جار النهار بيروت ١٩٧٢.
١٥. الديلمي (محمد): إرشاد القلوب مجلدان بيروت ١٣٨١هـ.
١٦. الدبس (يوسف): تاريخ سوريا، المطبعة العمومية ٥ مجلدات و ٦ مجلدات بيروت ١٩٠٠–١٩٠٢.
١٧. دويهي (انطانيوس): تاريخ الازمنة، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥١.
١٨. الفقيه (محمد تقي): جبل عامل في التاريخ، مجلدان، بغداد ١٩٤٥.
١٩. Goldziher(I): العقيدة والشـريعة في الإسلام، ترجمة محمد يوسف القاهرة ١٩٤٦.
٢٠. حسن (حسن ابراهيم): تاريخ الدولة الفاطمية، الطبعة الثالثة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٤.
٢١. حشي (سليم حسن): الاسماعيليون عبر التاريخ،؟، ١٩٦٩.
٢٢. حتّي (فيليب):– تاريخ العرب المطوّل، ترجمة جرجي وجبور، الطبعة الرابعة، مجلدان، دار الكشاف بيروت ١٩٦٥
٢٣. حسين (محمد كامل): طائفة الاسماعيلية الطبعة الأولى، النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٩
٢٤. حسين (طه): الفتنة الكبرى مجلدان، معارف، القاهرة ١٩٦٦.
٢٥. الحسيني (محمد باقر): تطور النقود العربية بغداد ١٩٦٩.
٢٦. كحالة (عمر رضا): معجم قبائل العرب ٣ مجلدات دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٨.
٢٧. كاشف الغطاء (محمد حسين): أصل الشيعة وأصولها الطبعة التاسعة، دار البحار، بيروت ١٩٦٠.

٢٨. قازان (فؤاد): لبنان في التاريخ العربي ،ا دار الفارابي بيروت ١٩٦٠.
٢٩. الكليني (محمد بن يعقوب): الكافي ٨ مجلدات، طهران ١٣٨١هـ
٣٠. كرد علي (محمد):– غوطة دمشق، دمشق ١٩٤٩
خطط الشام ٦ مجلدات، دمشق ١٩٢٥–١٩٢٨.
lammens (H): تسريح الأبصار فيما يحتوي لبنان من آثار، مجلدان المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩١٤.
Lortet (Louis): مشاهدات في لبنان. ترجمة كرم بستاني منشورات وزارة التربية، بيروت ١٩٥١.
٣١. المجلسي الاصفهاني (محمد باقر):بحار الأنـوار. المطبعة الاسلامية الاجزاء ٤٦–٥٢ طهران ١٣٨٥هـ.
٣٢. مهدي موسوي (السيد محمد): أحسن الوديعة في تراجم مشاهير مجتهدي الشيعة، الطبعة الثانية، المطبعة الحيدرية النجف ١٩٦٨.
٣٣. مغنية (محمد جواد): مع الشيعة الامامية، بيروت ١٩٥٦.
٣٤. الشيعة والحاكمون، الاهلية، بيروت ١٩٦٦
٣٥. الشيعة والتشيع، دار الكتاب اللبناني – بيروت، بلا تاريخ.
٣٦. «**أهل البيت**»، مقالة في دائرة معارف للبستاني.
٣٧. «**اثنا عشرية**»، مقالة في دائرة المعارف للبستاني.
٣٨. محفوظ (حسين علي): تاريخ الشيعة، مطبعة النجاح، بغداد ١٩٥٧.
٣٩. مكي (محمد كاظم): الحركة الفكرية والادبية في جبل عامل، الاندلس، بيروت ١٩٦٣.

٤٠ . المعلوف (عيسى اسكندر): تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني، المطبعة الكالوثيكية، بيروت ١٩٦٦ .
Massignon (Louis): خطط الكوفة، ترجمة تقي المصعبي، صيدا ١٩٣٩
٤١ . Metz (Adam): الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، الطبعة الرابعة، مجلدان، ترجمة م. أبو ريضة، بيروت ١٩٦٧ .
مروة (علي): تاريخ جباع، دار الاندلس، بيروت ١٩٦٧ .
٤٢ . مرتضى (عبدالله): الثمار الشهية في تاريخ الاسماعيلية، المطبعة اللبنانية، بيروت ١٩١٩ .
٤٣ . نوبختي (الحسن بن موسى): فرق الشيعة، نجف، بلا تاريخ.
٤٤ . رفيق (محمد بهجت): ولاية بيروت، مجلدان، إقبال وولاية ١٣٣٥-١٣٣٦ هـ.
٤٥ . الصدر (السيد حسن): تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، نشر وطباعة عراقية، بلا تاريخ.
الصدوق (محمد بن علي): علل الشرائع، نجف ١٩٦٣
٤٦ . صفا (محمد جابر): تاريخ جبل عامل، دار متن اللغة، بيروت بلا تاريخ.
صليبي (كمال): تاريخ لبنان الحديث، الطبعة الثانية، نهار، بيروت ١٩٦٩.
٤٧ . الشكعة (مصطفى): سيف الدولة الحمداني، دار الكلام، القاهرة ١٩٥٩
الشيبي (كامل مصطفى): الصلة بين التصوف والتشيع، بغداد ١٩٦٣
٤٨ . الشدياق(طنوس): كتاب اخبار الأعيان في جبل لبنان. مجلدان، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٧٠

٤٩. الطباخ (شيخ راغب): إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٧ مجلدات، العلمية، حلب ١٩٢٣-١٩٢٦
٥٠. الطويل (محمد أمين غالب): تاريخ العلويين، الطبعة الثانية، الاندلس، بيروت، ١٩٦٦.
٥١. وجدي (محمد فريد): دائرة معارف القرن العشرين، الطبعة الثانية الجزء الخامس، القاهرة ١٩٢٤.
٥٢. wellhausen(Julius):- الخوارج والشيعة، ترجمة أ.ر. بدوي لجنة التأليف.....، القاهرة ١٩٥٨.
٥٣. الدولة العربية وسقوطها، ترجمة أ.هـ. أبو ريضة، القاهرة، دون تاريخ.
٥٤. زيدان (جورج): تاريخ التمدن الاسلامي، ٥ مجلدات، القاهرة .
٥٥. الزين (علي): مع التاريخ العاملي، مطبعة العرفان، صيدا ١٩٥٢.
٥٦. الزين (محمد حسين): الشيعة في التاريخ، مطبعة العرفان، صيدا ١٩٣٨ .
٥٧. الزركلي (خير الدين): الأعلام (قاموس سِيَر).

ج- الأعمال الفرنسية والانكليزية والألمانية.

C-Les Ouvraqes francais, anqlais et allemands.

Amedroz (H.F): The Marwanid Dynasty of Mayyafarikin in the Tenth and Eleventh centuries.

The journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland, 1903.

Bouron (N): Les Druzes, histoire du Liban et de la montagne Haouranaise, Berger et levrault, Paris, 1930.

Buhl (Fr.): art. Tarabulus, Encyclopedie de l'Islam, (E.I), T IV.

Cahen (Claude):

1. -Points de vue sur la revolution 'abbasside, Revue historiqe,Paris,1963.
2. -La Syrie du Nord a l' époque des Croisades et la principaute' franque d'Antioche, P. Geuthner, Paris, 1940.
3. -Note sur les Origines de la communaute' syrienne des Nusairis, Extrait de la Revue des Etudes Islamiques, XXXVIII/2, p=243-49, Geuthner, Patis, 1970.

Introduction a'l'histoire de l' Orient Musulman.

4. -Initiotion a' l'Islam (Element de bibliographie), avec J. Sauvget, Adrien Maisonneuve, Paris, 1961.
5. Canard (Marius): Histoire de la daynastie des Hamdanides de la Syrie du Nord et de la Djazira, P.U.F., Paris, 1953.

-art. Diyar Barkr, avec C. Cahen dans la nouvelle edition de l'Encyclope'die de l'Islam (E.I 2), T II.

- art. Fatimides, E.I. 2, T II.

-art. Djarrahides, E. I. 2, T II.

6. colloque de Strasbourge: Le Shi'isme imamite, P. U. F.,Paris, 1970.
7. Fischer (A): art. Kais-'Ailan, E.T,T II.
8. Grousset(R): Histoire des Croisades et du royaume franc de Je'rusalem, 3 vol. Paris, 1934-36.
9. Hodgson (M.G.S): art. Duruz, E.I2, T II.
10. Honigmannn(E): art.Sur, E. I, T II.
11. Horovitz (M.Th.): Die Hamdaniden und die Schi'a Der Islam, Strasbourg, 1911.
12. Houtsma (M.Th.) art. Abo Dharr, E.I, T II.
13. Huart (Cl): art. I SMAILLIYYA, e.i, t ii.

-art.Ithna'ashariyya, E.I, T II.

14. Ismail (Adel): Le Liban, histoire d'un peuple, Makshuf, Beyrouth, 1965.
15. Krenkow (F): art. Kinda, E.I, T II.

art. Kilab b. Rabi'a, E.I, T II.

16. Lammens (Henri):

-Etudes sur le reqne du Calife omayyade Mo'awia 1er. Imp. Cath. Beyrouth, 1908.

- Etudes sr le sie'cle des omayyades, Imp. Catholique, Beyrouth, 1930.

-Le Liban, notes archeologiques, histoirques, ethnograpgiques et geographiques et 2'e'me edit., Imprimerie Catholique, Beyrouth,1914.

- Les Perses du Liban et l'Origine des Me'toualis, Melanges de L' U.S.J., Fasc. 2, t XIV, Imp. Bayrouth, 1929.

- Le Syrie, precis historique, 2t, Imp. Cath. 1921-38,.

- art. Lakhm, E.T, T III.
- art. Kalb b. Wabara, E.I, T II.
- art. Mu'awiya, E.T, T III.
-art. Lubnan, E.T, T III.
-art. Sham, E.T, T IV
- art. Kuda'a, E.I, T II.

17. Laoust (Henri): Les Schismes dans L'Islam, Payot, Paris,1965.
18. Levi Della Vida (G): art. Numaier, E.I, T III.
19. Macdonald (D.B): art: al-Mahdi, E.I, T III.
20. Massignon (L): art. Karmates, E.T, T II.
Art. Nusairi, E.I,T III.
21. Nouss(Izzat): La Syrie ou Pays de Shame; Etude de geographie historique, These dadactylographiee, Paris, 1951.
22. Pearson: Index Islamicus, T1, Cambridge, 1962.
23. Quatreme're(Etienne-Marc):Memoires geographiques et historiques sur L'Egypte, et sur quelques contrees voisines, recueillies et extraites des manuscrits coptes, arabes etc…, 2 vol,
Bibliotheque Imperiale Paris, 1811.
24. Robson(J): art. Abu Dharr, E.I 2, T T.
25. Rondot(Pierre): Les Institutions politiques au Liban. Des communautes traditionnelles & l'etat moderne, Paris, 1947.
26. Samne(Georges): La Syrie, Edit. Bossard, Paris,1920.
27. Sauvaget(J):
- Initiation a l'Islam, Introduction a l'histoire de l'Orient Musulman, Elements de bibliographic. Edit, refondue et completee par Cl. Cahen, Adrien Maisonneuve, Paris, 1961.
- art. Halab, E.I 2, T TTT.
- Alep. 2 vol, Geuthner, Paris, 1941.
- Deux ganctuaires ch^ites d'Alep, Ex-trait de la revue Syria 1928, Geuthner Paris, 1928.
28. Sauvaget(J) et Weulersse(J):
- Damas et la Syria du Sud, Edit., Des fossees, Paris, 1936.

29. Schleifer(J), Montgomery Watt(W):
- art. Hamadan, E. I 2, T III.
30. Shaban(M.A): The ‘’Abbassid Revolution, Cambridge,at the University press, 1970.
31. Sobernheim (M):
- art. Muslim b. Kuraish, E.I, T III.
- art. Salih b. Mirdas, E.I, T T7.
- art, Ibn’Ammar, E, I, T TT.
32. Strothmann (R): art. Shi’.a,E.I, T IV.
- art. Al- Zaidiyya, E.I , T IV.
33. VanVloten (Gerlof): Recherche sur la dominatIon Arabe, le chiitisme et les Croyances mess ianiques_ sous le Califat des omayyades Amsterdam, Miller, 1894.
34. Veccia Vaglieri (L): art. GhadIr Khumm. E. I 2, T JT.
35. Wiet (G): art. Banu ‘Ammar, E. I 2, T T.
36. Zettersteen(K.V): art. ‘Okailides. E.I, T
- art. Marwanides, E.I, T III.

د- دوائر المعارف

إن المقالات المستخدمة من الموسوعات المذكورة قد ذُكرت وحُدِّدت بحسب أسماء مؤلفيها:

— Encyclopedie de l,Islsm طبعتان Brill et Maissnneuve paris – Leyden.

– دائرة معارف بستاني (موسوعة البستاني، بيروت)

– دائرة المعارف الإسلاميّة الشيعية، مطبعة سليم، بيروت ١٩٧٠

– دائرة معارف القرن العشرين، القاهرة.

– الدوريات

كما بالنسبة للموسوعات، قد يبدو من غير المفيد تكرار الأرقام والصفحات المعتمدة في هذه الدوريات لأننا ذكرناها بالتحديد أثناء الدراسة.

العرفان.

المشرق.

١. Der Islam.
٢. Syria .
٣. The Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland.
٤. Revue Historique
٥. Revue des Etudes Islamiques